

رواية

لوسى هود هونلغومري

# آن بنت الجزيرة



مكتبة  
١٠٧٩

ترجمة: وليد بن احمد  
مراجعة: نهاد المعلاوي

www.ansar.com



لذكرى نورسين رجهها الله

مكتبة | سر من قرأ

آن بنك الجزيرة

6 2 2023

**telegram @soramnqraa**

عنوان الكتاب الأصلي المعتمد في هذه الترجمة

Anne of the Island  
by L. M. Montgomery

لوسي مود مونثغومري

مكتبة | سر من قرأ

# آن بنت الجزيرة

رواية

ترجمة: وليد بن احمد  
مراجعة: نهاد العللاوي



# مكتبة

t.me/soramnqraa

الكاتبة: لوسي مود مونثغومري

عنوان الكاتب: آن بنت الجزيرة

ترجمة: وليد بن أحمد

مراجعة: نهاد المعلوي

خط الغلاف: الفنان عمر الجميني

تنضيد: سعيد البقاعي

تصميم الغلاف: عبد الفتاح بوشندوكة

ر.د.م.ك: 8-6-9990-9938-978

الطبعة الأولى: 2022

جميع الحقوق محفوظة للناشر ©



السعودية - عرعر - حي الجوهرة- شارع الخمسين

الهاتف: 00966-547094709

<https://rashm-store.com>

الإيميل: rashm.ksa@gmail.com



مسكيلياني للنشر والتوزيع

مركز الأعمال، مدينة الشارقة للنشر، المنطقة الحرّة، الشارقة، الإمارات

الهاتف: (+971)508386699 أو (+216)21512226

الإيميل: anizos55555@yahoo.fr

إلى كل فتيات العالم اللواتي  
رغبن في معرفة المزيد عن «أن»



(1)

## ظلال التغيير

«انتهى موسم الحصادِ وغادَرنا الصَّيفُ»<sup>(1)</sup>.

قالت آن شيرلي، وهي ترنو بعينها الحالمين إلى الحقولِ العاريةِ. كانتْ مُنهمكةً رَفقةً «ديانا باري» في جَنِي التَّفاحِ من بستانِ «غرين غايلز»، لكنَّهما جلستا فيما بعدُ طلبًا للراحةِ عند رُكنِ مُشمسٍ، يُحيطُ بهما زَعْبُ الشوكِ الذي تطايرَ، في أَرْجاءِ الغابةِ، مثلِ سِرْبٍ يحمله جناحُ نسيمِ صيفيٍّ عليلٍ مُضمخٍ بِريحِ السرخسِ. غيرَ أنَّ كلَّ شيءٍ من حولهما كان يُلوح بحلولِ الخريفِ. كان هديرَ البحرِ يتناهى إلى الأسماعِ من بعيدٍ، وكانتِ الحقولُ عاريةً وجافةً تُوشحُها الأكاليلُ الذهبيةُ، وقد علتْ كواكبُ دُرِّيَّةٌ بلونِ البنفسجِ وجةَ الجدولِ الفائضِ الذي ينبعُ من «غرين غايلز»، واكتستْ بحيرةُ المياهِ البراقةِ بزرقَةَ لا تُضاهي، فهي ليست مُتدرِّجةً كزُرقةِ الربيعِ، ولا لازورديَّةً شاحبةً كزُرقةِ الصَّيفِ، وإنَّما كانت زرقَةً صافيةً، وهادئةً، وثابتةً، كأنَّ الماءَ جرَّبَ كلَّ الأحاسيسِ والأمزجةِ، ثمَّ استقرَّ عليها في هدوءٍ لا تنزلُ ساحتَه الأعلامُ المتقلِّبةُ.

مكتبة

t.me/soramnqraa

(1) سفر جريمايا الآية 20: 8.



قالت ديانا مُبتسمةً وهي تقلّب خاتمها الجديدَ في إصبعِ يدها  
اليسرى:

- كان صيفاً رائعاً، تُوجّ بزواجِ الأنسةِ لافندر. لا شكّ أنّ  
السيدَ إيرفينغ وعروسه وصلاً إلى سواحلِ المحيطِ الهادي  
الآن.

تنهّدت آن وقالت:

- يُخيّل إليّ أنّهما سافرا منذُ مدّةٍ طويلةٍ تكفيّ للطوافِ حولِ  
العالمِ. مازلتُ لا أصدّق أنّهما قد تزوّجا منذُ أسبوعٍ فحسبُ.  
لقد تغيّر كلُّ شيءٍ منذُ أن رحلتِ الأنسةِ لافندر، وغادر  
السيدُ آلان وزوجته. كم بدا منزلُ القسّ موحِشاً حينَ رأيتُ  
نوافذه موصدةً الليلةَ الماضيةَ! شعرتُ أنّ كلّ أهله قد لقوا  
حتفهم.

قالت ديانا بنبرةٍ قاتمةٍ:

- لن نحظى قطُّ بقسٍّ في لطفِ السيدِ آلان. أتوقّع قدومَ كثيرين  
منهم هذا الشتاء، وأتوقّع أيضاً أنّ بعضَ الأحادِ ستمرّ دونَ  
مواعظ. وبغيابك أنتِ وجلبرت، ستكونُ الحياةُ رتيبةً حتّى  
الفضاعة.

«سيكونُ فريداً هنا»، لمّحت أنّ بمكر.

سألت ديانا متظاهرةً بأنّها لم تسمعْ ملاحظةَ آن:

- متى تنتقلُ السيدةُ ليند إلى هنا؟

- عَدَا. أَنَا سَعِيدَةٌ بِقُدُومِهَا، لَكِنِّي أَرَاهُ تَغْيِيرًا آخَرَ. بِالْأَمْسِ،  
أَخْلَيْتُ رِفْقَةً مَارِيلاً غُرْفَةَ الضُّيُوفِ. أَتُصَدِّقِينَ أَنِّي كَرِهْتُ  
فَعَلَ ذَلِكَ؟ الْأَمْرُ سَخِيفٌ طَبَعًا، غَيْرَ أَنِّي رَاوَدَنِي شَعُورٌ  
بِتَدْنِيْسِهَا. لَقَدْ بَدَتْ لِي هَذِهِ الْغُرْفَةُ دَوْمًا مَكَانًا مُقَدَّسًا مِثْلَ  
ضَرِيحٍ. حِينَ كُنْتُ طِفْلَةً، اعْتَقَدْتُ أَنَّهَا أَرْوَعُ غُرْفَةٍ فِي الْوُجُودِ.  
لَا شَكَّ أَنَّكَ تَذْكُرِينَ رَغْبَتِي الْحَارِقَةَ فِي النَّوْمِ عَلَى فِرَاشِ غُرْفَةِ  
ضُيُوفٍ، لَكِنْ لَيْسَ فِي تِلْكَ الْغُرْفَةِ فِي غَرِينِ غَايِلِز. آوَه، لَا،  
إِطْلَاقًا! كَانَتِ التَّجْرِبَةُ سَتَكُونُ فِطِيعَةً، وَمَا كَانَ سَيَغْمَضُ  
لِي جَفْنٌ مِنْ فَرْطِ الرَّهْبَةِ. فَأَنَا لَمْ أُوْطِئِ بِلَاطِ تِلْكَ الْحُجْرَةِ  
قَطُّ حِينَ كَانَتْ مَارِيلاً تُرْسِلُنِي إِلَيْهَا، لَمْ يَحْضُلْ ذَلِكَ قَطْعًا،  
فَقَدْ كُنْتُ أَجْتَازُهَا عَلَى أَطْرَافِ أَصَابِعِي، وَأَحْبِسُ أَنْفَاسِي  
كَأَنِّي فِي كَنِيسَةٍ، وَلَا أَتَنَفَّسُ الصُّعْدَاءَ إِلَّا فَوْزَ خُرُوجِي مِنْهَا.  
كَانَتْ صُورُ جُورْجِ وَآيْتِفِيلْدِ وَدُوقِ «وَلِينْغْتُونِ» مُعَلَّقَةً عَلَى  
جَانِبِي الْمِرَاةِ، وَكَأَنَّا يَعْْبَسَانِ فِي وَجْهِي كُلَّمَا مَرَرْتُ مِنْ هُنَاكَ،  
وْخُصُوصًا كُلَّمَا تَجَرَّأْتُ عَلَى اخْتِلَاسِ النَّظَرِ إِلَى الْمِرَاةِ الْوَحِيدَةِ  
فِي الْبَيْتِ، تِلْكَ الَّتِي لَا تُحَرِّفُ صُورَةَ وَجْهِي قَلِيلًا. لَطَالَمَا  
تَسَاءَلْتُ عَنْ مَصْدَرِ جُرْأَةِ مَارِيلاً وَهِيَ تَنْظِفُ تِلْكَ الْغُرْفَةَ،  
لَكِنَّهَا الْيَوْمَ، لَمْ تُنْظَفْهَا فَحَسْبُ، وَإِنَّمَا جَرَدَتْهَا مِنْ كُلِّ أَثَائِهَا،  
وَأَنْزَلْتُ صُورَ الدُّوقِ وَجُورْجِ وَآيْتِفِيلْدِ، وَنَقَلْتَهَا إِلَى رَذْهَةِ  
الدَّوْرِ الْعُلُويِّ.

اخْتَمَّتْ أَنْ حَدِيثَهَا بِابْتِسَامَةٍ يَشُوبُهَا بَعْضُ النَّدَمِ، وَقَالَتْ:

«ذاك هو مصير العظيمة والمجد في هذا العالم! إنه يشق علينا أن نرى مقدساتنا تُدنس بهذا الشكل، حتى لو زال اهتمامنا بها».

تأوهت ديانا للمرة الألف، وقالت:

- ستشتد وحدثي بعد رحيلك، خاصةً وأنتِ راحلة الأسبوع المقبل!

قاطعتها آن مُبتهجة:

- لكننا الآن معاً، ولن ندع كدر الأسبوع القادم يسرق منا فرحة هذا الأسبوع. أنا أيضاً أبغض فكرة الرحيل ومُتعلقةً جداً ببيتنا. أفتحدثين عن الملل وأنا من يجدرُ به النحيب! ستبقي هنا برفقة فريد وكثيرين من رفاقك القدامى! بينما سأجد نفسي وحيدة بين غرباء لا أعرف منهم أحدا!

قالت ديانا وهي تضغطُ مخارج حروفها:

- باستثناء جلبرت وتشارلي سلون.

وافقتها آن بنبرةٍ ساخرة:

- سيكون تشارلي سلون عزاءً كبيراً.

وحينئذٍ، انخرطت الفتاتان المُستهترتان في الضحك. فطالما خاضتا في أحاديث خاصةٍ شتى. وكانت ديانا تعرفُ رأيَ آن في تشارلي سلون، بيد أنها لم تكن تُحيطُ برأيها في جلبرت بلايث. وفي الواقع، فإنَّ آن نفسها كانت تجهلُ رأيها فيه.

أردفت آن:

- كُلُّ مَا أَعْلَمُ هُوَ أَنَّ الْفِتْيَةَ سَيُقِيمُونَ فِي الطَّرْفِ الْآخِرِ مِنْ «كينغسبورت». أَنَا سَعِيدَةٌ بِذَهَابِي إِلَى «ريدْموند»، وَوَأَثَقَةٌ مِنْ أَنَّ الْمَكَانَ سَيَرُوقِنِي بَعْدَ بُرْهَةٍ. لَكِنِّي أَعْلَمُ عِلْمَ الْيَقِينِ أَنِّي لَنْ أَبْتَهَجَ كَثِيرًا طِيلَةَ الْأَسَابِيعِ الْقَلِيلَةِ الْأُولَى، وَلَنْ يَتَوَفَّرَ لِي تَرْفُ التَّطَلُّعِ إِلَى زِيَارَةِ بَيْتِنَا آخِرِ الْأُسْبُوعِ، مِثْلَمَا سَبَقَ أَنْ حَدَّثَ لِي حِينَ كُنْتُ أَدْرُسُ فِي «كُوَيْنز»، وَسَتَكُونُ أَعْيَادُ الْمِيلَادِ حُلْمًا صَعَبَ الْمَنَالِ.

قَالَتْ دِيَانَا وَقَدْ غَشَى الْأَسَى صَوْتَهَا:

- كُلُّ شَيْءٍ بِصَدَدِ التَّغْيِيرِ، أَوْ هُوَ بِالْآخِرَى عُرْضَةٌ لِلتَّغْيِيرِ. أَشْعُرُ أَنَّ الْأُمُورَ لَنْ تَبْقَى عَلَى حَالِهَا أَبَدًا يَا آن.

تَسَاءَلَتْ آن وَهِيَ تَتَمَعَّنُ الْأَمْرَ:

- أَفْتَرِضُ أَنَّ طُرُقَنَا سَتَفْتَرِقُ الْآنَ. ذَاكَ قَدَرْنَا. أَتَظُنِّينَ يَا دِيَانَا

أَنَّ بُلُوغَنَا سَنَ الرَّشْدِ كَانَ بِالرَّوْعَةِ الَّتِي تَخَيَّلْنَاهَا فِي صِبَانَا؟

أَجَابَتْ دِيَانَا، وَهِيَ تُدَاعِبُ خَاتَمَهَا مَجْدَدًا، وَتَرْسُمُ ابْتِسَامَةً

كَانَتْ دَوْمًا خَلِيقَةً بِإِثَارَةِ سُخْطِ آن، وَإِشْعَارِهَا بِتَضَاؤِهَا وَقِلَّةِ خَبْرَتِهَا

أَمَامَهَا:

- لَا أَدْرِي. ثَمَّةَ أَشْيَاءَ جَمِيلَةٍ فِيهِ. بَلْ إِنَّ فِيهِ أُمُورًا عَدِيدَةً

مُدْهَشَةٌ أَيْضًا. أَشْعُرُ أحيانًا بِالْخَوْفِ مِنْ بُلُوغِي سَنَ الرَّشْدِ،

وَأَتَمَنَّى أَنْ أَعُودَ طِفْلَةً صَغِيرَةً.

قَالَتْ آن مُبْتَهَجَةً:

«أظنُّ أننا سنعتادُ ذلكَ بمرورِ الوقتِ. ستقلُّ دهشتنا كلما كبرنا، لكن ستظلُّ المفاجآتُ هي ما يمنحُ الحياةَ طعمها. نحنُ في الثامنةَ عشرةَ يا ديانا. وسنبُلُغُ العشرينَ بعدَ سنتينِ. عندما كنتُ في العاشرةِ، كنتُ أتصوِّرُ أنَّ سنَّ العشرينِ هو بدايةُ الشيخوخةِ. سرعانَ ما ستصبحينَ سيِّدةَ رصينةَ في مُتصَفِ العُمُرِ، وسوفَ أصيرُ العمَّةَ آن، الأنسةَ العُجوزَ اللطيفةَ، وسوفَ أزورُكَ أثناءَ العطلِ. ستحتفظينَ لي دومًا بمكانٍ في بيتك، أليسَ كذلكَ يا عزيزتي دي؟ لن يكونَ غرفةَ الضيوفِ طبعًا، لأنَّ العوانِسَ العجائزَ لا يَحُلُمنَ بها، وسأكونُ متواضعةً مثلَ أوريا هيب<sup>(1)</sup>، وأقنعُ بمكانٍ صغيرٍ فوقَ الشُّرفةِ، أو بحُجيرةٍ خارجَ الرِّدهةِ. أردفتَ ديانا قائلةً، وهي تضحكُ:

- هراءُ يا آن. سوفَ تتزوَّجينَ رجلًا ثريًا، ورائعًا، ووسيمًا، ولن تَلِيقَ بمقامِكِ أيُّ غرفةٍ ضيوفٍ في «آفونلي»، وسوفَ تسمخينَ بأنفِكِ على كلِّ أصدقاءِ الصِّبا. قالتَ آن، وهي تُرَبِّتُ على أنفِها:

- يا للخسارة، أنفي جميلٌ، لكنني قد أفسدُهُ لو رفعتُهُ هكذا. ليسَ لديَّ الكثيرُ من الملامحِ الجذَّابةِ، ولا أملكُ ترفَ إتلافٍ ما أحوزُهُ منها. ولن أشمخَ بأنفي عليكِ يا آن حتَّى لو تزوجتُ ملكَ جزيرةِ آكلي البشرِ.

(1) إحدى شخصياتِ رواية «ديفيد كوبرفيلد» للروائي الإنجليزي تشارلز ديكنز.

افترقتِ الصَّبِيَّانِ وهما تضحكانِ. عادتُ ديانا إلى «أوركارد سلوب»، وسارتُ آن نحو مركزِ البريدِ حيثُ وجدتُ رسالةً في انتظارِها. وحينَ التَّحقَّ بها جلبرتُ بلايث فوقَ جسرِ بُحيرةِ المياهِ البراقَةِ، كانتُ تتألَّقُ من فرطِ الحماسَةِ.

صاحتُ آن:

- بريسيلا غرانت ستذهبُ إلى «ريدmond» أيضًا. أليسَ ذلكَ رائعًا؟ كم رجوتُ أن تفعلَ ذلكَ، لكنَّها لم تحسبَ قطُّ أن والدها قد يمنحُها موافقتهُ، غيرَ أنه وافقَ، وسوف نقطنُ معًا. أستطيعُ مواجهةَ جيشِ جرّارٍ أو كلَّ كتيبةِ الأساتذةِ في «ريدmond» مع صديقةٍ مثلَ بريسيلا في صَفِّي.

قال جلبرتُ:

- أظنُّنا سنُعجَبُ بـ«كينغسبورت» إعجابًا جمًّا. قيلَ لي إنَّها مدينةٌ عتيقةٌ وجميلةٌ، وسمعتُ أنَّها تحوي أجملَ منتزهٍ في العالمِ، وأنَّ مناظرَها الطَّبيعيَّةَ خلَّابةٌ.

همستُ آن، وهي تجولُ في المكانِ بنظرةٍ حانيةٍ مُبتَهجةٍ تُميزُ أولئكَ الذينَ يظلُّ «البيت» بالنسبةِ إليهم أجملَ مكانٍ في العالمِ:  
- لا أظنُّها أجملَ مِن هنا.

كانا يستندانِ إلى الجسرِ فوقَ البُحيرةِ، وينهلانِ من سحرِ الغسقِ، في البقعةِ عينيها التي تسلَّقتها آن بُعيدَ غرقِ قاربِها، يومَ جرفَ التَّيارُ الإينِ إلى مدينةِ «كاملوت». وفي الغُربِ، كانتِ الشَّمسُ

المائلة إلى المغيب لا تزال تصبغ السماء بحلّة أرجوانية، بينما كان القمر  
يزغ رويدًا رويدًا، فيحوّل بنوره مياه البحيرة إلى حلم فضي رائع.  
ونسجت الذكريات حول كليهما سحرًا عذبًا خفيًا.

«أنت هادئة جدًا يا آن»، بدد جلبرت الصمت أخيرًا.

«أخشى إن أنا تكلمت أو صدرت عني أي حركة أن يختفي  
كل هذا الجمال مثلما تبدد لحظة صمت»، قالت آن بصوت لا يُسمع  
إلا همسًا.

فجأة، وضع جلبرت يده على اليد الناصعة الرقيقة الممسكة  
بحاجز الجسر. صارت عيناه العسليةتان داكيتين في الظلام، وافترت  
شفتاه الطفوليتان عن أحاديث الحلم والأمل اللذين ملأ وجدانه.  
لكن آن سحبت يدها، ودارت على عقبها بسرعة، وفسد سحر  
اللحظة.

صاحت غير مكترثة بالأمر:

- عليّ العودة إلى البيت. شكّت ماريلا الصّداع هذه الظهيرة،  
وأنا واثقة من أن التوأمن قد أتيا حماقات مُرعبة. ما كان  
يجدر أن أتغيّب طويلًا.

لم تكف عن التثرثرة طيلة الوقت الذي استغرقه الطريق إلى  
«غرين غايلز»، ولم تترك جلبرت البائس فرصة ليفتح فاه. وحين  
افترقا، غمر أن ارتياح عارم. فمُنذ لحظة البوح العابرة في حديقة  
قصر الصدى، صار جلبرت، في أعماقها، معنى جديد وغامض.

لَقَدْ تَسَلَّلَ أَمْرٌ مَّا غَيْرُ مَأْلُوفٍ إِلَى صِدَاقَتَيْهَا الْقَدِيمَةِ وَالْمِثَالِيَّةِ الَّتِي  
تَعُودُ إِلَى أَيَّامِ الْمَدْرَسَةِ، أَمْرٌ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يُفْسِدَ كُلَّ شَيْءٍ.

فَكَرَّتْ فِي الْأَمْرِ بِمَزِيجٍ مِنَ الْاِسْتِيَاءِ وَالْحُزْنِ، وَهِيَ تَسِيرُ عَلَى  
الدَّرْبِ بِمُفْرَدِهَا:

- «لَمْ أَبْتَهِجْ قَطُّ بِانْصِرَافِ جَلْبَرْتِ مِنْ قَبْلِ. سَتَفْسُدُ صِدَاقَتُنَا  
إِذَا أَصَرَ عَلَى هَذَا الْهَرَاءِ. لَا يَجِبُ أَنْ تَضِيعَ، لَنْ أَسْمَحَ بِذَلِكَ.  
أَوْه، لَمْ لَا يَتَحَلَّى الْأَوْلَادُ بِشَيْءٍ مِنَ الْحِكْمَةِ!».

انزَعَجَتْ أَنْ لِأَنَّه لَمْ يَكُنْ مِنَ الْحِصَافَةِ أَنْ تَظَلَّ يَدُهَا تَشْعُرُ بِيَدِ  
جَلْبَرْتِ الدَّافِئَةِ، مِثْلَمَا شُعِرَتْ بِهَا أَثْنَاءَ اللَّحْظَةِ الْعَابِرَةِ فَوْقَ الْجِسْرِ. لَمْ  
يَكُنْ شُعُورُهَا بِمُتَعَةٍ تِلْكَ اللَّحْظَةِ سَدِيدًا أَيْضًا، فَقَدْ بَدَأَ مُخْتَلِفًا تَمَامًا عَمَّا  
خَاجَهَا حِينَ جَلَسَتْ بِالْقُرْبِ مِنْ تَشَارِلِي سَلُونِ، بَعْدَ رُقْصَةٍ فِي حَفْلِ  
فِي «وَايْت سَانْدِز»، مُنْذُ ثَلَاثِ لَيَالٍ. ارْتَجَفَتْ أَنْ بِسَبَبِ هَذِهِ الذِّكْرَى  
السَّيِّئَةِ. لَكِنَّ كُلَّ الْمَتَاعِبِ الَّتِي تَسَبَّبَ فِيهَا الْعَاشِقَانِ الْمَغْرُورَانِ نُفِضَتْ  
مِنْ ذَهْنِهَا مَا إِنَّ وَجَحَتْ بَيْئَةَ مَطْبِخِ «غَرِينِ غَايِلِز» الْمَعْتَادَةِ، حَيْثُ  
وَجَدَتْ الصَّبِيَّ ذَا السَّنَوَاتِ الثَّمَانِيَةِ يَنْتَحِبُ عَلَى الْأَرِيكَةِ.

«مَا خَطْبُكَ يَا دَايْفِي؟ أَيْنَ مَارِيلا وَدُورَا؟»، سَأَلَتْهُ أَنْ وَهِيَ  
تَضُمَّهُ إِلَى صَدْرِهَا.

شِهَقَ دَايْفِي:

- مَارِيلا تَضَعُ دُورَا فِي فِرَاشِهَا، وَأَنَا أَبْكِي لِأَنَّ دُورَا سَقَطَتْ  
مِنْ أَعْلَى سَلَامِ الْقَبْرِ رَأْسًا عَلَى عَقَبٍ، وَجُرِحَ أَنْفُهَا.



- أوه، طيبٌ، لا تبكِ يا عزيزي. أنت، طبعًا، حزينٌ من أجلها،  
لكنَّ البكاءَ لن يساعدها. غدا، ستكون بخيرٍ. لا ينفعُ البكاءُ  
أحدًا يا صغيري دايفي، و...

قطع دايفي على أن موعظتها وهو يتلمّظ المارة:

- لستُ أبكي لأنَّ دُورا سقطت في القبو، بل لأنِّي لم أشهد  
سقوطها. يفوتني كلُّ المرحِ دومًا.

حبست أن ضحكتهَا، وقالت:

- أوه، دايفي! أتعدّ سقوطَ دُورا المسكينة من علٍ مرّحًا؟  
قال دايفي متحدّيًا:

- لم يُصَبها أذى بالغ. لو ماتت لحزنت كثيرًا، طبعًا. لكنَّ آل  
كايث لا يموتون بسهولة، شأنهم في ذلك شأن آل بلويت،  
على ما أعتقد. سقط هارب بلويت من أعلى مخزن التبن  
يومَ الأربعاء الماضي، وتدرّج من كوة في اللفت، لسقط  
وسَط الإسْطَبْل، تحت حوافر حصانِ جامحٍ مُخيفٍ، وخرج  
حيًا، ولم يُصَب سوى بثلاثة كُسور. تقول السيِّدة ليند إنه  
ثمّة أشخاصٌ لا يمكنك قتلهم حتّى بساطور. هل ستأتي  
السيِّدة ليند غدًا يا آن؟

- نعم يا دايفي، وأرجو أن تكون لطيفًا ومهذبًا معها.

- سأكون طيبًا ولطيفًا. لكن هل ستحملني إلى سريري ليلاً؟

- ربّما. لماذا؟

أجاب دأيفي بحزم:

- لآني، إذا فعلت ذلك، لن أتلو صلواتي أمامها مثلما أفعل وأنا برفقتك يا آن.

- لم لا؟

- لآني لا أظن أن مناجاة الله أمام الغرباء أمر جيد. فلتتل دورا صلواتها على السيدة ليند، أما أنا فلن أفعل. سأنتظر انصرافها، ثم أتلوها. أليس ذلك جيدًا؟

- أجل، يكون جيدًا إذا لم تنس تلاوة صلواتك يا صغيري دأيفي.

- أوه، لن أنسى. أراهنك. ففي تلاوتها مرخ هائل. لكنه لا يضاهي المرخ الذي أحصل عليه عند تلاوتها عليك. أتمنى أن تبقى بالبيت يا آن. لا أرى لرحيلك داعيًا.

- لن أرحل لآني أريد الرحيل يا دأيفي، لكن، لأنه يجدر بي فعل ذلك.

- لا تذهبي إذا كنت لا تشائين. أنت راشدة. حين أبلغ سن الرشد، لن أفعل شيئًا واحدًا لا أريد فعله يا آن.

- ستجد نفسك، طيلة حياتك، تأتي أشياء لا تريد فعلها يا دأيفي.

قال دأيفي رافضًا الأمر رفضًا باتًا:

- لن أفعل. أنت تهذين. في الوقت الراهن، أفعل أمورًا لا

أَرْغَبَ فِيهَا، كَالخُلُودِ إِلَى النَّوْمِ مَثَلًا، عِنْدَمَا تَرَسِلَانِنِي أَنْتِ  
وَمَارِيلا إِلَى الْفِرَاشِ وَلَا أَكُونُ رَاغِبًا فِي ذَلِكَ. لَكِنَّكُمَا لَنْ  
تَسْتَطِيعَا إِرْغَامِي عِنْدَمَا أَكْبُرُ، وَلَنْ يُمَلِّيَ عَلَيَّ أَحَدٌ أَوْامِرَهُ.  
أَصْدِقِينِي الْقَوْلَ يَا آنَ، فَمِيلَتِي بُولْتَرِي يَدَّعِي أَنْ أُمَّهُ تَقُولُ إِنَّكَ  
سَتَرَتَادِينَ الْجَامِعَةَ بَحْثًا عَنِ زَوْجٍ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟، أُرِيدُ أَنْ  
أَعْرِفَ.

امْتَعَضْتَ أَنْ لَوْهَلَةَ، ثُمَّ ضَحِكْتَ وَهِيَ تُذَكِّرُ نَفْسَهَا بِأَنَّ بَدَاءَةَ  
أَفْكَارِ السَّيِّدَةِ بُولْتَرِي وَسُقُوطِ خِطَابِهَا لَا يَجِبُ أَنْ يُؤْذِيَاهَا.  
- لَا، يَا دَائِنِي. سَوْفَ أَذْهَبُ لِأَدْرُسَ وَأَتَعَلَّمُ أَشْيَاءَ عَدِيدَةَ.  
- أَيَّ أَشْيَاءَ؟  
أَنْشَدْتَ آنَ:

«أَحَدِيَّةٌ، وَسَفْنٌ، وَشَمْعٌ أَخْتَامِ

وَحَبَّاتٌ مَلْفُوفٍ، وَمَلُوكٌ»<sup>(1)</sup>

لَكِنَّ دَائِنِي الَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الْمَسْأَلَةُ، أَلَحَّ قَائِلًا:

- كَيْفَ سَتُبْلِينِ إِذَا أَرَدْتَ الْإِيْقَاعَ بِزَوْجٍ؟ أَوَدُّ أَنْ أَعْرِفَ.  
قَالَتْ أَنْ دُونَ تَفْكِيرٍ:

- يَجْدُرُ بِكَ أَنْ تَسْأَلَ السَّيِّدَةَ بُولْتَرِي. أَظُنُّهَا تَعَلَّمُ أَكْثَرَ مِنِّي حَوْلَ  
الْمَسْأَلَةِ.

(1) مقتطفٌ من كتاب «عَبْرَ الْمَرَاةِ» لِلْكَاتِبِ الْبَرِيْطَانِي لُويسِ كَارُولِ صَاحِبِ «أَلَيْسَ فِي  
بِلَادِ الْعَجَائِبِ».

قَالَ دَائِفِي بِقَلْتِي:

- سَأَسْأَلُهَا حَالَمَا أَرَاهَا.

صَاحَتْ أَنْ، وَقَدْ تَحَقَّقَتْ مِنْ زَلَّتِيهَا:

- دَائِفِي، إِنْ تَفَعَّلَ ذَلِكَ...!

اِحْتَجَّ دَائِفِي وَقَدْ اعْتَرَاهُ شُعُورٌ بِالْغَبْنِ:

- لَكِنَّكَ طَلَبْتَ لِلتَّوَّ أَنْ أَفْعَلَ ذَلِكَ.

قَالَتْ أَنْ، مُحَاوِلَةً التَّخْلُصَ مِنَ الْوَرَطَةِ:

- حَانَ وَقْتُ النَّوْمِ.

بُعِيدَ خُلُودِ دَائِفِي إِلَى النَّوْمِ، قَصَدَتْ أَنْ جَزِيرَةَ فيكتوريا  
لِلنُّزْهَةِ. وَجَلَسْتُ هُنَاكَ بِمَفْرَدِهَا، يَلْفُهَا ضِيَاءُ الْقَمَرِ الشَّاحِبِ، بَيْنَمَا  
تَعَانَقُ النَّسِيمَ وَالْجُدُولُ فِي رَقْصَةٍ مَمْتَعَةٍ. كَانَتْ أَنْ تُحِبُّ ذَلِكَ الْجُدُولَ.  
فَكَمْ مِنْ حُلْمٍ نَسَجْتَهُ فِيهَا مَضَى قُرْبَ مِيَاهِهِ الْمُتَلَأَلِيَّةِ. نَسِيَتْ عَشَّاقَهَا  
الْمَتِيمِينَ، وَأَحَادِيثَ جِيرَانِهَا الْمَاكِرِينَ اللَّادِعَةَ، وَكُلَّ الْمَتَاعِبِ الَّتِي  
وَسَمَتْ صِبَاهَا. وَسَرَحَتْ بِخَيَالِهَا فَوْقَ أَمْوَاجِ الْمُحِيطَاتِ. فَقَادَهَا  
نَجْمُ الْمَسَاءِ إِلَى الشَّوَاطِئِ النَّائِيَةِ السَّاطِعَةِ، شَوَاطِئِ «الْأَرْضِ الْخِرَافِيَّةِ  
الْمَقْفَرَةِ»<sup>(1)</sup> حَيْثُ فُقِدَتْ آثَارُ «أَطْلَنْطُسَ» و«إِلِيزِيُومَ»، وَأَوْصَلَهَا إِلَى  
«أَرْضِ رَغْبَةِ الْقَلْبِ»<sup>(2)</sup>. فَكَانَتْ أَحْلَامُهَا أَكْثَرَ سَخَاءً مِنَ الْوَاقِعِ،

(1) بيت من قصيدة «أغنية إلى عندليب» للشاعر البريطاني جون كيتس 1817.

(2) «أرض رغبة القلب» هو عنوان مسرحية للشاعر الإيرلندي والكاتب الدرامي بتلر

لأنَّ كُلَّ ما تَدْرِكُه الأَبْصارُ يَتَلاشَى، بَيْنما يَبْقَى كُلُّ ما خَفِيَ عَناها  
خالداً<sup>(1)</sup>.

---

(1) سفر كورنثوس الثانية، الآية 4:18.

(2)

## أَكَالِيلُ الْخَرِيفِ

مَرَّ الْأُسْبُوعُ الْمُوَالِي سَرِيعًا، مُكْتَظًّا «بِالْأَشْيَاءِ الْأَخِيرَةِ» كَمَا كَانَتْ تَدْعُوهَا أَنْ، تَلْكَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي لَا تَنْتَهِي. كَانَ عَلَيْهَا إِجْرَاءُ مَكَالِمَاتِ التَّوَدِيعِ وَاسْتِقْبَالِهَا، تَلْكَ الْمَكَالِمَاتِ الَّتِي كَانَتْ لَطَافَتُهَا تُقَاسُ بِمَدَى تَعَاظُفِ الْمُتَّصِلِينَ مَعَ طُمُوحَاتِ أَنْ أَوْ تَعَارُضِهَا مَعَهَا، إِذْ حَسِبَ بَعْضُهُمْ أَنَّ ارْتِيَادَهَا الْجَامِعَةَ سَيُضَخِّمُ كِبْرِيَاءَهَا، وَأَنَّ مِنْ وَاجِبِهِمْ كَبْحُ جِمَاحِهِ.

ذَاتَ مَسَاءٍ، أُحِيَتْ جَمِيعَةُ تَطْوِيرِ مَدِينَةِ «أَفُونَلِي» حِفْلٍ وَدَاعٍ عَلَى شَرَفِ أَنْ وَجَلِبَرْتِ بِمَنْزِلِ جُوزِي بَاي. وَقَعَ الْاِخْتِيَارُ عَلَى ذَلِكَ الْمَكَانِ، لِأَنَّ بَيْتَ السَّيِّدِ بَاي كَانَ كَبِيرًا، وَمَلَاتْمًا، مِنْ نَاحِيَةِ، وَلِأَنَّ الْجَمِيعَ، مِنْ نَاحِيَةِ أُخْرَى، ظَنُّوا أَنَّ مَا مِنْ دَوْرٍ يَلِيقُ بِنَاتِ آلِ بَاي أَفْضَلَ مِنْ دَوْرِ الْمُضِيفِ. اسْتَمْتَعَ الْجَمِيعُ، لِأَنَّ بِنَاتِ بَاي كُنَّ وَدُودَاتٍ، وَلَمْ يَأْتِينَ شَيْئًا قَدْ يُعَكِّرُ صَفْوَةَ الْحِفْلِ. فَقَدْ نَحَلَّتْ جُوزِي عَلَى غَيْرِ عَادَتِهَا بُلُطْفٍ شَدِيدٍ، بَلَغَ حَدَّ الْإِشَادَةِ بِثِيَابِ أَنْ:

- فُسْتَانُكَ الْجَدِيدُ يَلَائِمُكَ تَمَامًا يَا أَنْ، تَكَادِينَ تَبْدِينَ فِيهِ جَمِيلَةً.  
رَدَّتْ أَنْ وَهِيَ تَرْمُقُهَا بِنِظْرَةٍ مَآكِرَةٍ:

- هذا من لطفك.

تطوّرت رُوحُ الدُّعابةِ لديها، وصارتِ الكَلِماتُ التي كانت تجرُّحُها في سنِّ الرَّابِعةِ عشرةً، تجعلُها تكاد تبسّم. شكّت جوزي أنّ سُخريةً ما كانت تلوح خلفَ نظرةِ آن الماكرةِ، لكنّها سرعان ما انتقمت لنفسِها منها حين وشّوت «جرتي» على السّلام:

- سترين كيف يتعاضمُ عُروُرُ آن شيرلي بعد ذهابِها إلى الجامعة. حضرَ الحفلَ كلُّ الرِّفاقِ القُدّامى الذين كانوا يتقدّون بهجةً وحماسًا: ديانا باري، بوجنتيها المُتورّدتين يُصاحبُها فريد المُخلص، جاين أندروز، بجديتها وحكمتها، روبي جيليس، بجماها الأخاذ ترفل في سُترةٍ من الحرير، وقد علقت وُرودَ القَرَنفُل في شِعْرِها الذهبِيّ، جلبرت بلايث وتشارلي سلون يتعقبان آن قدر الإمكان، كاري سلون، الشّاحبة الحزينة، لأنّ والدها، كما يُذاع، لم يَسمح لأوليفر كيمبل بالاقتراب من مكانِ الحفل، مودي سبيرجون، ماكفيرسون المزاجِيّ، بأذنيه المُدوّرتين الكريهتين، بيلي أندروز، الذي ظلّ جالسًا طيلة السّهرة، في إحدى الزّوايا، يذهل كلّما جاذبه أحدُهم أطرافَ الحديث، ويحدّق بأن شيرلي وقد علت ساحتَه العريضة المنمّشة، ابتسامه وسيعه.

علمتُ أنّ مُسبقًا بأمرِ الحفل، لكنّها كانت تجهل أنّها وجلبرت، بصفتيهما مؤسّسي الجمعيّة، سيحظيان بخطابِ شُكرٍ وثناءٍ، ويمنحان بعض الهدايا. حظيت أنّ بأعمالِ شكسبير الكاملة، ونال جلبرت قلما ثمينًا. ودّهشت للكلماتِ الرّقيقةِ في الخطابِ الذي تلاه مودي

سبِرْ جُونِ بِصَوْتِهِ الْجِدِّيِّ الرَّصِينِ، حَتَّى خَضَلَتْ الدَّمُوعُ عَيْنَيْهَا  
الْوَاسِعَتَيْنِ الرَّمَادِيَّتَيْنِ. فَقَدْ عَمِلَتْ بَجْدٍ وَإِخْلَاصٍ فِي جَمْعِيَّةِ تَطْوِيرِ  
مَدِينَةِ «أَفُونِي»، وَأَثْلَجَ صَدْرَهَا كُلَّ الثَّنَاءِ الْجَادِّ عِرْفَانًا بِمَجْهُودَاتِهَا.  
كَانَ الْجَمِيعُ عَلَى قَدْرِ مِنَ اللُّطْفِ، وَالْمُودَّةِ، وَالْبَهْجَةِ، حَتَّى بَنَاتِ آلِ  
بَاي. وَفِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ، خَفَقَ قَلْبُهَا لِلْعَالَمِ بِأَسْرِهِ.

أَمْضَتْ أَنْ سَهْرَةً رَائِقَةً، قَبْلَ أَنْ تَسُوءَ الْأُمُورُ فِي نَهَائِهَا. فَقَدْ  
أَخْطَأَ جَلْبَرْتٌ مَجْدَدًا حِينَ هَمَسَ لَهَا بِكَلَامٍ مَعْسُولٍ وَهُمَا عَلَى طَاوِلَةِ  
العِشَاءِ، فِي الشَّرْفَةِ، تَحْتَ ضَوْءِ الْقَمَرِ. تَوَدَّدَتِ أَنْ، عِقَابًا لَهُ، إِلَى  
تِشَارِلِي سَلُونِ، وَسَمَحَتْ لَهُ بِمُرَافَقَتِهَا إِلَى بَيْتِهَا. لَكِنَّهَا اِكْتَشَفَتْ أَنَّ  
الانْتِقَامَ يَتْرُكُ عَطْبًا أَعْمَقَ فِي رُوحِ الشَّخْصِ الَّذِي يَقُومُ بِهِ. فَقَدْ سَارَ  
جَلْبَرْتٌ بِرَفْقَةِ رُوبِي جِيلِيسِ، وَكَانَ بُوَسْعِ أَنْ سَمَاعُهَا يَضْحَكَانِ،  
وَيَتَحَدَّثَانِ بِمَرَحٍ، وَهُمَا يَتَسَكَّعَانِ فِي نَسِيمِ الحَرِيفِ الهَسِّ. اسْتَمْتَعَا  
بِوَقْتِهَا دُونَ شَكِّ. بَيْنَمَا شَعُرَ تِشَارِلِي سَلُونِ بِمَلَلٍ رَهِيْبٍ. تَحَدَّثَ  
دُونَ انْقِطَاعِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْبَسَ بِأَمْرِ مَثِيرٍ لِلْاهْتِمَامِ، حَتَّى عَلَى وَجْهِ  
الصُّدْفَةِ. فَاكْتَفَتْ أَنْ، شَارِدَةَ الذَّهْنِ، بِ «نَعَمْ»، أَوْ «لَا»، وَظَلَّتْ  
تُفَكِّرُ فِي مَدَى جَمَالِ رُوبِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ، وَفِي عَيْنِي تِشَارِلِي الْجَاحِظَتَيْنِ  
فِي ضَوْءِ الْقَمَرِ، وَفِي حَقِيقَةِ هَذَا الْعَالَمِ الَّذِي لَمْ يَكُنْ مَكَانًا لَطِيفًا كَمَا  
ظَنَّتُهُ فِي بَدَايَةِ اللَّيْلَةِ.

قَالَتْ بَارْتِيَاكِ، حِينَ أَلْفَتَ نَفْسَهَا بِمَفْرَدِهَا دَاخِلَ غُرْفَتِهَا:

- أَنَا مُتَعَبَةٌ فَحَسْبُ، هَذَا كُلُّ مَا حَصَلَ لِي.

اعْتَقَدْتُ أَنَّ ذَلِكَ اعْتِقَادًا قَاطِعًا، لَوْلَا أَنَّ مُوجَةً مِنَ الفَرَحِ غَمَرَتْ



قَلْبَهَا فِي اللَّيْلَةِ الْمُوَالِيَةِ، حِينَ رَأَتْ جَلْبَرْتَ يَسِيرَ فِي الْغَابَةِ الْمَسْكُونَةِ،  
ثُمَّ يَعْبُرُ الْجِسْرَ الْحَشْبِيَّ الْعَتِيقَ فِي خَطَوَاتِهِ السَّرِيعَةِ الْحَازِمَةِ. لَمْ يَكُنْ  
يُنْوِي قَضَاءَ اللَّيْلَةِ الْمَاضِيَةِ بِرِفْقَةِ رُوبِي جَيْلِسٍ، إِذْن!

قال جلبرت:

- آن، يبدو عليك الإرهاق.

قالت آن باستياء:

- أنا مُتعبةٌ، والأسوأ أنّي مُستاءةٌ. تعبْتُ مِنَ الْخِيَاطَةِ، وَحَزَمِ  
حَقَائِبِي، طِيلَةَ الْيَوْمِ. وَاسْتَأْتُ لِأَنَّ سَتَّ سَيِّدَاتِ قَدِيمِنَ  
لِتُودِيعِي قُلْنَ أَشْيَاءَ تَنْزِعُ الْفَرَحَةَ مِنَ الْحَيَاةِ، وَتَرْكُهَا كَثِيْبَةً  
قَائِمَةً مِثْلَ صَبَاحِ شَتْوِي.

علّق جلبرت بظرف:

لسن سوى هرر هرماّتِ حقودات!

قالت آن بجديّة:

- اوه، لا، لسن كذلك، وهنا لبُّ المُشكِلة. لو كُنَّ هِررًا  
حقوداتٍ، لما اكرثتُ هنن. لكنّ جميعهنّ لطيفاتٌ، وطيباتٌ،  
وحنوناتٌ، أحبهنّ ويحببني، فأثر فيّ ما قلن كثيرا. أخبرنني  
أنّ ذهابي إلى «ريدموند» ومحاولتي الحصول على الإجازة يُعدّ  
ضربًا من الجنون، وصرتُ منذ ذلك الحين أتساءل عما إذا كنّ  
على حقّ. لقد تنهّدتُ حرّم بيتر سلون ورجتُ أن أحافظ على  
طاقتي حتّى النهاية، فتخيّلتنني، في الحين، ضحيّةً بائسةً بظهر

مقوس، عند نهاية الفصل الدراسي الثالث. وقالت حرم  
 إيبن رايت إن أربع سنواتٍ بريدموند باهضة التكاليف،  
 فشعرتُ بالذنب لتبديد مالي ومال ماريلا في حماقة كهذه.  
 وأمّلتُ حرمُ جاسبر بيل ألا تُفسد الجامعة خلقي كما فعلتُ  
 بكثيرين، فرأيتني، بعد أربع سنواتٍ في «ريدموند»، كائنًا لا  
 يُحتمل، يدعي في العلم معرفةً، ويحتقر الجميع في «آفونلي».  
 أمّا إليشا رايت فأطلعتني سرّ فتيات «ريدموند»، لا سيّما  
 اللواتي انتمين إلى «كينغسبورت»، بعد أن صرن يُبالغن في  
 تأنقهن، فخمّنت أنّي لن أرتاح بينهنّ، وتحيلتني صبيّة ريفيّة  
 بملابس رثية، تجوب أروقة الجامعة بحذاءها الحشن.

ختمتُ أنّ حديثها بمزيج من الضحك والتنهّد. فقد كانت  
 شخصيتها الحساسة تنوءُ بثقل كلِّ رفضٍ، حتى وإن كان صادرًا عن  
 أشخاصٍ لا تحترم آراءهم كثيرًا. صارت الحياة، في الوقت الراهن،  
 بلا طعم، وتلاشى الطموح كما تذبلُ شمعةٌ.

احتجّ جلبرت:

- أنت لا تكثرين لأقوالهنّ بالتأكيد، تعرفين ضيق آفاقهنّ،  
 رغم لطافتهنّ يا آن. هنّ لا يتقبلن ما نقوم به من أعمالٍ لم  
 يُحاولنها من قبل. أنت أول فتاةٍ في «آفونلي» ترتاد الجامعة،  
 وكلّ رائد، في نظرهنّ، مجنونٌ.

«أعرف ذلك»، ردّت آن، «لكنّ المعرفة والإحساس أمران  
 مختلفان. يُخبرني الحسّ السليم بكلّ ما قلته لي، لكنه يفقد سطوته

عليّ في أوقاتٍ مّا، فيجتأحني الجُنون. في الواقع، أعوزتني الشّجاعةُ  
لأتمّ حزمَ حقائبي بعد رحيلِ السيّدةِ إليشا.

- أنت مُرهقةٌ فحسبُ يا آن. انسِي كلَّ شيءٍ وتعالِي! لتنزّه!  
لتجوّل في الغابِ، خلفَ المُستنقع! سأُريك أمرًا يُفترض أن  
يكون هناك.

- يُفترض؟ ألا تعرف إذا كان هناك أم لا؟

- لا، أعرف فقط أنّي رأيته هناك في الربيع. تعالِي! سنزعمُ أنّنا  
طفلان يتبعان اتجاهَ الرّيح.

انطلقا في حُبورٍ. كانتُ آن، التي تذكّرتُ أحداثَ اللّيلةِ الماضيةِ  
المؤلّمة، بالغة اللّطافةِ تجاهِ جليبرت الذي حاول أن يبدو أكثرَ حكمةً،  
فلم يتجاوزَ دورَ رفيقِ المدرسةِ القديم. وعبرَ نافذةِ المطبخ، كانتُ  
ماريلا والسيّدةُ ليند تشهدان ميلادَ علاقتها.

أوماتِ السيّدةُ ليند:

- ستوطدُ علاقتها يومًا مّا.

رُمشتُ عينًا ماريلا قليلا. كانت ترجو ذلك في أعماقها، لكنّها  
لم تُرد أن تتلقَى الخبرَ كثرثرةٍ بسيطةٍ تخرجُ من بين شفّتي السيّدةِ ليند.  
فأجابتها باقتضابٍ:

- مازالا طفلين.

ضحكتِ السيّدةُ ليند بدماثةٍ:

- بلغتُ أنّ الثامنةَ عشرة. لقد تزوّجتُ في مثلِ سنّها. لكننا

جُبلنا، معشرَ القدامى، على فكرة أنّ الأطفال لا يكبرون قطّ، هذا هو السبب. أنّ شابّةً ناضجةً، وجلبرت صار رجلا، وهو يعبد التراب الذي تدوسه برجليها، لا أحد يفوته ذلك. إنّهُ شابٌّ لطيفٌ، ولن تجد أنّ أفضلَ منه. أرجو ألا تتورّط في أيّ علاقةٍ تافهةٍ في «ريدموند». فأنا لا أثق بالمدارسِ المختلطةِ قطّ.

وأنتِ خطّابها باستنتاج عميق:

- لذلك لا أعتقد أنّ طلاب هذه المدارس يفعلون شيئاً آخر غير المغازلة.

قالت ماريلا مبتسمةً:

- عليهم أن يدرّسوا قليلاً.

قالت السيّدة رايتشل:

- قليلاً جدّاً. لكنني واثقةٌ من أنّ أنّ ستهتمّ بدراستها. لم تهتمّ بالمغازلةِ قطّ. لكنّها لا تعرفُ قيمةَ جلبرت الحقيقية. اوه!، لقد خبّرتُ أمورَ الصّبايا جيّداً. تشارلي سلون متيمٌّ بها أيضاً، لكنني لا أنصحّها بالزّواج من أحدِ أفرادِ أسرةِ سلون. إنّهم طيّبون، ونزهاءٌ، ومحترمون، طبعا، لكنهم يظّلون من آلِ سلون مهما قيل عنهم.

أومأت ماريلا برأسها. قد تبدو فكرةُ «آل سلون هم آل سلون» غامضةً بالنسبة إلى الغرباء، لكنّها أدركت معناها، إذ تضمُّ كلُّ قريةٍ

أُسْرَةً مِثْلَ آلِ سَلُونٍ: طَيِّبِينَ، نُزْهَاءَ، مُحْتَرَمِينَ، لَكِنَّهُمْ مِنْ آلِ سَلُونٍ،  
وَسَيِظَلُّونَ كَذَلِكَ.

تسكع جلبرت وأن، اللذين يجهلان أن مستقبلهما صار بين  
يدي السيدة رايتشل، عبر ظلال الغابة المسكونة. اصطبغت التلال،  
بعد موسم الحصاد، بلون العنبر الذي كان انعكاساً لحمرة شمس  
الأصيل المنسحبة أسفل سماء زرقاء ووردية شاحبة. وألقت الجبال  
البرونزية البعيدة ظلالها الممتدة على المروج المرتفعة. وشدا النسيم  
حولهما بنشيد خريفي عزفت ألعانه أغصان الصنوبر.

انحنت أن لتقطف باقة سرخس كساه الجليد، وقالت:

- صار الغاب مسكوناً بالذكريات القديمة.

ثم أطلقت ضحكة معطرة بالذكريات:

- يخيل إلي أن الفتاتين الصغيرتين، ديانا وأنا، ما تزالان تلعبان  
هنا، وتجلسان قرب نبع الحوريات ساعة الشفق، وتواعدان  
الأشباح. أتعلم، لن أتمكن قط من السير على هذا الدرب،  
عند الغسق، دون الرجفة والخوف القديمين! كان ثمة شبح  
مخيف مميّز اختلقناه سوياً: شبح الطفل المقتول الذي كان  
يُباغت الجميع من الخلف، ويلمس أصابعهم بأصابعه  
المتجمدة. لا أكف عن تخيل خطواته الصغيرة الخفية خلفي  
حين آتي إلى هنا، بعد حلول الظلام. لا تخيفني السيدة  
البيضاء، ولا الرجل مقطوع الرأس، ولا الهياكل العظمية،  
لكنني أتمنى لو آتي لم أخلق ذاك الرضيع الشبح.

غَلَّتْ غِلَالُهُ بِنَفْسِجِيَّةِ الْغَابَاتِ الْمَحِيطَةِ بِأَطْرَافِ الْمُسْتَنْقَعِ، عِنْدَمَا  
عَثَرَ عَلَى مَبْتِغَاهُمَا، بَعْدَ أَنْ اجْتَازَا حَقْلًا لِأَشْجَارِ التَّنُوبِ الْكَالِحَةِ،  
وَوَادِيًا مُشْمِسًا تَمْلُؤُهُ أَشْجَارُ الْقَيْقَبِ.

مكتبة  
t.me/soramnqraa

قال جلبرت بنبرة رُضًا:

- اه، ها هو أخيرًا!

صاحتُ آن منشِرحَةَ الصِّدْرِ:

- شجرةُ تَفَاحٍ، هنا!

- أجل، وتُوتِي أَكَلَهَا أَيْضًا، بَيْنَ أَشْجَارِ الصَّنُوبِ وَالزَّانِ،  
وعلى مسافةٍ مِيلٍ كَامِلٍ مِنْ أَيِّ بَسْتَانٍ. كُنْتُ هُنَا الرَّبِيعَ  
الْمَاضِي، حِينَ عَثَرْتُ عَلَيْهَا مَزْهَرَةً فِي حُلَّةٍ بِيضَاءٍ. فَفَرَّرْتُ  
الْعُودَةَ خَرِيفًا لِأُرَى إِذَا مَا صَارَتْ الْأَزْهَارُ ثَمَارًا. انظري!،  
إِنَّ أَغْصَانَهَا مَثْقَلَةٌ بِالتَّفَاحِ الَّذِي يَبْدُو مَصْفَرًّا، لَكِنْ خُدُودَهُ  
حَمْرَاءَ. إِنَّ أَغْلَبَ تَفَاحِ الشَّتَلَاتِ الْبَرِّيَّةِ أَخْضَرٌ، وَلَا يُغْرِي  
بِالْأَكْلِ.

قالتُ آن بنبرةِ الحَالِمِ:

- أَظْنَهَا نَبَتَتْ تِلْقَائِيًّا بِسَبَبِ بَذْرِهِ مُلْقَاةٍ مِنْذَ أَعْوَامٍ. أَيِّ إِصْرَارٍ  
تَسَلَّحْتَ بِهِ؟، وَأَيِّ شَجَاعَةٍ تَحَلَّتْ بِهَا لِتَنْمُوَ وَتُزْهَرَ بِمَفْرِدِهَا  
فِي وَسْطِ غَرِيبٍ عَنْهَا؟

- انظري! هُنَاكَ شَجَرَةٌ طُرِحَتْ أَرْضًا، وَعَلَيْهَا وَسَادَةٌ مِنْ  
الطَّحَالِبِ، فَكَأَنَّهَا مَقْعُدٌ خَشْبِيٌّ. اجلسي يَا آن، رَيْثَمَا أَسَلَّقُ

الشَّجَرَةَ وَأَجْلُبُ بَعْضَ التُّفَّاحِ! إِنَّهَا عَالِيَةٌ جَدًّا! لَا بَدَّ أَنْ  
أَغْصَانَهَا تَتَطَّلَعُ إِلَى نَوْرِ الشَّمْسِ.

كَانَتْ حَبَّاتُ التُّفَّاحِ شَهِيَّةً حَقًّا، إِذْ لَاحَ بِيَاضُهَا تَحْتَ قَشْرِهَا  
الْمُصْفَرَّةِ، وَتَمَتَّعَتْ عِلاوَةً عَلَى مَذَاقِ التُّفَّاحِ الْأَصْلِيِّ، بِنَكْهَةِ بَرِّيَّةٍ طَيِّبَةٍ  
لَا يَضَاهِيهَا مَذَاقُ تَفَّاحِ الْبَسَاتِينِ.  
عَلَّقْتَ أَنْ:

- لَا تَفَّاحَ يَمْلِكُ هَذِهِ النِّكْهَةَ النَّادِرَةَ! تَفَّاحُ الْجَنَّةِ نَفْسُهُ لَا يَتَمَيَّزُ  
بِهَا! أَظَنَّ أَنْ عَلَيْنَا الْعُودَةَ إِلَى بِيوتِنَا. انظُر! مِنْذُ دَقَائِقِ ثَلَاثٍ  
كَانَ الشَّفَقُ بَادِيًّا، وَالْآنَ حَلَّ ضَوْءُ الْقَمَرِ. مِنَ الْمُؤَسِّفِ أَنَّ لَمْ  
نَشْهَدْ لِحِظَةَ التَّحَوُّلِ. إِنَّهَا لِحِظَةٌ عَابِرَةٌ.

- حَسَنًا، نَنْعَطِفُ حَوْلَ الْمُسْتَنْقَعِ، وَنَعُودُ أُدْرَاجِنَا عَبْرَ دَرَبِ  
الْعِشَاقِ. أَمَا زِلْتِ مَسْتَاءَةً يَا أَنْ؟

- لَا. كَانَتْ حَبَّاتُ التُّفَّاحِ بَلَسْمًا لِرُوحِي. أَشْعُرُ أَنْ «رِيدْمُونْد»  
سَتَرَوْقُنِي، وَأَنِّي سَأَقْضِي بِهَا أَرْبَعَ سِنَوَاتٍ رَائِعَةٍ.

- وَمَاذَا بَعْدَهَا؟

- رَدَّتْ أَنْ دُونَ اكْتِرَاثٍ.

- أَوْه!، سَأَجِدُ فِي نَهَائِهَا مَنَعَطْفًا آخَرَ. لَيْسَ لِي أَيُّ فِكْرَةٍ عَنِ  
الْأَمْرِ، وَلَا أَوَدُّ أَنْ أَعْرِفَ عَنْهُ شَيْئًا. هَكَذَا أَفْضَلُ.

كَانَ دَرَبُ الْعِشَاقِ فَاتِنًا ذَاكَ الْمَسَاءَ، كَانَ سَاكِنًا، وَبَاهِتًا فِي ضَوْءِ  
الْقَمَرِ الشَّاحِبِ، فَسَارَا عَلَيْهِ فِي صَمْتٍ حَمِيمٍ.

فكرتُ آن في قرارةِ نفسيها:

- لو سلكَ جلبرتُ دائماً سلوكَ هذا المساء، لكان كلُّ شيءٍ  
أجملَ وألطفَ.

ظلَّ جلبرتُ يرنو إليها وهي تسيرُ برقّةٍ، ورشاقّةٍ، في فستانها  
الخفيفِ، فتبدو مثل زنبقةٍ بيضاء، ويقول لنفسه في أسّى:  
هل ستُعيرني اهتماماً وتتعلّق بي يوماً ما؟



(3)

## الوداع

في صباح الإثنين الموالي، غادر كل من تشارلي سلون، وجلبرت بلايث، وأن شيرلي «أيفونلي».

تمت آن طقسًا جميلًا. فقد أزمعت ديانا على أن تُقلها إلى المحطة، ورغبتا أن تكون سفرتهما الأخيرة معًا سفرةً رائقةً. بيد أنه، ما إن خلدت آن إلى النوم ليلة الأحد، حتى كان الريح الشرقي يئنُّ، طائفاً حول «غرين غايلز»، منذراً بنبوءة سيئة تحققت في الصباح. إذ نهضت آن لتجد قطرات المطر تدق نافذتها، وتهطل على صفحة البحيرة الرمادية محدثة دوائر متسعة، وقد لف الضباب التلال والبحر، وبدا العالم مُعتماً وكئيبا.

ارتدت ثيابها مع الفجر الرمادي الحزين، فقد كان عليها أن تُغادر باكراً، لتستقل القطار إلى الميناء. وحسب دموعها وهي تُغادر بيتها العزيز الذي أخبرها حدسها أنها لن تعود إليه مجدداً سوى أثناء العطل. لن تكون الأمور كما كانت عليه قط، لأن العودة إليه في العطل ليست كالعيش به في كل حين. كم صار البيت عزيزاً على قلبها! وتلك الغرفة البيضاء الصغيرة المطلّة على الشرفة حيث عاشت أحلام الصبا، وملكة الثلج، وشجرة التفاح أمام النافذة،

وجدول «فالون»، ونبع الحوريات، والغابة المسكونة بالذكريات،  
ودرب العشاق، وآلاف المواضع التي مرّت منها ذكريات الطفولة!  
هل سيكون بوسعها العثور على سعادة مُماثلة في مكانٍ آخر؟

ذلك الصباح، مرّت وجبة الإفطار حزينّة في «غرين غايلز».  
لم يتمكن دايفي، لأوّل مرّة في حياته، من أكل لقمة واحدة، وظلّ  
ينتحب أمام طبقه. لا أحد كان يشتهي الطّعام، عدا دورا التي  
التهمت طعامها غير مكترثة. كانت كائنًا لا يشغله شيءٌ، مثل  
شارلوت<sup>(1)</sup> الحكيمة الخالدة التي «لم تكفّ عن تناول الخبز والزّبدة»  
بينما كان جُثمانُ عشيقها المتيمّ محمولًا على الأعناق. لا شيء كان  
بوسعه إثارة قلقِ دورا، حتّى اللّيل وأشباهه. كانت آسفةً لرحيل  
آن طبعًا، لكنّ ذلك لم يكن سببًا يكفي كي يشغلها عن الاستمتاع  
ببيضة مسلوقة فوق رغيفٍ من الخبز. وحين امتنع دايفي عن  
الطعام، أكلت بيضته.

وصلت عربةٌ آن في الوقت المحدّد. كانت ترتدي معطفها،  
وبدا وجهها الوردّي متألّقًا. حانت لحظة الوداع. قدّمت السيّدة  
ليند لتعانق آن بحرارة، وتوصيها أن تعتنى بصحّتها أوّلًا. كانت  
عينا ماريلا جافتين حين داعبت وجنتي آن، وأخبرتها أنّها ستنتظر  
منها رسالةً حالما تستقرّ. ولو أنّ أحدًا لا علم له بالأمر كان يُراقب  
الموقف، لاستنتج أنّ رحيل آن لا يعنيه، إلّا إذا دقق النظر في  
عينها. قبلت دورا أنّ باحتشام، وذرفت دمعتين متكلّفتين. أمّا

(1) شخصيّة اشتهرت بصلابتها، من رواية «عذاب الشاب فيرثر» للأديب الألماني جوتة.

دايفي، الذي ظلَّ ينتحبُ في الشُّرفة منذ غادروا طاولة الإفطار، فقد رفضَ توديعها تمامًا. نهض، حين رأى آن قادمةً نحوه، وقفز على سلامِ الدَّورِ العُلويِّ، واختبأ في دولا بٍ ملابسٍ، ورفضَ مُغادرته. وكان نحيبه المكتومُ آخرَ ما تناهى إلى سَمعِ آن، وهي تُغادر «غرين غايلز».

هطلتِ الأمطارُ بغزارةٍ طويلة الوقتِ الذي استغرقه الطَّريقُ إلى «برايت ريفر». هناك، كان عليهم التَّوجُّه إلى المحطة، لأنَّ قطار «كارمودي» لا يبلغ الميناء. حين وصلوا، كان جلبرت وتشارلي قد سبقا الجميع، وكان القطارُ يطلقُ نفيـره. لم تجدْ آن متَّسعا من الوقتِ سوى دقائق لتقطعَ تذكِرةً، وتُسجِّلَ حقائبها، وتُعانقَ ديانا سريعاً، وتُعجِّلَ بالصَّعودِ إلى القطار. تمَّت لو أنَّها عادت إلى «أيفونلي» برفقة ديانا، وعرفت أنَّها ستُعاني الحنينَ إلى الدَّيار. اه، لو يكفُّ هذا المطرُ الكئيبُ عن الهطول! كأنَّ العالمَ بأسره كان يذرفُ الدُّموعَ على انقضاءِ الصَّيفِ وذهابِ البهجة. ولم تجدْ عزاءً حتَّى في وجودِ جلبرت، فقد كان تشارلي سلون هناك أيضاً، ولم يكن بوسعها التَّغاضي عن وجودِ أحدِ أفرادِ أسرةِ سلون سوى في طقسٍ جميلٍ، أمَّا والمطرُ يهطلُ، فإنَّها لا تُطيعه.

حالما غادرتِ السَّفينةُ ميناءَ «شارلوت-تاون»، صارتِ الأمورُ أفضل. كفَّ المطرُ عن الهطولِ، وبزغتِ الشَّمسُ الذهبيَّةُ بين الغيومِ، واكتسبَ البحرُ الرَّماديُّ لوناً نحاسياً، واصطبغَ الضُّبابُ الذي كان يلفُّ شواطئَ الجزيرةِ القرميَّةِ بلونٍ ذهبيٍّ، وبشَّرَ كلُّ ذلكِ بيومٍ

جميل. غير أن دُوارَ البحرِ سرعان ما انتابَ تشارلي سلون، فنزل،  
تاركًا آن وجلبرت وحدهما على ظهرِ السفينة.

قالت آن بنبرةٍ لا تخلو من قسوةٍ:

- من حُسن الحظِّ أن كلَّ أبناءِ سلون يُصابون بدُوارِ البحر. لن  
يسعني توديعُ جزيرتي لو أن تشارلي ظلَّ يقفُ هنا، زاعمًا أنه  
ينظرُ إليها بعيونٍ حاملةٍ.

قال جلبرت دون عاطفةٍ:

- ها قد انطلقنا.

أكدت آن كلامه، وهي ترمُش:

- أجل، صرتُ مثل «تشايلد هارولد»<sup>(1)</sup> في قصيدةِ  
الشاعر «بايرون»، إلا أنني لستُ أرنو إلى مسقطِ رأسي  
«نوفاسكوتيا»<sup>(2)</sup>، فمسقطُ رأسِ المرءِ هي الأرضُ التي  
يعشقها أكثر، وهي، بالنسبة إليّ، جزيرة الأمير «إدوارد»<sup>(3)</sup>.  
لا أصدقُ أنني لم أعش بها كلَّ أيامي، وأعدّ السنواتِ الإحدى  
عشرة التي أمضيتها قبل مجيئي إلى هنا كابوسا. مرّت سبعُ  
سنواتٍ على عبوري على ظهرِ هذه السفينةِ عيناها، في ذلك  
المساء الذي جلبتني فيه السيّدةُ سبنسر من «هوب تاون».

(1) «حجّ تشايلد هارولد»، قصيدة طويلة للشاعر الإنجليزي اللورد بايرون.

(2) إحدى مقاطعات كندا، احتلها الفرنسيون في القرن 17 ثم أخذتها منذ عام 1713.

(3) توجد هذه الجزيرة الصغيرة أمام سواحل ولاية «نيو برانزويك» في المحيط الأطلنطي،  
احتلتها فرنسا، وأخذتها بريطانيا 1758.

لم تفارقني صورتي وأنا أسبر طوابق السفينة ومقصوراتها في فضول، بفتان الكتاني المزري، وقبعتي الباهتة. كان مساءً جميلاً، وكانت شواطئ الجزيرة الحمراء تتلألأ تحت أشعة الشمس. وها أنا أعبّر المضيق مجدداً في الاتجاه المعاكس! اوه، يا جلبرت!، كم أمل أن تعجبني «ريدموند» و«كينغسبورت»، لكنني واثقة من أن ذلك لن يحصل.

- أين راحت فلسفتك يا آن؟

- غمرتها موجة عالية من الوحدة والحين. تقيت إلى «ريدموند» طيلة ثلاث سنوات، والآن، وأنا ذاهبة إلى هناك، أتمنى لو أنني لم أفعل. لا يهم، سأستعيد فلسفتي وانشراحي بعد أن أنتحب برهة. لا بد لي من البكاء، وسأنتظر حتى أدخل فراشي بالمبيت هذا المساء، كي يتسنى ذلك لي. حينذاك، ستستعيد أن ذاتها. أتساءل عما إذا كان دايفي لم يغادر خزانة الملابس بعد؟

تمام التاسعة ليلاً، وصل القطار إلى «كينغسبورت». ألفوا أنفسهم وسط وهج المحطة المكتظة بالمسافرين. شعرت أن بالذهول والحيرة، لكنها سرعان ما التقت بريسيلا غرانت، التي سبقتها إلى هناك يوم السبت.

- ها قد وصلت يا عزيزتي. أفترض أنك على نفس الدرجة من الإرهاق الذي أصابني مساء السبت حين وصولي.

- مرهقة! هذه الصفة وحدها لا تكفي يا بريسيلا. أنا مرهقة،

وقليلةُ الخبرة، وريفيَّةٌ، وأُشبه فتاةً صغيرةً في العاشرةِ من العُمُر. بالله عليك، خذي صديقتك المسكينةَ المتهالكةَ إلى مكانٍ تستفيق فيه من غَشِيَّتِها!

- هناك عربةٌ في انتظارنا. سأخذك إلى المبيتِ رأسًا.

- وجودك هنا نعمةٌ لا توصفُ يا بريسي. لو لم تكوني هنا، لجلستُ فوق حقيبتِي، وذرفتُ دموعًا مريرةً. كم مريحٌ أن تري وجهًا مألوفًا وَسَطَ غابةٍ من الغرباء!

- آن، أليس هذا جلبت بلايث؟ كم كُبر في ظرف سنةٍ! لم يكن سوى صبيٍّ حين كنت أدرّس في «كارمودي». ذاك تشارلي سلون طبعًا. إنّه لم يتغيّر، ولو أراد ذلك لما استطاع. كان بنفسِ المظهرِ عند ولادته، وسيُحافظُ عليه في سنِّ الثمانين على ما أظنّ. من هنا يا عزيزتي، سنصلُ إلى البيتِ في غضونِ عشرين دقيقةً.

قالت آن متأوّهةً:

- البيت! تقصدين مبيتَ الفتياتِ الفظيعِ، بغرفةِ نومِهِ المروعةِ المطلّةِ على باحةٍ قدرةً.

- ليس بهذا السوءِ يا آن. هذه عربتنا. اقفزي داخلها! سيحملُ السائقُ حقيبتك. اوه، المبيتُ، إنّه مكانٌ جميلٌ! صباحَ الغدِ، ستعترفين بذلك، بعدَ أن تُريحك ليلةٌ نومٍ هادئةٌ من ألمِ الحنين. إنّه بيتٌ كبيرٌ، قديمٌ الطراز، مشيدٌ بالحجر الرّماديّ، يقعُ في شارعِ «سانت جون»، على بعدِ خطواتٍ من «ريدmond».

كان يقطنه عليه القوم، لكنّ الموضة تخلّت عن شارع «سانت جون»، ولم يتبقّ لبيوته التي حمل فرطُ ضخامتها ساكنيها على تأجير غرفها للطالبات لإعمارها، سوى استذكار الأيام الخوالي. إنّ ضخامتها سببٌ يكفي، على الأقلّ، لتنجح مالكات البيت في إبهارنا. إنهن رائعاتٌ يا آن، أقصدُ صاحبات البيت.

- كم واحدة تقطنُ هناك؟

- اثنتان: الأنسة هانا هارفي، والأنسة آدا هارفي، توأمٌ في الخمسينات من العمر.

علقتُ آن مُبتسمةً:

- لا مفرّ من التوائم، إنَّها تعترضُ طريقي في كلِّ مكان.

- اوه!، لم تعودا توأمًا مُنذ بلغتا سنَّ الثلاثين. شاخَتِ الأنسةُ هانا، وفقدتُ رشاقتها، بينما بقيتِ الأنسةُ آدا في الثلاثينات، وهدمتُ رشاقتها أيضًا. لا أدري إذا ما كانتِ الأنسةُ هانا تستطيعُ الابتسام، لأنِّي لم أرها تبتسم قطُّ، لكنّ الأنسةُ آدا تبتسمُ طوال الوقت، وذاك أسوأ. غيرَ أنّها لطيفتان، وطيبتان، ولا تستقبلان سوى طالبتين فحسبُ كلِّ سنةٍ، لأنّ الأنسة هانا، المُتصدّة، لا تُطبقُ تبيدَ فضاءِ العُرفِ، وليس ذلك لاحتياجِهما أو اضطرارِهما، كما كرّرتِ الأنسةُ آدا على مَسَمعي طيلة مساءِ السَّبْت. تُفضي عُرفنا مباشرةً إلى رواقٍ، وتُطلُّ عُرفتي على الباحةِ الخلفية. أمّا عُرفتُك فهي

أماميَّة، وتطلّ على مقبرة «سانت جون» العتيقة، الممتدة على طول الشارع.

قالت آن، وقد ارتجفت أوصالها:

- هذا مريعٌ. أظنّ أنّي سأكتفي بمنظرِ الباحةِ الخلفيّة.

- اوه، لا! انتظري حتى ترين! فمقبرة سانت جون بقعةٌ رائعةٌ. صحيح أنها ظلت مقبرةً فترةً طويلةً، لكنّها لم تعدْ كذلك، بل صارت من أجملِ مناظرِ «كينغسبورت». استمتعتُ بالطوافِ بها أمس. يُحيطُ بها جدارٌ حجريٌّ كبيرٌ، وصفٌ من الأشجارِ الضخمة، وبها صفوفٌ أخرى من الأشجارِ، وأغربُ ما رأيتُ فيها شواهدُ قبورٍ عليها نقوشٌ غريبةٌ وأسرةٌ. أراهنك على ارتيادها للدراسة يا آن. لا يُدفن فيها أحدٌ الآن، بالتأكيد، غير أنهم وضعوا، منذ بضعة سنين، نُصبًا تذكاريًا جميلًا تخليدًا لجنودِ «نوفاسكوتيا» الذين سقطوا في حربِ «القرم»، قبالة المدخلِ، وبه «فسحة للخيال» كما اعتدت أن أسميها. ها هي حقيبتك. الفتية قادمون لإلقاء التحيّة. هل عليّ مصافحة تشارلي سلون يا آن؟ يده باردتان دومًا، ولهما ملمسُ السمك. علينا دعوتها أحيانًا. أخبرتني الأنسة هانا أنه بوسعنا دعوة بعض الشبابِ لأمستين في الأسبوع، شرط أن يغادروا باكراً. وشددت الأنسة آدا على ألاّ يقتعدوا وسائدها الجميلة، وقد وعدتها بالسهر على ذلك، لكنّ أين سيجلسون بحق السماء، ربّما



افترشوا الأرض، لأن الوسائد في كل مكان. تحتفظ الأنسة  
أدا بوسادة مُتَقَنَةِ الصُّنْعِ، ونفيسة، حتى فوق البيانو.  
ضَحِكْتُ أَنْ أُخِيرًا. إِذْ نَجَحَتْ ثُرْتُرَةٌ بِرِيسِيلَا المَرِحَةُ فِي التَّرْفِيهِ  
عنها، وتلاشى الحنين إلى الديار في اللحظة الرَّاهِنَةِ، وفتر، حتى  
حين صارت بمفردها في غرفتها الصَّغِيرَةِ. أَطَلَّتْ مِنَ النَّافِذَةِ. كَانَ  
الشَّارِعُ هَادئًا وَمُعْتَمًا. أَرْسَلَ القَمَرُ نورهَ فَوْقَ أَشْجَارِ المَقْبَرَةِ، خَلْفَ  
رَأْسِ أَسَدِ النَّصَبِ التَّذْكَارِيِّ الكَبِيرَةِ والمُظْلَمَةِ. لَمْ تُصَدِّقْ أَنَّ أَتَمَّا  
غَادَرَتْ «غرين غايلز» هذا الصَّبَاحَ فَحَسَبُ. فَقَدْ مَنَحَهَا السَّفْرُ  
والتَّغْيِيرُ شعورًا بِمُرُورِ وَقْتٍ طَوِيلٍ عَلَى رَجِيلِهَا.

قالت في استمتاع:

- أَظَنَّ البَدْرَ مُكْتَمَلًا اللَّيْلَةَ فِي «غرين غايلز». لَكِنِّي لَنْ أَفَكِّرَ فِيهِ،  
خَشِيَّةً أَنْ يُعَاوِدَنِي الحَينُ. لَنْ أَتَّحِبَ اللَّيْلَةَ، سَأُوجِّدُ ذَلِكَ إِلَى  
الوَقْتِ المُنَاسِبِ، وَأُذْهَبُ إِلَى فِرَاشِي بِهَدوءٍ وَمسؤولِيَّةٍ، وَأُخَلِّدُ  
إِلَى النُّومِ.

(4)

## سَيِّدَةُ الرَّبِيعِ

«كينغسبورت» مدينةٌ عتيقةٌ وجميلةٌ. وهي كذلك، منذ أول عهدِها بالاستعمار الذي طبعها بأجوائه القديمة، فتبدت مثل عجوزٍ راقيةٍ ترفل في فساتين الشباب. ومع أنها كانت تلبس ثوبَ الحدائث من حينٍ لآخر، فإنَّ جوهرها لم يتغير، وظلت تضم آثارًا كثيرةً مشوقةً، وتعيش على وقع أساطيرها. وفي الماضي، حين كان الهنود الحمر يدفعون عن المستوطنين رتبة الحياة، كانت تمثل نقطةً فاصلةً على الخدود مع البرية. ثم تنازعتها البريطانيون والفرنسيون، فاحتلها هؤلاء تارةً، وأولئك طورًا، لتخرج بعد كلِّ غزوٍ بندوبٍ جديدةٍ تحمل أسماء الأمم المتناحرة عليها.

تمتاز حدائق «كينغسبورت» بقلعتها التي تسرُّ الزائرين، وبرجها الفرنسيِّ الرابض على التلال خلف المدينة، ومدافعها القديمة المنتشرة في ساحاتها العامة، وتشتهر أيضًا بمواقع أثريةٍ أُخرى تشدُّ الفضوليين، لكنها جميعًا لا تُضاهي جمال مقبرة «سانت جون» وبهجتها، تلك المقبرة التي تحتل قلب المدينة، فتصطف البيوت القديمة الهادئة على جانبي شوارعها من ناحية، وتمتد في كامل أرجائها الطُّرق الحديثة من ناحيةٍ أُخرى.

يفخر كلُّ مواطنٍ في «كينغسبورت» بمقبرة «سانت جون». ويزعمون أن أحد أسلافهم يرقُد بها، وعند رأسه شاهدةٌ تُوثق كلُّ وقائع حياته. لم تكن شواهدُ القبور القديمة بُاهي ولو بشيءٍ يسيرٍ من الفنِّ والمهارة، فأغلبها من الحجارة المحلّية، بينما يُظهر بعضها محاولاتٍ للزينة، فيكسى ببعض الجمّاجم والعظام. خربت قبورٌ كثيرةٌ، ومُحيت شواهدُ كثيرةٌ، واستعصى بعضها على الفهم. ولا تُرى المقبرة إلا مُكتظةً، لأنّها مُسيجةٌ بأشجار الدردارِ والصنصافِ التي يرتاح النَّائمون في ظلّها، فتهددهم الرياح، وتظللهم الأغصان، ولا تزعجهم الجلبة من حولهم.

ظهيرة اليوم الموالي، تجوّلتُ آن في المقبرة. ذهبتُ صباحًا الى ريدموند برفقة بريسيلا، وانتسبتنا إلى الجامعة، ولم يتبقَّ لهما الكثير للقيام به ذلك اليوم. انسحبت الفتاتان في سرورٍ، فلم يكن يُثيرهما أن يُحاطا بالغرباء ذوي الملامح غير المألوفة. إذ اصطفّت طالباتُ الصفِّ الأوّل الحائراتِ في زرافاتٍ صغيرة، بينما تجمّع الطلاب في مجموعاتٍ على سلاّم البهو الرئيسيِّ الكبيرة، وأطلقوا عقائرهم بكلِّ ما أوتوا من فورة الشّباب، في تحدٍّ لأعدائهم التّقليديّين: طلبة السنة الثّانية، الذين كانوا يتسكّعون في الأرجاء يملؤهم ازدراء أولئك الواقفين على السّلام. ولم يكن لجلبرت وتشارلي أيُّ وجودٍ.

قالت بريسيلا، وهما يعبران حرم الجامعة:

- ما كنت أحسبني أحيًا إلى يومٍ تُبهجنني فيه رؤية أحد أبناء

سلون، لكنني قد أرحب بعيني تشارلي الجاحظتين بكل سرور. إنهما على الأقل مألوفتان.

زفرت آن:

- اوه! أعجز عن وصف شعوري حين كنت أقف هناك في انتظار دوري للتسجيل، أحسست أنني قطرة من بحر. إن الشعور بالضالة أمر سيئ أصلاً، فما بالك إذا حُفر في أعماقك حتى لا يمكنك سوى أن تكوني ضئيلة. ذلك ما شعرت به بالضبط، كأنني صرت كائناً مجهرياً لا يرى بالعين المجردة، وقد يدهسه بعض طلبة السنة الثانية.

واستها بريسيلا قائلة:

- انتظري حتى السنة القادمة! سيبدو علينا الضجر حينها مثل طلاب السنة الثانية كلهم. الإحساس بالضالة مُرعبٌ دون شك، لكنني أحسبه أفضل من شعوري بالضخامة، حتى كأنني أعطيت كامل حرم الجامعة. هذا ما شعرت به، لأنني أطول من الجميع ببوصتين. لم أحش أن يدهسني أحد طلاب السنة الثانية، لكنني خفت أن يحسبوني فيلاً، أو عملاقاً من إحدى الجزر يقات على البطاطس.

قالت آن، وهي تجمع شتات فلسفتها المريحة كي تملأ ذهنها المقفر:

- ننسى أن «ريدموند» ليست «كوينز»، وقد استقام الأمر. حين غادرنا «كوينز»، كنا نعرف الجميع، ونملك موضع قدمٍ

في بلدتنا. اعتقدنا أننا سنواصل حياتنا هناك، غير أن البساط  
سُحِبَ مِنْ تَحْتِ أَقْدَامِنَا. أنا مُتَمَنِّةٌ لِأَنَّ السَّيِّدَةَ لِينْدَ، وَالسَّيِّدَةَ  
إِلِيشَا، لَا تَعْلَمَانِ شَيْئًا، وَلَنْ تَعْلَمَا مَا يَدُورُ فِي ذَهْنِي الْآنَ.  
سَيَأْخُذُهُمَا الْحَمَاسُ وَتَقُولَانِ: «قُلْنَا لِكَ ذَلِكَ»، وَتَقْتَنِعَانِ أَتْمَا  
بِدَايَةَ النَّهْيَةِ، بَيْنَمَا لَا يَعْذُو الْأَمْرُ أَنْ يَكُونَ سِوَى نِهَايَةِ الْبِدَايَةِ.  
- بِالضَّبْطِ، هَذِهِ هِيَ آنَ. بَعْدَ بُرْهَةٍ، سَتُعَرِّفُ إِلَى النَّاسِ، وَنَأَلْفُ  
الْمَكَانَ، وَنَكُونُ عَلَى أَحْسَنِ مَا يُرَامُ. آنَ، هَلْ انْتَبَهْتَ إِلَى الْفِتَاةِ  
الْوَاقِفَةِ بِمَفْرَدِهَا طِيلَةَ الصَّبَاحِ قُبَالَةَ بَابِ غُرْفَةِ تَغْيِيرِ الثِّيَابِ،  
تِلْكَ الْجَمِيلَةِ ذَاتِ الْعَيُونِ الْعَسَلِيَّةِ وَالْفَمِ الْمَقْوَسِ؟

- أَجَلْ، انْتَبَهْتُ إِلَيْهَا بِصِفَةِ خَاصَّةٍ، لِأَنَّهَا الْكَائِنُ الْوَحِيدُ الَّذِي  
بَدَأَ لِي دُونَ أَصْدِقَاءِ، كَانَتْ وَحِيدَةً مِثْلِي. فِي الْوَاقِعِ، أَنَا لَدَيْ  
أَنْتِ، أَمَا هِيَ فَوْحِيدَةٌ تَمَامًا.

- أَظَنُّهَا مَغْتَرَّةً بِجَمَاهَا. رَأَيْتُهَا تَهَمُّ مَرَارًا بِالْقُدُومِ نَحُونَا، لَكِنَّهَا  
لَمْ تَفْعَلْ. رَبِّمَا كَانَتْ خَجُولَةً جَدًّا. تَمَنَّيْتُ لَوْ أَتَتْ قَصْدَتَنَا.  
لَوْلَا أَنِّي كُنْتُ بِضَخَامَةِ فَيْلٍ، لَذَهَبْتُ إِلَيْهَا، لَكِنِّي لَمْ أَقْوُ  
عَلَى اجْتِيَازِ الرَّذْهَةِ الْكَبِيرَةِ وَالْفَتِيَّةِ يَصْرُخُونَ فَوْقَ السَّلَامِ.  
إِنَّهَا أَجْمَلُ طَالِبَاتِ الصَّفِّ الْأَوَّلِ، لَكِنَّ هَذَا الْاِمْتِيَازَ مُخَادَعٌ،  
خَاصَّةً فِي يَوْمِكِ الْأَوَّلِ فِي «رِيدْمُونْد»، فَالْجَمَاهُ فَا نِ.

قَالَتْ آنَ:

- أَنْوِي التَّجَوُّلَ فِي مَقْبَرَةِ «سَانْتِ جُون» إِثْرَ الْغَدَاءِ. لَا أَعْلَمُ  
إِذَا مَا كَانَتِ الْمَكَانَ الْمُنَاسِبَ لِلتَّرْوِيحِ عَنِ النَّفْسِ، لَكِنَّهَا

المكان الوحيد المتاح الذي يحوي أشجاراً، وأنا أحتاج إليها.  
سأجلس على إحدى الألواح الحجرية العتيقة، وأغمض  
جفني، وأحسب نفسي في غابات «آفونلي».

لكنها لم تفعل شيئاً مما قالت، لأن ما وجدته من إثارة في مقبرة  
سانت جون أبقى على جفنيها مفتوحين.

عبرت آن وبريسيلاً بوابة الدخول، ثم القوس الحجري الضخم  
الذي يعلوه الأسد، رمز إنجلترا.  
«.....»، قرأت آن في رهبة.

ألفيتا نفسيتها في بقعة خضراء باردة ومعتمة تدمم بها الرياح.  
فتسكعتا في الدروب الطويلة المعشوشبة، وقرأتا الشواهد الضخمة  
الجميلة التي نُقشت في زمان كان وقته متاحاً أكثر من اليوم. قرأتا  
على شاهدة رمادية بالية:

«هنا يرقد جثمان ألبرت كراو فرد، الحارس الوفي المدفعية جلالته  
في «كينغسبورت». خدّم الجيش حتى حلول السلام في 1763،  
حين تقاعد بسبب تدهور صحته. كان ضابطاً شجاعاً، وزوجاً  
وفياً، وأباً حنوناً. توفي في 29 أكتوبر 1792 بسن الرابعة والثمانين».

- هذه شاهدة تُناسبك يا بريسي، لأنها تقدح الخيال. لا بد أن  
حياته كانت مليئة بالمغامرات. أمّا خصاله، فلا أظنّ المديح  
يُحيط بها. أتساءل إذا ما كانوا أثنوا عليه في حياته؟

قالت بريسيلا:

- هذه شاهدةٌ أخرى. أنصتي!:

«إلى ذكرى ألكسندر روس، الذي توفي في الثاني والعشرين من سبتمبر 1840، بسنّ الثالثة والأربعين. نُصبت هذه الشاهدةُ عرفانًا من شخصٍ خدمه الفقيهُ سبعمائة وعشرين سنةً، فعده فيها صديقًا جديرًا بكلِّ ثقته ومودّته». قالت آن متمنّنة:

- شاهدةٌ مُميّزةٌ. لن أتمنى أفضل منها. كلُّنا خدمٌ بشكلٍ أو بآخر، وإذا كان إخلاصنا سيُحفرُ على شواهدِ قبورنا، فنعم المنية. انظري! هنا قبرٌ صغيرٌ حزينٌ يا بريسي: «إلى ذكرى طفلٍ محبوبٍ».، وهذا آخر: «ضريحٌ إلى ذكرى شخصٍ مدفونٍ في مكانٍ آخر». أتساءل عن مكانِ ذلك القبرِ المجهول! في الواقع، لن تكون القبور اليوم بهذا الجمال يا بريس، إطلاقًا. كنت محقّقة. عليّ المجيءُ إلى هنا مرارًا. لقد وقعتُ في حبِّ هذا المكان. انظري! لسنا بمفردنا هنا. هناك فتاةٌ في طرفِ الدرب.

- نعم، أظنّها الفتاةَ عينها التي رأيتها في «ريدموند» صباحًا. كنتُ أراقبها منذ خمسِ دقائق. لقد شرّعت في اجتياز الدربِ اثني عشرة مرّةً على الأقلّ، وتراجعتُ في كلّ مرّة. فإمّا أنّها خجولةٌ جدًّا، أو أنّها عُرْضةٌ لتأنيبِ الضمير. هيّا بنا لنلتقيها! سيتمّ التعارفُ في المقبرةِ بشكلٍ أيسرٍ منه في «ريدموند».

سارتا عبرَ الرّواقِ الطّويلِ المُعشوشبِ نحو الفتاةِ الغريبةِ التي

اقتعدت وِسَادَةً ضَخْمَةً فَوْقَ لَوْحِ حَجْرِيٍّ رَمَادِيٍّ. كَانَتْ فَاتِنَةً دُونَ  
شُكِّ، وَكَانَ جَمَاهُا سَاحِرًا غَيْرَ مَأْلُوفٍ: شَعْرٌ حَرِيرِيٌّ لَمَاعٌ، وَوَجْتَانِ  
مَدُورَتَانِ لَهَا بَرِيقٌ ثَمَرَةٌ طَازِجَةٌ، وَعَيْنَانِ سَمْرَاوَانِ وَاسْعَتَانِ أَسْفَلَ  
جَفْنَيْنِ سَوْدَاوِينِ مَقْوَسَيْنِ، وَفَمٌّ وَرْدِيٌّ. ارْتَدَّتْ ثَوْبًا بُنِيًّا، وَزَوْجَ  
أَحْذِيَّةٍ جَدِيدًا، وَاعْتَمَرَتْ قَبْعَةً مِنَ الْقَشِّ الْوَرْدِيِّ مَزِينَةً بِشَرَائِطَ  
ذَهَبِيَّةٍ، تُوْحِي بِإِبْدَاعِ صَانِعِ قَبْعَاتِ فَنَانٍ. شَعْرَتْ بِرَيْسِيلا بِوُخْزَةٍ  
لَمَّا تَذَكَّرَتْ أَنَّ قَبْعَتَهَا مِنْ صِنْعِ حِرْفِيٍّ مَحَلِّيٍّ فِي قَرِيَّتِهَا، وَتَسَاءَلَتْ أُنَّ  
فِي انْزِعَاجٍ عَمَّا إِذَا كَانَتِ السُّتْرَةُ الَّتِي صَنَعْتَهَا لِنَفْسِهَا تَبْدُو رَيْفِيَّةً،  
مُقَارِنَةً بِثِيَابِ الْفَتَاةِ الْغَرِيبَةِ الْأَنْيَقَةِ. وَلَوْهَلَةَ، وَدَّتِ الْفَتَاتَانِ لَوْ عَادَتَا  
أَدْرَاجَهُمَا. لَكِنَّهُمَا تَوَقَّفَتَا وَوَجَّهَهُمَا إِلَى اللَّوْحِ الْحَجْرِيِّ الرَّمَادِيِّ.  
فَاتَ أَوَانُ النُّكُوصِ. لَا بُدَّ أَنَّ الْفَتَاةَ ذَاتَ الْعَيْنَيْنِ الْعَسَلِيَّتَيْنِ أَدْرَكَتْ  
أَنَّهِنَّ تَقْصِدَانِهَا. نَهَضَتْ فَوْرًا، وَاتَّجَهَتْ نَحْوَهُمَا، ثُمَّ مَدَّتْ يَدَيْهَا،  
وَرَسَمَتْ ابْتِسَامَةً بِشَوْشَةً، وَدُودَةً، لَا خَجَلَ فِيهَا وَلَا تَأْنِيًّا لِلضَّمِيرِ،  
وَقَالَتْ مُتَحَسِّرَةً:

«اوه! كم أودُّ التَّعَرُّفَ بِكُمْ! لَقَدْ قَتَلَنِي الْفُضُولُ. رَأَيْتُكُمْ فِي  
«رَيْدْمُونِد» هَذَا الصَّبَاحِ. أَخْبِرَانِي!، كَانَ الْأَمْرُ فَطِيعًا، أَلَيْسَ  
كَذَلِكَ؟ كَمْ تَمَنَيْتُ لَوْ بَقِيتُ فِي بَيْتِي وَتَزَوَّجْتُ!».

انْفَجَرَتْ أُنَّ وَبَرَيْسِيلا ضَاحِكَتَيْنِ، وَتَبِعَتْهُمَا الْفَتَاةُ ذَاتُ الْعَيْنَيْنِ  
الْعَسَلِيَّتَيْنِ.

- لَا أَصَدِّقُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ، أَتَعْلَمَانِ؟ لِنَجْلِسَ مَعًا عَلَى  
هَذَا الْقَبْرِ، وَنَتَعَارَفَ، لَنْ يَكُونَ الْأَمْرُ صَعْبًا، أَنَا وَاثِقَةٌ أَنَّنَا



سنتحاب، حدستُ ذلك حالما رأيتكما في «ريدموند» هذا الصباح، ووددتُ أن أتقدم نحوكما وأضمكما.

«لم تفعلي؟»، سألت بريسيلا.

- لأنني، بكل بساطة، كنت مترددة. لا أستطيع اتخاذ أي قرار بمفردي، ويتتابني التردد دومًا. ما إن أهتم بأمر ما، حتى يجتاحني شعورٌ بأن الخيار الآخر هو الصائب. إنه حظي المرعب، لكنني وُلدت هكذا، ولا طائل من إلقاء اللوم على نفسي. لم أتمكن من اتخاذ قرار الحديث إليكما، رغم أنني أردت ذلك بشدة.

«ظنناك خجولة جدًا»، قالت آن.

- أبدًا يا عزيزتي! الحجل ليس من عيوب، أو من شيم فيليبيا جوردون، فيل لو شتتها، نادياني فيل. وأنتما، ما اسمكما؟

أشارت آن:

- هذه بريسيلا جرانت.

قالت بريسيلا:

- وهذه آن شيرلي.

ثم نطقتا معًا في آن:

- ونحن من الجزيرة.

قالت فيليبيا:

- أنا من «بولينغ بروك»، «نوفاسكوتيا».

صاحت آن:

- بولينغ بروك! لقد وُلِدْتُ هناك.

- صدقًا؟ هذا يجعل منك «بلونوز»<sup>(1)</sup> إذن!

ردت آن:

- أبدأ. ألم يقل دان أوكونيل<sup>(2)</sup> إن مَوْلِدَ الرَّجُلِ فِي إسْطَبِلٍ لَا يَجْعَلُ مِنْهُ حِصَانًا؟ أَنَا بِنْتُ الْجَزِيرَةِ حَتَّى النُّخَاعِ.

- حسنًا، أَنَا سَعِيدَةٌ لِأَنَّكَ وُلِدْتَ فِي «بولينغ بروك» عَلَى أَيِّ حَالٍ. هَذَا يَجْعَلُنَا جِيرَانًا عَلَى الْأَقْلَ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟ وَهَكَذَا، لَنْ تَكُونِي غَرِيبَةً عِنْدَمَا أُطْلِعُكَ عَلَى أَسْرَارِي. عَلَيَّ إِطْلَاعُكَ عَلَى أَسْرَارِي، لَا أَسْتَطِيعُ كِتْمَانَهَا، لَا طَائِلَ مِنَ الْمُحَاوَلَةِ. وَهَذَا عَيْبِي الْأَكْبَرُ، عِلَاوَةً عَلَى التَّرَدُّدِ كَمَا أَخْبَرْتُكَمَا. لَنْ تُصَدِّقَانِي، لَكِنِّي اسْتَعْرَقْتُ نِصْفَ سَاعَةٍ فِي اخْتِيَارِ قُبْعَةٍ لِلْمَجِيءِ إِلَى هُنَا، إِلَى مَقْبَرَةٍ! اخْتَرْتُ بَدَاءَةً بَدءِ، قُبْعَةَ الرِّيشِ الْبَنِيَّةِ، وَحَالَمَا وَضَعْتُهَا، فَكَّرْتُ فِي أَنَّ الْقُبْعَةَ الْوَرْدِيَّةَ سَتَكُونُ مَلَأْمَةً أَكْثَرَ، وَبَعْدَمَا شَدَدْتُهَا إِلَى مَكَانِهَا بِعِنَايَةٍ، اخْتَرْتُ الْبَنِيَّةَ بَدَلًا عَنْهَا، وَفِي نِهَايَةِ الْأَمْرِ، وَضَعْتُهَا جَنْبًا إِلَى جَنْبِ عَلَى الْفِرَاشِ، وَأَغْمَضْتُ جَفْنِي، ثُمَّ اخْتَرْتُ وَاحِدَةً بِوَأَسْطَةِ أَحَدِ الدَّبَابِيْسِ. ارْتَدَيْتُ الْوَرْدِيَّةَ لِأَنَّ الدَّبَّوسَ وَقَعَ عَلَيْهَا وَلَا مَسَّهَا. إِنَّهَا تَلَاثَمْنِي، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟ أَخْبَرَانِي، كَيْفَ أَبْدُو لَكَمَا؟

(1) لَقِبُ يُغْدَقُ عَلَى سَكَانِ وَأَصْلِي نَوْفَا سَكوتِيَا.

(2) سِيَّاسِي إِيرْلَنْدِي (1775-1847) سَاهَمَ فِي حِصُولِ إِيرْلَنْدَا عَلَى اسْتِقْلَالِهَا.

انفجرت بريسيلا ضاحكةً، مُجَدِّدًا، مِنَ الْمَفَارِقَةِ بَيْنَ سَدَاجَةِ  
السُّوَالِ وَنَبْرَةِ الطَّرْحِ الْجَادَّةِ. لَكِنَّ أَنْ صَافَحْتُ فِيلِيَا، وَقَالَتْ بَعْفُوِيَّةً:  
- صَبَاحًا، بَدَوْتَ أَجْمَلَ فَتَاةٍ فِي «رِيدْمُونْد».

افتَرَّ ثَغْرَ فِيلٍ عَنِ ابْتِسَامَةٍ سَاحِرَةٍ:

- هَذَا رَأْيِي أَيْضًا. لَكِنِّي احْتَجْتُ إِلَى مَنْ يَدَعُمُهُ. فَأَنَا لَا أَقَرُّ  
حَتَّى بِشَأْنِ مَظْهَرِي. وَمَا إِنْ أَقَرَّرَ أَنِّي جَمِيلَةٌ، حَتَّى يَنْتَابِنِي  
شُعُورٌ بَائِسٌ أَنِّي لَسْتُ كَذَلِكَ. عِلَاوَةً عَلَى ذَلِكَ، تُكْرِّرُ عَمَّةُ  
وَالِدِي فِي زَفْرَةِ حَزِينَةٍ، «كُنْتُ رَضِيعَةً فَاتِنَةً. كَمْ غَرِيبٌ أَنْ  
الْأَطْفَالَ يَتَغَيَّرُونَ حِينَ يَكْبُرُونَ!». أَنَا أَحَبُّ عَمَّاتِي، لَكِنِّي  
أَبْغَضُ عَمَّاتِ وَالِدِي. رَجَاءً، قَوْلَا لِي دَوْمًا أَنِّي جَمِيلَةٌ! كَمْ  
أَشْعُرُ بِالْارْتِيَاكِ حِينَ أُصَدِّقُ أَنِّي جَمِيلَةٌ! سَأَبَادُكُمْ قَوْلًا بِقَوْلٍ  
إِذَا أَرَدْتَمَا.

قَالَتْ أَنْ ضَاحِكَةً:

- أَنَا وَبَرِيْسِيْلَا وَابْتِقَاتَانِ مِنْ حُسْنِ مَظْهَرِنَا، وَلَا نَحْتَاجُ طَمَآنَةً  
مِنْ أَحَدٍ. فَلَا تُرْهَقِي نَفْسَكَ!

- أَوْه! أَنْتُمْ تَسْخِرَانِ مِنِّي. أَعْرِفُ أَنَّكُمْ تَحْسَبَانِنِي مَغْرُورَةً،  
لَكِنِّي لَسْتُ كَذَلِكَ. وَلَا أَبْخُلُ بِإِطْرَائِي عَلَى مَنْ هُنَّ أَهْلٌ  
لَهُ. أَنَا سَعِيدَةٌ بِلِقَائِكُمَا. وَصَلْتُ يَوْمَ السَّبْتِ، وَالْمُنَى الْحَيْنُ  
إِلَى الدِّيَارِ فِي الْحَيْنِ. إِنَّهُ شُعُورٌ بَغِيضٌ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟ أَنَا  
شَخْصِيَّةٌ مَهْمَةٌ فِي «بُولِينغِ بَرُوك»، لَكِنِّي نَكْرَةٌ تَقْرِيْبًا فِي  
«كِينغْسْبُورْت»، وَأَحْيَانًا، يَخْتُنِقُنِي الْحَيْنِ. أَيْنَ تُقِيمَانِ؟

- في شارع «سانت جون»، البيت عدد ثمانية وثلاثين.

- هذا رائع. أتدريان؟ أسكن جواركم، في شارع «والاس». لا أحبُّ المبيتَ الذي أقيم به. إنه كئيبٌ ومسبّبٌ للوحدة، وغُرْفَتِي تطلُّ على باحةٍ خلفيةٍ مُروّعة. إنه أقبح مكانٍ في العالم. أما بالنسبة إلى القِطَط، فأمرُّها مختلفٌ عن قِطَطِ «بولينغ بروك»، طبعًا. هناك، لا تجتمع كلُّ القِطَطِ في البَاحات، ليلاً، وإنما نصفُها. أعشَقُ القِطَطَ التي تغفو على السَّجَادِ قُبالةِ نارِ الموقدِ الدافئة، لكنَّ القِطَطَ التي تملأُ هذه البَاحاتِ الخلفيةَ ليلاً حيواناتٌ مختلفةٌ تمامًا. انتحبتُ طيلةَ ليلتي الأولى هنا، وفعلتِ القِطَطُ أيضًا. لو رأيتُما أنفي في الصُّباحِ المُوالي، ودِدْتُ لو أني لم أغادرِ بيتي قطًّا!

قالت بريسيلا بمرح:

- لا أعلم كيف اتَّخذتِ قرارَ المَجيءِ إلى «ريدموند» ما دُمْتُ كثيرةَ التَّردُّد.

- بوركتِ يا عزيزتي. لستُ مَنْ اتَّخذَ القَرَارَ. والذي من أراد ذلك. رغب فيه بشدّة، ولم أكن أعرف السَّبب. أليس سخيًّا أن يتصوّرني أدرسُ من أجلِ الحصولِ على إجازتي؟ ليس لأنّي لا أقدر على ذلك، لكنني أحرار في استغلال ما لديّ من ذكاء.

قالت بريسيلا في غموضٍ:

- اوه!

- نعم، في استعماله عناءٌ كبيرٌ. كلُّ الحاصلين على الإجازة كائناتٌ محشوةٌ بالمعارفِ والحِكْمَةِ والوَقَارِ. لا، لم أُرِدْ المَجِيءَ إلى «ريدموند». لقد قُمتُ بذلك إرضاءً لوالدي الأبله. أعرفُ، علاوةً على ذلك، أنني لو بقيتُ بالبيتِ لأجبرتُ على الزواج. أرادتُ أمِّي ذلك بشدّة. أمِّي قادرةٌ على اتّخاذِ القرارات. لكنني أكرهُ فكرةَ الزواج، ليس قبل سنواتٍ أخرى على الأقل. أودُّ أن أمرح كثيرًا قبل الاستقرار. أليستُ صُورتي وأنا على شاكلةِ عجوزٍ متزوجةٍ أشدَّ سخافةً من فكرةِ حصولي على الإجازة؟ أكادُ أبلغُ الثامنةَ عشرةَ من عمري. لن يُحصَلَ هذا أبدًا، لذلك فضّلتُ ارتيادَ «ريدموند» على الزواج. ثم، كيف كنتُ سأقرّرُ أيَّ رجلٍ أتزوِّج؟

سألتُ آن ضاحكةً:

- أيوجد الكثير منهم؟

- كانوا أكدا سا. يُعجبُ فتیانُ كثيرونُ بي أيما إعجاب. لكنّ اثنينٍ منهما، فحسبُ، أثارا اهتمامي. أمّا البقية، فكانوا يافعين أو مُعَدِّمين. أتعرفان؟ عليّ أن أتزوِّج رجلاً ثريًا.

- أمضطرةٌ أنت؟

- عزيزتي، هل ترينني زوجةً لرجلٍ مُعَدِّمٍ؟ سأكون عاجزةً عن القيامِ بأيِّ شيءٍ، ثم أنا مسرفةٌ جدًّا. اوه، على زوجي امتلاكُ جبالٍ من المال! لذلك اختصرتُ القائمةَ إلى شائين. لكنني لم أستطعُ أن أقرّرَ بشأنهما، وكأني أختارُ رجلاً من مائتي رجلٍ.

كنت أعرف جيّدًا أنّي لو اخترت أحدهما، فسأندمُ كاملَ حياتي لأنّي لم أختَرُ الآخر.

«ألم تقعي في حبّ أحدهما؟»، سألت آن في تردّدٍ، فالحديثُ إلى أحدِ الغرباءِ عن هذا السرِّ الذي يغيّرُ حياةَ المرءِ تمامًا ليس سيرًا.

- لا، يا إلهي، لم أحبّ أحدًا. ليس هذا من شيمِي. ثمّ، أنّي لا أودُّ الوقوعَ في الحبِّ. إنّه يجعلُ المرءَ عبدًا، ويمنحُ الرّجلَ سببًا لإيذائك. هذا مخيفٌ. لكنّ لا، ليس ألكس وألنوزو، فهما شابّان فاتنان، وكلاهما يعجبانني بشدّة، حتى أنّي أجهلُ مَنْ منهما يشدّني أكثر، وهذا لبُّ المشكلة. ألكس أشدُّ وسامةً، وأنا لا يسعني، طبعًا، الزّواجُ من رجلٍ تنقصه الوسامة. هو هادئٌ الطّباع أيضًا، وشعره فاحمٌ جميلٌ، إنّه كاملُ الأوصاف، لكنّي لا أحبّدُ الزّواجَ من رجلٍ مثاليٍّ لا مجال لديه للخطأ.

«لماذا لا تتزوّجين ألنوزو إذن؟»، قالت بريسيلا بنبرة عميقة.

قالت فيل في أسى:

- أرتبطُ برجلٍ يدعى ألنوزو! لا أظنّني أحتملُ ذلك. لكنّ أنفه كلاسيكيٌّ، ومن الجيّد أن يوجدَ في العائلةِ أنفٌ يُمكننا الاعتمادُ عليه. لا يمكنُ الاعتمادُ على أنفي، فهو سليلُ آل جوردون، لكنّي أخشى أن يتحوّلَ إلى أنفِ آل بايرن كلّما تقدّم بي العُمُر. أنا أفحصُه يوميًّا في قلبي لأطمئنّ على محافظته على إرث آل جوردون. أمّي سليلة آل بايرن، وأنفها كذلك.

انتظرا حتى ترينه. أحب الأنوف الجميلة. أنفك جميل جداً  
يا آن شيرلي. لقد قلب أنف ألونزو الموازين لصالحه. لكن  
ألونزو! لا، لا يسعني اتخاذ القرار! لو أمكنتي فقط أن  
أضعهما جنباً إلى جنبٍ مثلما فعلتُ مع القبعات، وأغمض  
جفني، وأخزهما بدبوس قبعات، لكان الأمر أيسر.

- سألت بريسيلا:

- كيف كان شعور ألكس وألونزو حين قدمتِ إلى هنا؟

- اوه، ما زالوا يتشبثان بالأمل. أخبرتهما أن عليهما انتظارٍ قراري.  
إنهما يُريدان الانتظار. فهما يعشقانني كما صرْتُما تعرفان.  
سأستمعُ كثيراً في الأثناء، فأنا أتوقع الحصولَ على أعدادٍ  
كبيرةٍ من الشباب الواسمين في «ريدموند». لا شيءٌ يسعدني  
أكثر من ذلك. لكن، ألا ترين أن طلاب السنة الأولى ليسوا  
على قدرٍ كبيرٍ من الوسامة؟ لم أرَ غير طالبٍ وسيمٍ بينهم. لقد  
انصرف قبل مجيئكما. سمعتُ صديقه يدعوهُ جلبرت. كان  
لرفيقه عينان جاحظتان، هكذا.. أتويمان الذهاب؟ لا تذهبا  
الآن!

قالت آن برود:

- علينا الذهاب. صار الوقت متأخراً، لدي ما أقوم به.

نهضت فيليبيا، وأحاطت كليهما بذراعيها، وقالت:

- ستأتيان لزيارتي، أليس كذلك؟ وستأذنان لي بزيارتكما. أودّ

أن نُصيِّحَ صديقات. لديّ مشاريع لكُما. لم أزعجكما بعثي،  
أليس كذلك؟

ضحكتُ آن، وقالتُ:

- ليس تماما.

- لستُ غيبيةً كما أبدو. اقبلي فيليبيا جوردون كما خلقها بارئها  
فحسبُ!، بكلّ مساوئها، وأعتقد أنك ستعجبين بها في  
النهاية. أليست هذه المقبرة مكانًا رائعًا؟ كم أودّ أن أُدفنَ  
فيها! هذا ضريحٌ لم أره سابقًا، هذا الذي يحوّطه السّياج  
الحديديّ، انظرا!، تقول الشّاهدة أنّه لِأحدِ الجنود اليافعين،  
لقيّ حتفه في المعركة بين سفينتي «شانون» و«تشيبيك».  
تخيّل ذلك!

وقفتُ آن قربَ السّياج، ونظرتُ إلى الشّاهدة، فارتجفتُ من  
وقع الإثارة. شرّعَ القبرُ القديمُ المُستقرُّ بين الأشجارِ الحانيّة، في  
الدّروبِ المظلّلة، يتلاشى أمامَ عينيها، ورأتُ بدلًا منه صورة  
مرفأ «كينغسبورت» منذ قرنٍ مضى. برزت، بين الضّباب، بارجةٌ  
حربيّةٌ تحمل علم إنجلترا، وتتهادى ببطءٍ، وتبعثها أخرى تحمل  
علمَ الولاياتِ المتّحدة، وقائدُها «لورانس» ملقى على ظهرها.  
عاد الزّمنُ بعيدًا، إلى الفترة التي أبحرتُ فيها البارجةُ «شانون»  
في عرضِ الخليجِ مظفّرًا، وهي تجرُّ البارجةَ «تشيبيك» كغنيمة  
حربٍ.

ضحكتُ فيليبيا، وشدّت ذراعَ آن:



- عودي إلينا آن شيرلي!، عودي! أنت على مسافة مئة عامٍ من الآن. عودي!

عادت آن وهي تُطلقُ زفرةً. تألقتُ عيناها في رقّة، وقالت:

- طالما أحببتُ تلك القصةَ القديمة. أحببتها رغم انتصار الإنجليز، لشجاعة قائدها المهزوم. يبدو أن هذا القبرَ يجعلها حقيقيةً إلى حدٍّ كبير. لم يتجاوزَ هذا الجنديُّ الثمانيةَ عشرةَ من عُمره حينذاك، وتقولُ الشاهدةُ إنه «مات متأثرًا بجراحه البليغة». إنها أُمّنيّةٌ كلُّ مُحارب.

انتزعتُ آن زهراتِ الثالوثِ البنفسجيةِ التي كانت ترتديها، وأراحتها برفقٍ، على قبرِ الفتى الذي قضى نحبه في المعركةِ البحريّةِ الكبرى.

سألتُ بريسيلا بعد انصرافِ فيل:

- حسنًا، ما رأيكِ بصديقتنا الجديدة؟

- أعجبتني. فيها شيءٌ مُحبّبٌ، رغم كلِّ هرائها. لا أظنُّها بذلك الغباءِ الذي تحدّثتُ عنه. إنها طفلةٌ جميلةٌ ومدلّلةٌ، ولا أدري إذا ما ستنضجُ يومًا ما.

استفسرتُ بريسيلا بنبرة الحاسم:

- أعجبتني أيضًا. إنها تتحدّث عن الفتيان مثل «روبي جيليس». لكنني حين أستمع إلى روبي يتتابني الغضبُ والغثيانُ، بينما وددتُ أن أضحكُ من حديثِ فيل. ما السببُ يا ترى؟

قالت آن مُتأملَةً:

- الأمرُ مُختلفٌ. تعي روبي جيّدًا تأثيرَها على الفتیانِ. فالحُبُّ مجردُ لُعبةٍ بالنسبةِ إليها. ويخيّل إليّ، أنّها حين تتبجّحُ بعددِ مُعجبيها، تقومُ بذلك لتشعرنا أنّا لا نملكُ حتى نصفهم. في حين تتحدّثُ فيل عن مُعجبيها، كَمَن تتحدّثُ عن رفاقِها. هي تَسْتَمْتِعُ برؤيةِ الفتیانِ يحومون حولها لأنّها تحبُّ أن تبدو شعبيةً ومحبوبةً. وحتى ألكس وألوزو، اللذين لن يكون بوسعي أن أفرق بين اسميهما بعد اليوم، فإنّهما ليسا في نظرِها أكثرَ من رفاقٍ لهوٍ يُريدان اللّعبَ معها إلى الأبد. أنا سعيدةٌ بلقائِها، وسعيدةٌ بزيارتنا لمقبرةِ «سانت جون». أظنّني مددْتُ، هذه الظّهيرة، جذورًا صغيرةً في تربةِ «كينغسبورت». أمل ذلك حقًّا، لأنّي أبغضُ الشُّعور بأنّ جذوري تمّتدّ في تربةٍ أخرى.

(5)

## رسائل من «آفونلي»

طيلة الأسابيع الثلاثة المؤالية، تواصل شعور بريسيلا وأن بالغبرة، ثم أخذت الرؤيئة تتضح بشكل مفاجئ: ريدموند، والأساتذة، والفصول، والطلاب، والدروس، والحياة الاجتماعية. عادت الحياة متجانسة، بعد تشظيها. شكل الطلاب الجدد فصلًا منسجمًا، بدلًا عن الشتات، وصارت توحدهم شعارات من قبيل: رُوح الفصل، وصرخة الانتماء للفصل، ومصالح الفصل المشتركة، وتنافس أعضاء الفصل، وطموح أبناء الفصل. وفازوا بمعركة كلية الآداب السنوية في مواجهة طلبة الصف الثاني، فضمنوا بذلك احترام كل الفصول، واكتسبوا اعتدادًا وثقة كبيرين بأنفسهم.

ربح طلبة الصف الثاني المعركة لثلاث سنوات متتالية خلت، لذلك نُسب النصر المعلق على لواء الطلبة الجدد إلى جلبرت بلايث، القائد المحنك، الذي حشد جنود المعركة، وخطط لها، مما أحبط معنويات طلبة الصف الثاني، وقاد الطلاب الجدد إلى النصر. انتخب جلبرت رئيس فصل الطلبة الجدد تكريمًا له، وكان ذلك منصب شرف ومسؤولية، في رأي الطلبة الجدد على الأقل. ودُعي أيضًا للانضمام إلى نادي «لامبا ثيتا»، أو «اللامب»، كما

يدعونه في «ريدموند»، وكان ذلك شرفاً نادراً بالنسبة إلى طالبٍ جديدٍ.

امثالاً لطقوس التلقين، ظلّ جلبرت، طيلة يوم كامل، يقطعُ الشوارعَ التجاريّةَ الرئيسيّةَ في «كينغسبورت»، معتمراً قلنسوةً ومئزرَ مطبخٍ واسعٍ تطرّزه الأزهار. قام بذلك في انشراح، وكان يرفعُ قلنسوته باحترام كلما اعترض طريقه بعضُ معارفه من السيّدات. أمّا تشارلي سلون الذي لم يُدع إلى الانضمام للنّادي، فقد أخبر أنّه يستغربُ قيامَ بلايث بكلّ ذلك، وأنّه لن يُحمّلَ كلّ هذا الإذلالَ لو دُعِيَ إليه.

قالت بريسيلا مقهقهةً:

- تخيّلِي تشارلي سلون بمئزرٍ وقلنسوةٍ! سيبدو مثل جدّته الهرمة. أمّا جلبرت، فقد حافظَ على مظهره الرّجوليّ المعتاد، حتّى وهو في ثيابه النسائيّة.

خاضتْ آن وبريسيلا بسُرعةٍ في دوامةِ الحياةِ الاجتماعيّةِ بـ «ريدموند»، بوساطةٍ من فيليبا جوردون. كانت فيليبا كريمةً رجلٍ ثريٍّ ومشهورٍ، ينتمي إلى أسرةٍ عريقةٍ من «بلونوز». فجمعتْ بين المكانةِ الاجتماعيّةِ والجمالِ والفتنةِ، ممّا فتح أمامها كلّ أبوابِ الرُّمْرِ، والصّالوناتِ، والطبقاتِ في «ريدموند»، وراحت آن وبريسيلا تتبعانها حيثما حلّت. كانت فيل معجبةً بهما، وبأن، خاصّةً. وكانت تملك قلباً مُخلصاً نقيّاً من الكِبَرِ والتّعالِي. وأشبهتْ عبارتها «أحبّاني، وأحبّاً أصدقائي» شعاراً خفيّاً. أدخلتها في يسرٍ إلى دائرةِ علاقاتها

الموسعة، فشقت فتاتا «آفونلي» طريقيهما إلى مجتمع «ريدmond» بسهولة ومنتعة حسدتها عليهما الطالبات الأخريات اللواتي عدمن مساعدة فيليبيا، واضطررن إلى البقاء في عزلة طيلة موسمهن الأول بالجامعة.

بقيت فيليبيا، بالنسبة إلى آن وبريسلا صاحبتَي النظرة الجادة إلى الحياة، كما وجداها يوم لقاها الأول بها: طفلة مرحة ومحبة. كما كان لها نصيب من الذكاء لا تحسن استغلاله جيداً، كما قالت. وشكل حصولها على مكانٍ أو حيزٍ من الزمن للدراسة لغزاً محيراً، لأنها دائمة الانغماس في الجولات والحفلات المرحة التي تخصصها لمعجبيها. حصلت على جلّ الفتيان الوسيمين، وتنافس أغلب الطلاب الجدد، وجزء كبير من طلبة الصفوف الأخرى، على الفوز بابتسامة من ثغرها. وكان ذلك يصيبها بسعادة ساذجة، فتروي كل جديد لأن وبريسلا في حبورٍ يثير حنق العشاق التّعيسين.

داعتها آن قائلة:

- ما من منافسٍ جدّي لألكس وألوزو حتى هذه اللحظة.

وافقتها فيليبيا:

- لا أحد، طبعاً! أرسل كليهما كل أسبوع، وأخبرهما عن المعجبين هنا. لا بدّ أنهما يستمتعان بذلك. لكنني لم أستطع الحصول على الأفضل بين الفتيان. لن يوليَ جلبرت بلايث أي اهتمام بي، إنه يراني قطيطة جميلة يودّ مُداعبتها. أعرف جيداً السبب. أيتها الملكة آن! كان من المفترض أن أحمل

بعض الضغينة ضدك، لكنني أحبك بجنون، وأشعر بالحزن  
إذالم ألقك كل يوم. أنت مختلفة عن كل البنات اللواتي عرفت  
من قبل. حين تلقين عليّ نظرةً مميزةً، أشعر بتفاهتي وعبثي،  
وأتوق إلى أن أصبح أفضل، وأوفر قوةً وحكمةً. وعندها،  
أخذ قراراتٍ جيدةً. لكن الفتى الوسيم الذي اعترض طريقي  
نفض الآخرين من ذهني. أليست حياة الجامعة رائعة؟ من  
المضحك أن أظنّ أنّي كرهت اليوم الأوّل بها. لكنني لو لم  
أبغضه، لما تعارفنا قط. آن، رجاء، أعيدي عليّ مسمعي أنّك  
تحبيني! أتحرق شوقاً لسماع ذلك.

قالت آن وهي تضحك:

- أحبك «قليلاً» بشدة، وأظنّ أنّك هريرة حلوة، محببة، محمليّة،  
دون مخالِب، لكنني لا أعرف متى تجدين مُتسعاً من الوقت  
لتدرسي.

كانت فيل تجد الوقت الكافي لذلك، حتّمًا، مادامت تنجح.  
أذهلت حتى مدرّس الرياضيات العجوز الغاضب، الذي كان  
يبغض الطالبات، ويعترض على انتسابهنّ إلى الجامعة. كانت تحتلّ  
المرتبة الأولى في كلّ المواد، عدا مادة الإنجليزية التي تفوّقت فيها  
آن.

وجدت أنّ دروس السنة الأولى يسيرةً لاجتهادها، برفقة  
جلبرت، طيلة السنتين الأخيرتين بأفونلي. فترك لها ذلك مُتسعاً من  
الوقت للحياة الاجتماعية التي استمتعت بها. لكنّها لم تنس «أفونلي»

ورفاقها لحظةً واحدةً. كلَّ أسبوعٍ، كانت أشدُّ لحظاتها سعادةً تلك التي تردُّ فيها الرسائلُ من «أيفونلي». لم تُفكّر أنّها قد تحبُّ «كينغسبورت» يومًا، قبل أن تردَّ عليها أولى الرسائل. كانت، قبل ذلك، تشعرُ أنّ «آفونلي» على مسافةِ آلافِ الأميالِ منها، فصارت تلك الرسائلُ تُقربُ بين حياتها الماضيةِ وحياتها الجديدةِ، وتصنعُ رابطًا قويًّا بينهما، حتّى أشرفتا على الأنصهار بعدما كانتا مُنفصلتين بائستين.

حوت الرّزمة الأولى ستُّ رسائلٍ من طرفِ: جاين أندروز، وروبي جيليس، وديانا باري، وماريلا، والسيدة ليند، ودايفي. كانت رسالةُ جاين نموذجًا للخَطِّ الجميل. إذ شُطِبَتْ كلُّ حروفِ «التاء» بها. لكنّها، يا للأسف، لم تضمَّ جملةً واحدةً مثيرةً للاهتمام. لم تذكُر جاين شيئًا عن المدرسة التي كانت آن متعطّشةً لأخبارها، ولم تُجِب عن أيِّ سؤالٍ طرحته آن في رسالتها. لكنّها أخبرتها عن طولِ أشْرِطَةِ الدّانتيل التي نسجتّها، وأحوالِ الطّقسِ في «آفونلي»، واعتزامها حياكةَ فستانٍ جديدٍ، والصّداعِ الذي ألمَّ بها.

أرسلت روبي جيليس رسالةً متملّقةً. عبّرت روبي عن أسفها لغيابِ آن، وطمأنتها أنّ الجميعَ يشتاقي إليها، وسألَتْ عن أحوالِ الرّفاقِ في ريدموند، وملأت بقيةَ الرّسالةِ بحكاياتِ تجاربها مع مُعجبيها الكثيرين. كانت رسالةً سخيفةً وتافهةً. ولولا حاشيتها التي جاء فيها: «يبدو جلبرت من خلالِ رسائله مُستمتعًا بوقته في

«ريدموند»، ولا أظنّ تشارلي سلون يمرّ بالحالةِ نفسِها.»، كانت آن ستسخرُ منها كثيرًا.

كان جلبرت يُراسل روبي إذن. طيّبٌ، هذا حقّه طبعًا. لكنّ ما لا تعرفه آن هو أنّ روبي بادرتُ، وأنّ جلبرت ردّ من بابِ الكياسة. فألقتُ خطابَ روبي جانبًا بازدراءٍ.

محت رسالة ديانا العليّة المبهجة والمليئة أخبارًا وخزّة رسالة روبي. كان فريدُ محورَ خطابِ ديانا، لكنّ الرّسالة حفلت بمواضيعٍ مثيرة. شعرتُ أنّ عند قراءتها بأنّها في «آفونلي».

جاءتُ رسالة ماريلا مُقتضبةً، ودون طعم، وخالية من أيّ عاطفةٍ أو ثرثرة، لكنّها منحتُ أنّ لمحةً عن الحياة البسيطة في «غرين غايلز»، حياة بطعم السّلام القديم، والحبّ الرّاسخ تجاهها هناك.

امتلأتُ رسالة السيّدة ليند بأخبار الكنيسة. لم يتبق لها بيتٌ لتعتني بشؤونها، فأصبح لها مُتسعٌ من الوقتِ مُخصّصه لشؤون الكنيسة التي انهمكتُ بها قلبًا وقالبًا. إنّها مشغولةٌ، هذه الأيام، بالمُعوضين البائسين الذين اعتلوا المنبرَ الشاغِر في كنيسة «آفونلي».

كتبتُ إلى آن بنبرةٍ مُفعمّةٍ بالمرارة:

«في أيّامنا هذه، لا يصبح قسًا سوى المجنون. لو رأيت أولئك الذين أرسلوا إلينا، واستمعتِ إلى مواعظهم! إنّ نصف ما يقولون مضللٌّ، والنصف الآخر لا علاقة له بالدين. لكنّ الكاهنَ الحاليّ الذي يتناولُ نصًّا، ويتحدّثُ عن أمورٍ أخرى لا علاقة له بها تمامًا، أسوأهم. يقول إنّه لا يؤمنُ بضلالة الوثنيين. إذا كان الأمرُ



صحيحًا، فإننا نكون قد بددنا الأموال التي رصَدناها من أجل بعثات المبشرين دون طائل. مساء الأحد الماضي، أعلن أن موعظة الأحد الموالي سوف تكون حول الفأس التي تطير في الهواء<sup>(1)</sup>. كان يحسنُ به الالتزامُ بالإنجيلِ والابتعادُ عن المواضيع المثيرة. وصل الأمرُ بالقسِّ إلى العجزِ عن العثورِ على مواعظٍ من الكتابِ المقدس. إلى أيّ كنيسةٍ تذهبان يا آن؟ أرجو أنك تزورينها بانتظام. يتقاعسُ النَّاسُ في الغُربةِ عن الذَّهابِ إلى الكنيسةِ عادةً، وأعلمُ أن طلاب الجامعةِ يحوزون قَصَبَ السَّبْقِ في هذه الخطيئة. قيل لي إن كثيرين منهم يدرسون يومَ الأحد. أرجو ألا تنحدري إلى ذلك المستوى يا آن! تذكّري دوما كيف نشأت! وتوخّي الحذر في اختيار أصدقائك! لا نعلم نوع الكائنات المنتشرة في تلك الجامعات. قد يبدو مظهرهم الخارجي في بياض القبور، لكن في بواطنهم ذئابًا مفترسة. يجب ألا تتحدّثي إلى أيّ رجلٍ من خارج الجزيرة!

نسيْتُ أن أروي لك ما حدث يوم زارنا القس. فقد شهدتُ أكثر المواقف إضحًا في حياتي. قلت لماريلا، «لو كانت آن معنا لضحككُ ملء شديها». حتّى ماريلا ضحكك. أتعرفين؟ إنّه رجلٌ قصيرُ القامة، وسمينٌ، ومقوس السّاقين. حسنا، تجوّل خنزيرُ السيّد هاريسون، ذلك الحيوان الضخم، فرغُ القامة، هنا، مجددًا، ذلك اليوم، واقتحمَ الباحة، وولج الشرفة الخلفية في غفلة منّا. وصادفَ ذلك وقوفَ القسِّ عند الباب، فوثب الحيوانُ المذعورُ

(1) إشارة إلى أحد مقاطع الإنجيل، ودليل على أن السيدة ليند ليست ملامّة به تمامًا.

كالمصعوق ليجد طريق الخروج، لكنه لم يجده سوى بين ساقِي  
 الرَّجُلِ الْمُعَوَّجَتَيْنِ، فمرَّ بينهما. ولأنَّه كان ضخمًا، بينما كان القَسُّ  
 قصيرًا، رفعه على ظهره، وجرَّه خارجًا. حين بلغنا، ماريليا وأنا،  
 البابَ، تناثرت قبعته ذات اليمين، وعصاه ذات الشمال. لن أنسى  
 مظهره ما حييت. ارتعد الخنزيرُ البائسُ فرقًا. لن يسعني قراءةُ  
 مقطع الإنجيلِ، حيث يجري الخنزيرُ فارًّا إلى البحر، دون استحضر  
 مشهد خنزير السيّد هاريسون وهو يهبطُ التَّلَّةَ حاملًا القَسَّ على  
 ظهره. ظنَّت الدَّابَّةُ أنَّها تحمل الشَّيطانَ على ظهرها بدل أن تحمله  
 بداخلها. لم يكن التَّوأمين من حسنِ الحظِّ في الجوار. فليس جيّدًا  
 أن يشهدا القَسَّ في هوانٍ مُماثلٍ. سقط القَسُّ، بل قفز من على ظهرِ  
 الخنزيرِ قبل أن يبلُغا الجدول. وخاض الخنزيرُ في الماءِ كالمسكونِ،  
 واختفى في الغابة. ركضتُ برفقة ماريليا، وساعدناه على النهوضِ،  
 ونفضنا معطفه من الأتربة. لم يُصب بأذى، لكنه كان غاضبًا، وألقى  
 بمسؤولية ما حدث على عاتقينا، رغم أننا أخبرناه أن الخنزير ليس  
 ملكنا، وأنَّه أزعجنا صيفًا كاملًا. ثمَّ، لم يدخل القَسُّ من البابِ  
 الخلفيِّ؟ لم يَقم السيّدُ الآنَ بذلك قطّ. سيمرُّ زمنٌ طويلٌ قبل أن  
 نحصل على قَسٍّ مثل السيّدِ الآن. إنَّ الرِّياحَ التي تهبُّ ليست طيِّبةً  
 على الإطلاق. لم نر حافرًا أو شعرةً من تلك الدَّابَّةِ منذ ذلك الحين،  
 وأظنُّ أننا لن نراه مجددًا، قطّ.

الحياة في «آفونلي» هادئةٌ جدًّا. ولستُ ضجرةً كما خشيتُ ذلك  
 أيام كنتُ في «غرين غايلز». أظنُّ أنّي سأبدأ في نسج لحافٍ قطنيٍّ

آخر هذا الشتاء. فقد جلبتُ لي السيِّدةُ سيلاس سلون نموذجًا جميلًا  
للحافِ تزِينُهُ أوراقُ شجرةِ التفاح.

كنت، حين أحتاج بعض الإثارة، أطلعُ ركنَ الجرائمِ في  
الصَّحيفةِ التي ترسلها ابنة أخي من «بوسطن». لم أعتدُ القيامَ بذلك،  
لكنَّ الأخبارَ مثيرةٌ جدًّا. لا بدَّ أن الولاياتِ المتَّحدةَ مكانٌ موبوءٌ.  
أرجو ألا تزورها أبدًا يا آن. لكنَّ الفتياتِ صرن يتسكَّعن على وجه  
البيسطةِ بشكلٍ رهيب. وذلك ما يجعلني أفكرُ بالشيطانِ في سفرِ  
أيوبَ وهو يهيمُ صعودًا وهبوطًا. لا أصدِّقُ أن ذلك كان من أقدارِ  
الرَّبِّ.

سلك دايفي سلوكًا جيّدًا منذ رحيلك. لكنّه تصرّفَ برعونةٍ  
ذاتِ يوم، فعاقبته ماريلا بالباسه مئزر دورا كاملَ اليوم، فمزق كلَّ  
مآزر أخته بعد ذلك. ضربته تأديبًا، فطار ديكى حتى خرّ ميتًا.

انتقل آل ماكفرسون إلى بيتي. السيِّدةُ ماكفرسون ربّةُ بيتٍ مميّزة.  
اقتلعتُ كلَّ أزهارِ السّوسنِ من جذورها، لأنّها تُضفي على الحديقةِ  
مسحةً من الفوضى والإهمال، حسب زعمها. زرع توماس تلك  
الأزهارَ بيديه عندما تزوّجنا. يبدو زوجها لطيفًا، لكنّها تتصرّف  
مثل العوانس.

لا تبذلي جهدًا كبيرًا في دراستك!، ولا تنسي ارتداء ثيابك  
الداخليةِ الشتويةِ حالما يسوء الطّقس! ماريلا قلقةٌ بشأنك، لكنني  
أخبرتها أنّ لك الحكمةَ الكافية، وأنّ كلَّ شيءٍ سيكون على ما يرام.

غرقت رسالة دايفي في بحرٍ من التذمّر منذ البداية:

«عزيزي آن، راسلي ماريلا رجاءً، واسألها ألا تربطني مجدداً إلى حافة الجسر حين أذهب للصيد، لأن الفتية يسخرون مني. الوحدة فظيعة هنا في غيابك، لكن المدرسة ممتعة. في الليل<sup>(1)</sup> الماضية، أخفت السيدة ليند بمصباح اليقطين<sup>(2)</sup>. غضبت مني كثير، لأنني ركضت خلف ديكها حتى خر ميتاً. ما الذي قتله يا آن؟ أريد أن أعرف. ألفت السيدة ليند جثته في زريبة الخنازير. كان يجدر بها بيعه إلى السيد بلير. يمنح السيد بلير خمسين سنتات لقاء كل ديك ميتاً. سمعت السيدة ليند تطلب من القس أن يصلي من أجلها. ما هو الأمر السيئ الذي فعلته؟ أريد أن أعرف يا آن. لدي طائرة ورقية بديل جميل يا آن. بالأمس، في المدرسة روى لي ميلتي بولتر قصة رائعة. إنها حقيقة. كان جو موسي العجوز وليون يلعبان الورق في الغابة ذات ليل من الأسبوع الماضي. وضعوا ورق اللعب على عقب شجرة قديمة، فأتى رجل زنجي يفوق الأشجار طولاً، اختطف الأوراق، واختفى مُصدراً صوتاً كصوت الرعد. أراهن أنهم أصيبوا برعب شديد. يقول ميلتي أن الرجل الزنجي كان الشيطان ذاته، هل كان الشيطان فعلاً يا آن؟ أريد أن أعرف. السيد كيمبال من «سبنسرايل» مريض للغاية، وعليه أن يذهب إلى المستشفى. انتظري رجاءً يا آن، بينما أسأل ماريلا عن رسم الكلمة الصحيح. تقول ماريلا إن عليه الإقامة بين المجانين، وليس في ذلك المكان.

(1) أخطاء الرسم والإملاء مقصودة في نص رسالة الصبي الأصلية.

(2) حبة يقطين مفرغة تحمل رسماً مُرعباً وشمعة مُضيئة بداخلها.

إنّه يظنّ أنّ ثعبانا بداخله. كيف يبدو الثّعبان داخلنا يا آن؟ أريد أن أعرف. السيّدة لورنس بيل مريضةٌ أيضًا. تقول السيّدة ليند إنّ مشكلتها تفكيرها المستمرّ في أحشائها».

قالت آن، وطوت رسائلها.

- ماذا لو تعرّفت السيّدة ليند إلى فيليبا؟

(6)

## المنتزه

ولجت فيليبيا حجرة آن ظهيرة ذات سبتٍ مستفسرةً:

- أليكما خططُ لهذا اليوم؟

ردّت آن:

- سنتجوّل في المنتزه. أعرف أنّه من الأفضل أن أبقى في البيتِ

وأُنهِيَ حياكةَ سُترِي. لكنّي لا أستطيعُ الخياطةَ بيوم كهذا.

ثمّة شيءٌ في الهواءِ يسري في عروقي وتبتهِجُ له روحي.

سوف ترتعشُ أصابعي وتخيّطُ دَرَزَةً معوجّةً. لذلك أحتاج

إلى المنتزه والأشجار.

- هل تعني «نحن» شخصًا آخر غيركِ أنتِ وبريسيليا؟

- نعم، جلبرت وتشارلي، ويسعدنا لو تنضمّين لنا أيضًا.

قالت في أسَى:

- لكنّي، إذا ذهبتُ سأكون متطفلةً بين حبيبين، وستكون تجربةٌ

جديدةٌ لفيليبيا جوردون.

- طيّبٌ، التّجاربُ الجديدةُ غنيّةٌ دومًا. تعالي!، وستتعاطفين مع

كلّ الذين اضطروا إلى تقمّص هذا الدّور. ثمّ، أين ضحاياك؟

- اوه، سئمت منهم، ولم أشأ أن يزعجني أحدهم اليوم. ثم، بدأت أشعر بالغبرة قليلاً. كتبت إلى ألكس وألوزو الأسبوع الماضي. وضعت الرّسالتين في مظروفين وكتبت العناوين، لكنني لم أختمهما. حَدثَ أمرٌ مضحكٌ ذلك المساء. كان ألكس سيعده مضحكا، لكن ليس ألوزو. كنت عَجَلِي، فانتزعتُ رسالة ألكس من المظروف، أو هكذا ظننتُ، وأضفتُ حاشيةً أسفلها. ثم أرسلتُ الخطابين. هذا الصّباح، وردتني رسالة ألوزو. اكتشفتُ أنّي أضفتُ تلك الحاشية إلى رسالته يا بنات. سيتجاوزُ الأمرَ حتمًا، ولستُ أكثرُ إذا لم يفعل، لكنّ القصة أفسدت عليّ يومي. لذلك فكّرتُ بزيارتكم يا عزيزاتي لنمرحَ معا. لن أحصلُ على مساءٍ سبتٍ شاغرٍ بعد افتتاح موسم كرة القدم. أعشق كرة القدم. أملك قبعةً جذابةً وكنزةً مقلّمةً بألوان «ريدموند» من أجل المباريات. هل تعلمان أنّ صديقكما جلبرت قد انتخب قائد فريق الطّلاب الجدد؟

قالت بريسيلا، وقد لاحظت أنّ آن تستشيط غضبًا، ولن تردّ:  
- أجل، أخبرنا الليلة الماضية. زارنا برفقة تشارلي. لما علمنا بقدومهما، أزلنا كلّ وسائل الأناقة آدا. لقد أقيتُ تلك الوسادة مُتقنة التّطريزِ خلفَ المقعدِ الذي كانت تُزيّنه، وظننتُ أنّها ستكون في مأمّن، لكن، أتصدّقاني؟ جلس

تشارلي سلون على ذلك المقعد، ولمح الوسادة ملقاة خلفه، فالتقطها، وجلس فوقها كامل المساء. ياللكارثة! سألتني الآنسة آدا اليوم ضاحكةً، لكن بنبرة عاتبة، عن السبب الذي جعلني أسمح له بالجلوس فوقها. أخبرتها أنني لم أفعل، لكن الأمر كان مزيحًا من تصاريق القدر وطبيعة آل سلون، ولم أكن أملك إزاءهما حولا.

قالت آن ضجرةً:

- ضيقتُ ذرعًا بوسائد الآنسة آدا. لم يتبق مكان واحد خاليًا منها. لقد صنعتُ وسادتين جديدتين الأسبوع الماضي، وطرزتهما، ثم أسندتهما إلى جدار ردهة السلام. فكانتا تسقطان معظم الوقت، وصرنا نتعثر بهما كلما ارتقينا السلام أو هبطناها في الظلام. يوم الأحد الماضي، حين تلا القس دايفيس دعاءه من أجل الذين يُضحون بحياتهم في أعالي البحار، أضفت إليهم في سرّي أولئك الذين يقطنون في بيوت تُعشق بها الوسائد حتى الجنون. ها قد صرنا جاهزتين، علاوة على أنني لمحتُ الفتيّة قادمين عبر مقبرة «سانت جون» العتيقة. ستذهبن معنا يا فيل؟

- سأذهب. وإذا تمكنتُ من السير برفقة بريسيلا وتشارلي فسيخف شعوري بأنّي متطفلة. جلبرت مميّز يا آن، لكن لم يقضي وقته مع جاحظ العينين ذاك؟

تصلبتُ أطراف آن. لم تكن تكن إعجابًا كبيرًا لتشارلي سلون،



لكنّه أصيل «آفونلي»، ولا يجوز لشخصٍ غريبٍ أن يسخر منه.  
فأجابت ببرود:

- تشارلي وجلبرت أصدقاءٌ منذ زمنٍ بعيد. تشارلي فتى لطيفٌ،  
وليس ذنبه أن تكون عيناه هكذا.

- لا أصدّقك. هو ذنبه حتمًا. لا بدّ أنّه اقترف خطيئةً ما في حياةٍ  
سابقةٍ، فنال عقابها. سنمرح، بريس وأنا، كثيرًا برفقته هذه  
الظّهيرة. سنسخر من سَحتِهِ، ولن يُدرك ذلك، قطّ.

نفّذت صاحبتا حرف «الباء» الشّريرتان، كما أطلقت عليهما آن،  
خطّتهما الطّريفة. لكنّ سلون لم يأبه لهما، وظنّ أنّه رفيقٌ لطيفٌ لهما  
وخاصّةً لفيليبا جوردن، حسناء الفصل. ستبهر آن حتمًا، وسترى  
أنّ بعض الأشخاص يقدّرون قيمته الحقيقية.

سار جلبرت وأن خلف الآخرين، ينعمان بجمال المساء الخريفيّ  
الهادئ، تحت أشجار الصّنوبر الممتدّة على طول الدّرب المحيط  
بضفاف المرفأ.

قالت آن، ووجهها إلى السّماء البرّاقة:

- الصّمت هنا كالخشوع، أليس كذلك؟ كم أحبّ أشجار  
الصّنوبر! جذورها ضاربة في كلّ قصص الحبّ عبر العصور.  
كم يريحني أن أتسلّل بين الفينة والأخرى لأتحدّث إليها،  
وتغمرنى السّعادة بجانبها!

استشهد جلبرت مُنشدًا:

«و حين تغمرهما عُزلة الجبال

مثل تعويذة سماوية،

تنزُع منهما الهموم

كما ينفص الصنوبر إبره

وسط الرياح العاتية».

ثم أردف:

- تبدو آمالنا ضئيلة أمامها، أليس كذلك يا آن؟

قالت شاردة الذهن:

- إذا ساورني الحزن يوماً، سأسأل الصنوبر مواساتي.

لم يقدر جلبرت على ربط فكرة الحزن بهذا الكائن الحيويّ البهيج الجالس بجانبه، وفاته أن من يقدر على صعود الجبال، يسعه الانحدار إلى الهاوية، وأن الكائنات التي تبتهج للحياة بحماس هي التي تتألم أكثر. فقال بنبرة مفعمة بالرجاء:

- أرجو ألا تلم بك الأحزان أبداً.

ضحكت آن، وقالت:

- لا بدّ منها أحياناً. الآن، تبدو الحياة لي كأساً مملوءة سعادةً. لكنّها تحوي شيئاً من المرارة ككلّ كأس. وسأتجرّعها يوماً ما. حسناً، أرجو أن أتحمّل بالقوّة والشجاعة لمواجهتها. وأرجو ألا أجلب حزني بنفسي. هل تذكر حديث القسّ دايفيس مساء الأحد الماضي؟ قال إنّ الرّبّ يبتلينا بالأحزان

مكتبة

t.me/soramnqraa

لنشتدَّ قوَّةً وننعمَ بعدها بالرَّاحة، بينما تكون الأُحزان التي  
نجلبها لأنفسنا، بسبب شرورنا أو طيشنا، أشدَّ وطأة. لا  
داعي للحديث عن الحزن في مساء كهذا. ألم نخرج للاحتفاء  
بفرحة الحياة؟

قال جلبرت كمن يستشعر خطرًا داہمًا.

- لو كان الأمر بيدي، لما تركت شيئًا يتسلَّل إلى حياتك غير  
السَّعادة والسرور.

ردت أن بسرعة:

- لن يكون ذلك من الحكمة. لا تكتملُ الحياةُ دون جَهدٍ  
أو عذاب. تعال!، لقد بلغ الآخرون السَّرادق، وصاروا  
يومئون لنا بالانضمام إليهم.

جلس الجميعُ أسفل السَّرادق لمشاهدةِ مُهرةٍ مغيبِ شمسٍ  
الخريفِ النَّاريِّ وصفرتِه الشَّاحبة. على شِمالهم، لفَّ كفنٌ من  
الدَّخان الأرجوانيِّ مدينةَ «كينغسبورت» وأسطحَ بناياتِها وقبابِها.  
وعلى يمينهم، رقد المرفأُ المصبوغُ بلوني الوردِ والنَّحاسِ، في ضوءِ  
الشَّفق. ومن الماء، أشعت ومضاتٌ حريريَّةٌ بلون الفضة، بزغت  
خلفها جزيرة «ويليام» من بين الضُّباب، تحرس المدينة مثل كلبٍ  
عتيد، وتتوهج منارتُها عبر السَّحب كنجمٍ رهيبٍ، فتجيبها إشارة  
منارةٍ أخرى في الأفق البعيد.

قالت فيليبا مأخوذة اللَّب:

- هل رأيتم مكانًا بهذه الرّوعة من قبل؟ انظروا إلى أبراج  
الحراسة أعلى القلعة، قرب العَلَمِ تمامًا! ألا تبدو كأنّها خارجةٌ  
من إحدى الرّوايات؟

قالت بريسيلا:

- بمناسبة الرّوايات، لقد بحثنا عن زهور الحَلَنج، لكنّا لم نعثر  
عليها، طبعًا. أظنّ أنّ موسمها قد مرّ.

تساءلت آن:

- زهور الحَلَنج! إنّها لا تنمو في أميركا، أليس كذلك؟

أجابت فيل:

- لا توجد سوى في بقعتين في القارّة بأكملها، واحدة هنا بهذا  
المنتزه، وأخرى في مكانٍ ما في «نوفاسكوتيا»، نسيته. أقامت  
كتيبة «الهايلندرز»، الحرس الأسود، معسكرًا هنا ذات عام،  
وحين نفّض الرّجال القشّ عن فُرْشهم في الرّبيع، نبتت  
بعضُ بُذور الحَلَنج.

قالت آن مفتونةً:

- اوه، هذا مبهج!

اقترح جلبرت:

- لنعبر شارع «سبوفورد» في طريق العودة، ونشاهد قصور  
الأثرياء! إنّهُ أجمل شارعٍ سكنيّ في «كينغسبورت».

قالت فيل موجّهةً الكلام إلى آن:

- هناك منزلٌ مميّزٌ أريدُك أن تريه يا آن. لم يشيّدْه أيّ مليونيرٍ.  
هو أوّل منزلٍ يعترضنا بعد مغادرة المنتزه، ولا بدّ أنّه قد نما  
حين كان شارع «سبوفورد» طريقًا زراعيًّا. أقولُ نما، وليس  
شُيّد. لا تعجبني المنازلُ على جنباتِ الشّارع، فهي جديدةٌ،  
ولا أحبّ واجهاتها الزّجاجيّة. لكنّ هذا المنزلُ ساحرٌ،  
واسمه... انتظري حتّى تريه!

حين تسلّقوا التّلة التي تحفّ بها أشجار الصّنوبر، تراءى لهم  
المنزل فعلاً، في نهاية المنتزه. ففي أعلى القمّة، حيث يصبح شارع  
«سبوفورد» طريقًا مستقيماً، ربض منزلٌ خشبيٌّ صغيرٌ، تحيط به  
أشجار الصّنوبر، وتمتدّ أغصانها إلى سقّفه الصّغير في حُنو. ومن  
خلال أشجار الكروم الحمراء والصّفراء التي كسته، بزغت نوافذه  
الخضراء المغلقة. ورغم حُلول شهر أكتوبر، امتدّت أمام المنزل  
حديقةٌ غناءٌ صغيرةٌ جدًّا، يحيط بها جدارٌ حجريٌّ قصيرٌ، وتكسوها  
شجيراتٌ وأزهارٌ فاتنةٌ من الطّراز القديم كالزعرور، والشّيح،  
والفرفين، وزهور الألوسن، والبتونيا، والقطفية، والأقحوان.  
الأماميّة. بدا المنزل بجدار القرميد الصّغير الذي يصل بوابته  
بالشّرفة الأماميّة وكأنّه اقتلع من قريةٍ نائيّة، وغرس هناك، لكنّ شيئاً  
مّا فيه جعل المنزل المجاور له، ذاك القصرَ المُعشوشب الذي كان  
يملكه أحد أباطرة زراعة التبغ، يبدو فجًّا، وهجيناً، واستعراضياً  
مقارنةً به. وكانت تلك نقطة الاختلاف البيّنة بين شيءٍ مخلوقٍ وشيءٍ  
مصنوعٍ، كما أشارت فيليبيا.

قالت آن في حبور:

- هذا أجمل مكانٍ رأيتهُ في حياتي. إنه يمنحني انطباعًا غريبًا  
ولذيذًا. إنه أجمل حتى من منزل الأنسة لافندر الحجريّ.

قالت فيل:

- انتبهي إلى الاسم بصفةٍ خاصّةٍ! انظري إلى الحروف البيضاء  
على القوس فوق البوّابة!: «منزل باتي». أليس ذلك رائعًا؟  
خاصّةً في هذا الشّارع حيث تُدعى البيوت ببساطةٍ: «منزل  
الصّنوبر»، و«منزل أذن البحر»، و«منزل الأرز». «منزل  
باتي»، من فضلكم! كم أحبه!

سألت بريسيلا:

- هل تعلمين من تكون باتي؟

أجابت فيل بنبرة العالم:

- باتي سبوفورد، اكتشفتُ أنّه اسم السيّدة العجوز مالكة  
البيت. إنّها تعيش هنا رفقة ابنة أختها منذ مئات السنين أو  
ربّما أقلّ يا آن، لكنّ الخيال الشعريّ اقتضى المبالغة. حاول  
الأثرياء شراء قطعة الأرض مرارًا، وصارت تقدّر بثروة  
هذه الأيام، لكنّ باتي رفضت بيعها مقابل أيّ ثمن. بدل  
الباحة الخلفيّة، يوجد بستان تفاحٍ خلف المنزل، سترونه  
حين نمّر بها، بستان تفاحٍ حقيقيّ في شارع «سبوفورد».

قالت آن:

- سأحلم ببيت باقي هذه الليلة، لأنني أشعر أنني أنتمي إلى هنا.  
هل ستسمح لنا فرصة لرؤيته من الداخل يا ترى؟  
أجابت بريسلا بنبرة شك:  
- لا أظن ذلك.

رسمت آن على ثغرها ابتسامة غامضة وقالت:

- الاحتمال ضئيل، لكنني أظن أننا سنحصل على فرصة. لدي  
إحساس عجيب وغريب، حس داخلي إن شئتم، يخبرني أنني  
سأتعرف أكثر على «بيت باقي».

(7)

## العودة إلى الديار

مرّت الأسابيع الثلاثة الأولى في «ريدموند» ببطءٍ شديدٍ، ثم تطايرت بقية الفترة الدراسية بسرعة البرق. وقبل أن يدرك طلاب «ريدموند» ذلك، ألقوا أنفسهم في قلب رحي امتحانات ديسمبر، التي خرجوا منها بدرجاتٍ متفاوتةٍ من النجاح. تقاسم كلٌّ من آن، وجلبرت، وفيليبا المراتب الأولى بين الطلاب الجدد، وحصلت بريسيلا على درجاتٍ جيّدةٍ، أما تشارلي سلون الذي حصل على علاماتٍ مرضيةٍ، فقد صوّر له غروره أنّه الأوّل في جميع الموادّ الدراسية.

ليلة الرّحيل، قالت آن:

- لا أصدّق أنّي سأكون في «غرين غايلز» في مثل هذه السّاعة غدًا. ولا أنّك، ستكونين في «بولينغ بروك» برفقة ألكس وألونزو يا فيل.

وافقتها فيل، وقالت بين قضمتي شوكولاتة:

- أتوق كثيرا إلى لقاءهما. إنّها شابّان رائعان، أتعلمان؟ سيكون هناك الكثير من الحفلات الرّاقصة والزيارات. لن أسامحك أبدًا أيّتها الملكة آن، لأنك أبيت المجيء معي خلال العطلة.



- «أبدًا» تعني ثلاثة أيام بالنسبة إليك يا فيل. كانت دعوتك لطفًا منك. أودّ زيارة «بولينغ بروك» يومًا ما. لكنني لا أستطيع الذهاب هذه السنة. عليّ العودة إلى البيت، فأنت لا تعلمين مدى شوقي إليه.

قالت فيل في استهزاء:

- لن تستمتعي كثيرًا. لن يتعدى الأمر اجتماعين للحياكة، وستخبرك كلّ العجائز ببعض الأمور في حضورك، ويتحدّثن في الباقي خلف ظهرك. ستموتين من الضجر يا بنيتي.

قالت آن في مرح:

- بأيفونلي؟

احتجّت فيل قائلة:

- لن تتخيّلي مدى المتعة التي ستحصلين عليها إذا رافقتني. ستقع «بولينغ بروك» في شرك جمالك، وشعرك، وأناقتك، وكلّ شيء. أنت مختلفة جدًا. ستخطفين الأضواء. هيّا تعاليّ معي يا آن!

قالت آن بنبرة مفعمة حينًا:

- صورتك عن النجاح الاجتماعيّ مبهرةٌ يا فيل، لكنني سأرسم لك صورة أخرى بدلًا عنها. سأعود إلى بيت ريفيٍّ قديم، كان يانغًا بوجودي، وذبل برحيلي، موضعه بين أشجار بستان التفاح عارية الأغصان، إلى جانبه جدولٌ صغيرٌ،

وخلفه غابةٌ أسمع بها رقصة المطر والريّح، وعلى مقربة منه بحيرةٌ لا بدّ أنّها صارت رماديّةً داكنةً. هذا البيت سيّدتان مسنّتان، إحداهما رشيقةٌ وطويلةٌ، والأخرى قصيرةٌ وبدينةٌ، وتوأمان: بنتٌ مثاليّة، وصبيّ قبسٌ من نارٍ كما تقول السيّدة ليند. بالطابق العلويّ، هناك غرفةٌ صغيرةٌ تطلّ على الشرفة، حيث تحوم أحلامى القديمة، فيها فراشٌ وثيرٌ من الرّيش سيكون في قمة الترف بعد تجربة حشيّة السرير في السّكن الداخلي. هل راقتك صورتى يا فيل؟

كشّرت فيل:

- تبدو صورةً مملّةً.

أردفت أنّ:

- نسيت أهمّ شيءٍ. هناك، سأجد المحبّة بانتظاري يا فيل، محبّةً رقيقةً مخلصّةً، لن أجد مثلها بأيّ مكانٍ آخر في العالم. هذا ما يجعل صورتى بديعةً، أليس كذلك؟ حتّى لو لم تكن ألوانها مشرقةً جدًّا.

نهضت فيل صامتةً، وألقت بعلبة الشوكولاتة بعيدًا، ثمّ اتّجهت نحو أنّ التي طوّقتها بذراعيها، وقالت لها بعمقٍ:  
- أتمنّى لو كنت مثلك يا أنّ.

في اللّيلة الموالية، التقت ديانا أنّ في محطة «كارمودي». ركبتا العربّة سوياً، وانطلقتا تحت سماءٍ صامتةٍ، مرصّعةٍ بالنّجوم. اكتست

«غرين غايلز» حُلَّةٌ ازدادت احتفاليةً كلما توغَّلتا في الطريق. وأُضيئت كلُّ النوافذِ، فاخترقت أنوارها الظلمةَ مثل زهورٍ حمراءَ تتراقص في الغابةِ المسكونة. وفي الباحة، أُوقدت شُعلةٌ تراقص حولها، في حُبور، خيالان صغيران، نددت عن أحدهما صرخةً عاليةً حين برزتِ العربةُ أسفل أشجار الحُور.

قالت ديانا عندما تناهت إليها صرخة دايفي:

- يظنّ دايفي أنّها صرخةُ الهنودِ الحمرِ الحربيّة. لقد علّمه إياها صبيُّ السيّد هاريسون، وظلّ يتمرّن عليها ليستقبلك بها. تقول السيّدَة ليند إنه حطّم أعصابها. كان يتسلّل خلفها، ويصرخ في أذنيها. صمّم على إضرار شُعلةٍ من أجلك أيضًا. ظلّ يجمع الأغصان الجافّة لأسبوعين، ويلجّ على ماريلا لتسمح له بسكب شيءٍ من زيت الكيروسين قبل إضرار النّار. فهمتُ من الرائحة التي استقبلها أنفي أنّها سمحت له بذلك، رَغْم أنّ السيّدَة ليند ظلّت حتّى آخر لحظةٍ تخبرها أنّ دايفي سيحرق نفسه ويحرق الجميع لو أذنت له بذلك.

ما إن ترجّلت آن من العربة، حتّى كان دايفي يحتضن ركبتيها في جذلٍ، ودورا تتعلّق بها بكلتا يديها، أيضًا.

- آن، أليست شُعلةٌ متقدّدة؟ سأريك كيف تحرّكين الجمرات. أترين شرارتها؟ لقد أضرمتها من أجلك، لأنّي سعيدٌ بعودتك. فُتح باب المطبخ، فغرق ظلّ ماريلا في الظلام. كانت تفضّل لقاء آن محتميةً بالظلال، لأنّها كانت تخشى أن ترى دموع الفرح

في عينيها، عيني ماريلا الصارمة التي كانت دومًا ترى أن إظهار العواطف غير مناسب تمامًا. ووقفت السيّدة ليند خلفها في حنوّ الأمّهات مثل الأيام الخوالي. فأحاط بأن ذلك الحبّ الذي وصفته لفيليبا، واحتضنها بلطفه ورقّته. لا شيء يضاهي الألفة القديمة، والأصدقاء القدامى، و«غرين غايلز»! شدّ ما التمعت عينا آن حين جلسوا إلى طاولة العشاء، وغدت وجنتها زهرية اللّون، وافتّر ثغرها عن ابتسامه فضيّة. قرّرت ديانا قضاء اللّيلة معها أيضًا. فشعرت أنّها تستعيد الزّمن الجميل. وأخرجت ماريلا، بدورها، طقم فناجين الشاي الذي تزيّنه الورود، وكان ذلك أقصى ما جادت به طبيعتها الصّلبة.

قالت ماريلا بتهكّم، حين همّت البنتان بالصّعود إلى الدّور العلويّ:

- أظنّ أنّكما ستثرثران كامل اللّيل.

كانت ماريلا كثيرة الاستهزاء، تفضحها عواطفها في كلّ مرّة. أو مأت آن في حبور:

- أجل، لكنني سأضع دايفي في فراشه أوّلا. لقد ألحّ عليّ.

قال دايفي وهما يعبران الردهة:

- أتراهنين؟ أريد أن أتلوّ صلواتي أمام أحد ما. لا تعجبني تلاوتها بمفردي.

- لست بمفردك يا دايفي. الرّب يصغي إليك دومًا.

- طيّبٌ، لكنّي لا أراه. أريد أن أصليّ أمام شخص أراه. غير أنّي لن أتلوّها أمام ماريلا أو السيّدة ليند.

بيد أنّ دايفي لم يبد مستعجلاً بعد ما لبس قميص نومه الرّماديّ. وقف قبالة آن، وظلّ يقلّب قدميه الحافيتين على الأرضيّة، وبدا متردّداً.

قالت آن:

- هيّا يا عزيزي. اجث على ركبتك.

اقترب دايفي، وحشر رأسه في حضن آن، لكنّه لم يجث على ركبتيه. وقال بصوتٍ مكتومٍ:

- لا أريد أن أصليّ. لم أرغب في ذلك منذ أسبوع. لم... لم أصلّ ليلة البارحة، ولا حتّى اللّيلة التي سبقتها.

سألته آن بلطف:

- لم يا دايفي؟

توسّل إليها قائلاً:

- ألن... ألن تغضبي لو أخبرتك؟

رفعت آن الجسد الملفوف في قميص النوم الرّماديّ إلى ركبتيها، وداعبت رأسه بساعدها، وسألته:

- هل أغضب منك حين تخبرني بعض الأشياء يا دايفي؟

- لا، أبداً. لكنك تأسفين، وذلك أسوأ. ستحزنين كثيراً عندما أخبرك بهذا يا آن، وستخجلين منّي، على ما أظنّ.

- هل اقترفت أمرا سيئا يا دايفي؟ وهل هو سبب امتناعك عن تلاوة صلواتك؟
- لا، لم أفعل شيئا سيئا بعدُ. لكنني أريد القيام به.
- ماهو يا دايفي؟
- نطق دايفي بصعوبة:
- أريد... أريد أن أقول كلمةً بذيئةً يا آن. سمعت صبي السيد هاريسون يتفوه بها أحد أيام الأسبوع الماضي، ومنذ ذلك الحين، أردت أن أكررها كامل اليوم، حتى أثناء صلاتي.
- قلها يا دايفي.
- رفع دايفي بصره نحوها مذهولاً:
- لكن، إنها كلمة بذيئةٌ للغاية يا آن.
- قلها!
- نظر دايفي إليها مرتاباً، ثم تفوه بالكلمة البغيضة في صوتٍ خافتٍ. دفن رأسه بعد ذلك في حضنها مجدداً، وقال نادماً:
- اوه، لن أقولها مرةً أخرى أبداً يا آن... أبداً. لن أرغب في التفوه بها قطّ. أعلم أنها سيئة، لكنني لم أظنّها... لم أحسبها هكذا.
- لا، لا أظنك سترغب بقولها ثانيةً يا دايفي، أو حتى بمجرد التفكير بها. لو كنتُ مكانك لما بقيت كثيراً مع أجير السيد هاريسون.

قال دايفي متحسراً:

- إنه يُصدر صيحة حربٍ شرسةٍ.

- أتريد أن تملأ كلماتٌ بذئئةً ذهنك، يا دايفي؟ ستسمم تلك

الكلمات ذهنك، وتنفض عنه كلَّ شيءٍ إنسانيٍّ وطيبٍ.

قال دايفي ذاهل العينين:

- لا.

- إذن، لا تخرج مع الذين يتفوّهون بها! والآن، ألا ترغب

بتلاوة صلواتك يا دايفي؟

جثا دايفي على ركبتيه، وقال في لهفةٍ:

- اوه، طبعاً. سأتلوها فوراً. لم يعد الربّ يخيفني عند قول «إذا

قبضت روعي أثناء النوم» أكثر مما خفّته حين رغبت في

التفوّه بتلك الكلمة.

أفضتُ آن وديانا بأسرارهما إلى بعضهما بعضاً كامل الليل.

وعلى مائدة الإفطار، كانتا نضرتين، برّاقتي العينين، من أثر ساعات

التّناجي وإفراغ الفؤاد الطويلة.

لم يتهاطل الثلج هذا الشّتاء، لكن، ما إن عبرت ديانا الجسرَ

العتيق عائدةً على بيتها، حتى أخذتِ النّدفُ البيضاءً ترفرفُ فوقَ

الحقولِ والغاباتِ النائمة. وسرعان ما اصطبغت التلال والسّفوح

بغلالةٍ كثيفةٍ، فأشبهت عروساً غطّى الخريفُ الشّاحبُ شعرها

بطرحةٍ بيضاء، وجلست في انتظار العريس الذي لم يكن سوى

فصل الشتاء. وهكذا اكتسى الكريسماس بياضًا ناصعًا. ومرّ يومها ممتعًا.

في المساء، وردت رسائل بول والآنسة لافندر وهداياهما، ففتحتها آن في مطبخ «غرين غايلز» البهيج الذي غمرته رائحة زكية، وقالت:

- لقد استقرّ السيّد ايرفينغ والآنسة لافندر في منزلها الجديد. أنا واثقةٌ أنّها سعيدةٌ جدًا. أعلم ذلك من نبرة رسالتها. ثمّة رسالةٌ من تشارلوتا ذي فورث أيضًا. إنها لم تعد «بوسطن»، وتفاقت غربتها بشكلٍ مخيفٍ. تريدني الآنسة لافندر أن أذهبَ إلى بيت الصّدى وأوقدَ نارًا لتغيير الهواء، وأتحقّق من عدم تعفن الوسائد. أظنني سأصطحب ديانا إلى هناك الأسبوع القادم، وسنقضي المساء مع ثودورا ديكس. كم أودّ لقاء ثودورا! بالمناسبة، هل يزال لودوفيك سبيد يواعدها؟

قالت ماريلا:

- هذا ما سمعته. على كلّ حالٍ، يئس الناس من المواعدة التي لا تفضي إلى الزواج مكتبة سر من قرأ  
قالت السيّد ليند:

- لو كنت مكان ثودورا لاستعجلته قليلًا. غير أنّي لا أترقبُ قيامها بذلك.



وردت أيضًا رسالةً ساخرةً من فيليبا، تتحدّث عن أفعال  
ألكس وألوزو وأحاديثهما وردّ فعلهما حين التقياها. وعلاوة على  
ذلك كتبت لأن:

«لكنني لم أقرّر بعد بمن أرتبط. أتمنى لو أتيت معي واخترت  
بدلاً عني. لا بدّ أن يفعل شخص ما ذلك من أجلي. حين رأيت  
ألكس، خفّق قلبي بشدّة، وخمّنت أنّه زوجي المنشود. ثمّ قدم  
ألوزو، فخفّق قلبي أيضًا. لم يكن خفّق القلب العلامة المنشودة  
إذن، رغم أنّه كان يجب أن يكون هي، حسب كمّ الروايات التي  
قرأتها. وأنت يا آن، لن يخفّق قلبك سوى لفارس أحلامك، أليس  
كذلك؟ لا بدّ أنّي المذنبه. لكنني أستمتع بوقتي. كم أتمنّاك معي!  
الثلج يتهاطل اليوم، والنّشوة تغمرني. خشيت أن يمرّ الكريسماس  
أخضر، أنا أبغض ذلك. أتعرفين؟، حين يكون الكريسماس شيئاً  
رمادياً وبنياً، ويبدو كأنه نقع في العفن، نقول إنّه كريسماس أخضر.  
لا تسأليني عن سبب ذلك. فكما يقول اللّورد دوندراري، «ثمّة  
أمورٌ لا أحد بوسعه فهمها.

هل سبق أن ركبت التّرامواي، ثمّ اكتشفت أنّك لا تحمّلين ثمن  
التّذكرة يا آن؟ منذ أيام، وقع لي ذلك فأخرجني. كان معي قطعةٌ  
بخمسة سنتات عندما سعدت. ظننتها تستقرّ بجيب معطفي الأيسر.  
بعدما اتخذت مقعداً، أردت التّحقّق أنّها لا تزال في موضعها. لكنني  
لم أعرّ عليها. اكتفتني رعشةٌ. بحثت في جيبي الآخر، ولم أجدها.  
أخذتني رجفةٌ أخرى. بحثت عنها في جيبي الدّاخليّ الصغير، دون

جدوى. فارتجف كل جسدي دفعةً واحدةً. نزعت قفازي، وأرحتها على المقعد، وفتشت جيوبي مجددًا. لكنّها لم تكن هناك. نهضت، ونفضت ثيابي، وتفحصت الأرضية. كانت العربة مكتظةً بالركاب العائدين من الأوبرا، وظلّ جميعهم يحدّقون بي، لكنني لم أكرث لهم. ولما لم أعثر على ثمن تذكرتي، استنتجت أنّي وضعتها في فمي، وابتلعته دون قصدٍ. لقد أسقط في يدي. هل يوقف السائق العربة ويرميني خارجها في ذلّ وهوانٍ؟ هل بوسعي إقناعه أنّي، ببساطةٍ، ضحيةٌ لسهوي، وأنّي لست شخصًا دون أخلاقٍ يحاول السفر مجانًا ويحتجّ بحجج واهيةٍ؟ كم تمنيت ألكس أو ألونزو إلى جانبي! لكنّها لن يكونا هناك لأنّي، فقط، تمنيت حضورهما. لو لم أتمناه لتواجد العشرات منها. حين اقترب مني السائق، لم أكن بعد قد قرّرت ماذا أقول له. جهّزت شرحًا مناسبًا، لكنني سرعان ما شعرت أنّ أحدًا لن يصدّقه، فكان عليّ الإتيان بآخر. ولم يتبقّ شيءٌ أقوم به سوى الاعتماد على العناية الإلهية.

حين تلاشى كلّ أمل في الخلاص، ومدّ السائق صندوق الأموال نحو الراكب قربي، تذكرتُ بغتةً أين وضعت تلك القطعة اللعينة. فأنا لم ابتلعها في نهاية الأمر. التقطتها بكل بساطةٍ من سبّابة قفازي ووضعتها في الصندوق. ابتسمت بعد ذلك للجميع، وشعرت أنّها تجربةٌ جميلةٌ.

كانت زيارة بيت الصدى واحدةً من الأشياء الجميلة التي حدثت في تلك العطلة. عادت آن وديانا إلى هناك عبر غابات الزان،

تحملان سلّة غدائهما. فتحت آن بيت الصّدى، الذي ظلّ مغلقاً منذ زفاف الأنسة لافندر، لتسمح بدخول الهواء وأشعة الشّمس مجدّداً، وأشعلت المدفأة مرّةً أخرى. كان عطر بتلات الورود الخاصّ بالآنسة لافندر لا يزال يتضوّع في الهواء. ولم يكن ينقص سوى أن يحلّ ركب سيّدة البيت، بعينيها العسلّيتين المتلاّثتين لترحب بنا، وتظهر تشارلوتا على الباب بأشرطتها الزّرقاء وضحكتها الواسعة، ويحضر بول الغارق في أحلامه أيضاً.

قالت آن ضاحكةً:

- تُشعرنى العودة إلى هنا أنّي شبحٌ يجول في ضوء القمر. لنخرج ونختبر وجود الصّدى! اجلبي البوق القديم! لم يتغيّر مكانه، إنّه خلف باب المطبخ.

كان الصّدى في الموعد. تردّد خلف الوادي الأبيض، وحين خفت نهائياً، بعد مرور نصف ساعةٍ على المغيب الشّتويّ المصبوغ بلون الورد والزّعفران، ألقّت الصديقتان نظرةً أخيرةً على بيت الصّدى، وانصرفتا.

(8)

## الخطوبة الأولى

لم ينقضِ اليومُ الأخيرُ من السنّة بشفقٍ زمرديٍّ ومغيبِ شمسٍ صفراءِ زهريةٍ، وإنما مرّ كريحٍ عاصفةٍ هادرة. كانت ليلةً رجّت فيها الرّيح العاصفةُ المروجَ المتجمّدة، والوديانَ القائمة، وتأوّهت قُرب الأسطح مثل مخلوقٍ تائه، بينما ارتطم الثلج بزجاج النوافذ المرتجفة.

قالت آن لجاين أندروز التي أتت لتمضي الظهيرة وتبيت إلى جانبها:

- إنّها ليلةٌ يضمّ الناس فيها بعضهم بعضاً تحت دثارهم، ويعدّدون نعم الحياة.

لم تعد جاين تفكّر بنعم الحياة، بعد أن احتضنت آن في غرفتها الصّغيرة، وقالت بجديّة:

- هل يمكنني أن أخبرك أمراً يا آن؟

غلب النّعاس آن بعد حفلة روبي جيليس اللّيلة الماضية. ففضّلت الخلود إلى النوم على الإنصات لأسرار جاين المملّة، تلك الأسرار التي لم تملك أدنى فكرة عنها. ربّما طلبت يد جاين للزّواج

أيضًا، فقد أُشيع أن روبي جيليس مخطوبةٌ لمدرّس من «سبنسرفايل»،  
ذلك الذي كانت كلّ الفتيات متيماتٍ بحبه.

قالت آن في قرارة نفسها «قريبًا أظّل الفتاة الوحيدة العزباء بيننا  
نحن الأربعة»، ثمّ أردفت بصوتٍ عالٍ:

- طبعًا.

سألته جابن بوقارٍ:

- ما رأيك بشقيقي بيلى يا آن؟

شهقت آن لهذا السؤال غير المتوقع، وتشوّشت أفكارها. يا إلهي،  
ما رأيها ببيلي أندروز؟ لم تفكّر به قطّ، بيلى أندروز صاحب الوجه  
المدور، الأبله، دائم الابتسامة. وهل يفكّر الناس ببيلي أندروز؟

قالت بتلعثمٍ.

- أنا... أنا لا أفهمك يا جابن. ماذا تعنين بالتحديد؟

سألت جابن دون مواراةٍ:

- هل يعجبك بيلى؟

شهقت آن مجددًا:

- لماذا؟... لماذا؟، نعم يعجبني، طبعًا.

هل قالت الحقيقة؟ بالتأكيد، فهي لا تبغضه. لكن هل يمكن  
أن يرتقي عدم اكترائها به حين تلقاه إلى مصافّ الإعجاب؟ إلام  
كانت ترمي جابن؟

وضّحت جابن في هدوءٍ:

- أعني، هل تقبلين به زوجًا؟

- زوجًا!

كانت آن تجلس على السرير لتواجه معضلة رأيها في بيبي أندروز. خرت على الوسائد، وانقطعت أنفاسها، ثم سألت متعجبة:

- زوجا لمن؟

- لك، طبعًا. يودّ بيبي الزواج منك. كان دومًا متيًّا بحبك، وقد منحه والدي الضيعة الشمالية، ولا ينقصه شيء ليتزوج. لكنه خجل جدًا من مفاتحتك في الأمر، فطلب مني أن أحلّ مكانه. رفضت أولًا، لكنه هرسلني حتى قبلت. ما رأيك يا آن؟

هل كان حلمًا؟ أم هو أحد الكوابيس التي يلقي المرء نفسه داخلها مخطوبًا أو متزوجًا من شخص لا يحبه، أو لا يعرفه، دون أن يعلم كيف انتهى به الأمر هناك؟ لا، لقد كانت، هي آن شيرلي، مستلقية على سريرها، بكامل وعيها، وكانت جاين أندروز إلى جانبها، تخطبها للزواج من شقيقها بيبي. لم تعرف آن أنضحك أم تتميز غيظًا. لكنّها لم تشأ جرح مشاعر جاين.

- لا يمكنني الزواج من بيبي. لم تخامرني الفكرة قطّ.

- أعلم ذلك. فيبي لا يغازل لشدة خجله. فكّري بالأمر آن. بيبي شابٌ لطيفٌ. أعرفه جيّدًا لأنّه شقيقي. ليس له عادات سيئة، وهو يعمل بجدّ دومًا، ويمكنك الاعتماد عليه. عصفورٌ

في يدٍ خيرٍ من عشرة فوق الشجرة. أوصاني أن أخبرك أنه على استعداد لينتظرك حتى تُتَمِّي دراستك الجامعية إذا أردت، رغم أنه يفضل الزواج خلال الربيع القادم قبل بداية موسم الغراسة. سيكون دومًا ودودًا يا آن، أنت تعرفين ذلك. كم أحب أن تصبحي شقيقتي!

قالت آن في حزمٍ.

- لا يمكنني الزواج من بيلي. لا طائل من التفكير في الأمر يا جاين. لا أفكر به على هذا الشكل، وعليك إخباره بذلك.  
- شككت في قبولك.

تنهت جاين في استسلامٍ، وشعرت أنها بذلت أقصى جهدها، ثم أردفت:

- أخبرت بيلي أنه لا طائل من طلب يدك، لكنه أصرّ. حسنًا، لقد اتخذت قرارك يا آن، وأرجو ألا تندمي.

كانت جاين تتحدّث ببرودٍ. من المؤكّد أنّ بيلي الولهان لا يملك أدنى حظٍّ للزّواج من آن. بيد أنّها شعرت ببعض الاستياء، لأنّ آن شيرلي، التي لم تكن سوى صبيّة متبنّاة، لا حسب لها ولا نسب، قد رفضت عرض أخيها سليل آل أندروز من «آفونلي». وفكّرت جاين في تشاؤمٍ أنّ كبرياء بعض الناس متضخّمٌ جدًّا.

ابتسمت آن في الظلام من فكرة ندمها على رفض الزّواج من بيلي أندروز.

قالت بلطفٍ:

- أرجو ألا يُغضب الأمر بيلى.

تحركت جاين كأنها ترمي برأسها فوق الوسادة:

- اوه، لن ينفطر قلبه. بيلى حكيمٌ في هذه الأمور. تعجبه «ناتي بلويت» كثيرًا أيضًا، ووالدي تفضلها على أي فتاةٍ أخرى. إنها مقتصدةٌ وتدير شؤون البيت ببراعة. أظنه سيرتبط بها بعد أن يعلم برفضك له. رجاءً، لا تخبري أحداً بالأمر يا آن! «لا، طبعًا.»، قالت آن التي لم تكن ترغب بأيِّ حالٍ في إفشاء رغبة بيلى أندروز في الزواج منها، مفضلاً إياها على ناتي بلويت. ناتي بلويت!

قالت جاين:

- والآن، أظن أنه يجدر بنا الخلود إلى النوم.

نامت جاين بسرعةٍ ويسرٍ. ورغم أنها لم تكن تشبه ماكبث<sup>(1)</sup> في شيءٍ، فإنها حتمًا دبّرت هذه المكيدة لتبعد النوم عن جفني آن. أرقّت الفتاة المرغوبة طيلة الليل، لكن أفكارها خلت من أي شاعريّة. انتظرت حتى الصباح لتظفرَ بفرصة السخرية من المسألة برمّتها. وحين عادت جاين إلى بيتها، يصحبها برودٌ في كلامها وسلوكها بسبب رفض آن لشرف مصاهرة آل أندروز، اختلت آن

(1) مسرحية تراجيدية للمسرحي والشاعر الإنجليزي وليام شكسبير.



بنفسها في الغرفة المطلّة على الشُّرفة، وأغلقت بابها، ثم انفجرت ضاحكةً، أخيراً. وفي غمرة الأفكار، قالت في قرارة نفسها:

- كم أودُّ إخبار أحدهم بهذه الطّرفة، لكنني لا أستطيع. ديانا هي الوحيدة التي أريد أن أخبرها. لكن، حتى لو لم أقسم أمام جاين على التكتّم على الأمر، فإنّي لا أستطيع إخبار ديانا الآن. إنّها تُطلعُ فريدَ على كلّ شيء. لقد حصلتُ على خطوبتي الأولى، على كلّ حالٍ. توقّعتُ أنّ ذلك سيحدث يوماً ما، لكنني لم أفكرَ حتّى أنّها ستكون خطوبةً بالنيابة. الأمر ممتعٌ كثيراً، لكنه مؤلمٌ نوعاً ما.

كانت تعرفُ جيّداً طبيعة الأمل، لكنّها لم تستطع ترجمته إلى كلمات. فقد حلّمت مراراً بأوّل خطوبة. وكانت أحلامها دوماً جميلةً وشاعريّة. وسواء تعلق الأمر بفارس أحلامها الذي ستقول له «نعم»، أو بالمتيم الذي سترفضه رفضاً يملؤه الندم، مستعملةً كلماتٍ منمّقةً خاليةً من الأمل، تخيلت أنّ خطيبها الأوّل رجلاً وسيماً دائماً، داكن النظرات، فصيحاً. فإذا رفضته، أخبرته في رقةٍ تجعله يظنّ أنّها قبلت به، فينصرف بعد أن يلثم يدها، ويعبر لها عن إخلاصه وتفانيه الدائم، ويشكّل كلّ ما جرى ذكرى جميلةً ستكون فخورةً بها وحزينةً في آنٍ واحدٍ.

لكنّ هذه التجربة الفظيعة انتهت مشوهةً ومضحكةً. طلب بيلي أندروز من شقيقته أن تتقدّم لخطبتها بدلاً عنه، لأنّ والده منحه الضيعة الشماليّة، وفي حالة رفض آن، فإنّ ناتي بلويت جاهزةٌ لتقبل

به. أهذه كلّ قصّتها؟ أيّ انتقام هذا؟ ضحكت آن، ثمّ تنهّدت،  
وفقد حلم الأنسة الصّغيرة كلّ بريقه. أيجوّ لهذه التّجربة المؤلمة أن  
تواصل حتّى تصبح تافهةً وركيكةً؟

(9)

## الصديق العاشق

انقضت الفترة الدراسيّة الثّانية في «ريدموند» في سرعة الأولى. استمتعت آن بكلّ مراحلها: التّنافسُ المثير في الفصل، إقامةُ صداقاتٍ جديدةٍ، أنشطةُ الجمعيات التي صارت تنتمي إليها، توسُّعُ آفاقها واهتماماتها. كما درست بجدّ، لأنّها قرّرت التّنافسَ على منحة ثوربورن لدراسة الإنجليزية. وكان ذلك يعني عودتها إلى «ريدموند» السنّة الموالية دون قضم مدّخرات ماريليا الضئيلة.

لاحق جلبرت أيضًا منحةً دراسيّةً، لكنّه وجد متسعًا من الوقت لزيارة البيت عدد 38 في شارع «سانت جون». كان يرافق آن في كلّ شؤون الجامعة، وكانت تعلم أنّ اسميها اقتربنا بكلّ الأحاديث والنّميمة في «ريدموند». غضبتُ حيال الأمر كثيرًا، لكنّها كانت عاجزةً. فلم يكن يسيرًا عليها أن تتخلّص من صديقٍ قديم كجلبرت، خاصّة بعد أن صار حكيمًا وحادرًا بصورةٍ مفاجئةٍ، كما أنّ ذلك يصبّ في مصلحتها، لأنّه يسدّ على أكثر من شابّ في «ريدموند» إمكانيّة مرافقة الطّالبة الرّشيقة، ذاتِ الشّعر الأحمر، والعينين المتلاّلتين كنجوم اللّيل.

لم يُحطَ أنّ فيليبا علمًا بحشد الضّحايا الذين كانوا يتبعونها منذ

سنتها الجامعية الأولى. ثمّة طالبٌ جديدٌ، نحيفٌ ولامعٌ، وطالبٌ بدينٌ ومرحٌ من السنة الثانية، وآخر مثقفٌ من السنة الثالثة، كان يودّ زيارة آن في بيتها ليتناقشا حول المفاهيم المعقدة والمواضيع اليسيرة على حدّ السواء. لم يكن جلبرت يحبّ أحدا منهم، وكان يحذر إظهار مشاعره الحقّة لأن. فقد استعاد موقع رفيق أيام الدراسة في «آفونلي» بالنسبة إليها، وهكذا فقط أمكنه كبح مشاعره أمام تهافت عشاقها. لم تجد آن شخصا أفضل من جلبرت رفيقا لها. كانت سعيدة لتخليه عن كلّ أفكاره السخيفة، رغم أنها فكّرت طويلا في أسباب ذلك.

لم يعكّر صفو الشتاء سوى حدثٍ واحدٍ بغيضٍ. ففي إحدى الليالي، طلب تشارلي سلون الجالس على وسادة الأنسة آدا من آن «أن تصبح يوما ما حرم تشارلي سلون». صار الأمر بُعيد طلب بيبي أندروز، فلم يزعزع كثيرا شاعرية آن، لكنّه خيب آمالها. غضبت آن كثيرا، لأنها شعرت أنها لم تمنح تشارلي سلون أيّ تشجيع ليفترض وقوع أمرٍ مماثلٍ. لكن ما الذي يمكننا توقعه من سليل آل سلون، كما كانت رايتشل ليند ستلاحظ بكلّ استهزاء؟ كان سلوك تشارلي، ونبرته، وكلماته تعبق بطبيعة أسرة سلون. كان يظنّ أنّه يعرض عليها شرفا كبيرا. وحتى حين رفضته آن بكلّ رقة، فضحته طبيعة أسلافه. فلم يتقبّل رفضها، وغضب كثيرا، وبدا ذلك واضحا للعيان، لأنّه تفوّه بأشياء كريهة. ثارت ثائرة آن، وردّت بخطابٍ مقتضبٍ وحادّ اخترق قوقعة تشارلي، فأمسك بقبعته واندفع خارج البيت محمّر الوجه. هرعت آن إلى الدّور العلويّ، تعثّرت مرّتين في وسائل الأنسة

آدا، أَلقت بنفسها على سريها، وذرفت دموع الغضب والمهانة. هل انحدرت إلى حدّ الخصام مع أحد أبناء سلون؟ هل كانت كلمات تشارلي سلون قادرةً على إغضابها؟ هذا انحطاطٌ أسوأ من المنافسة مع ناتي بلويت.

انتحبت آن على وسادتها في حقدٍ:

- أتمنى ألا أرى هذا الكائن البشع مجددًا.

لم تستطع تفادي رؤيته مرّة أخرى. غير أنّها كانت تلتقيه في الشارع أو الجامعة فحسب، وفي كلّ مرّة، كانت تحيِّته باردةً تمامًا. توتّرت العلاقة بين رفاق المدرسة القدامى سنةً كاملةً تقريبًا. صرف تشارلي عواطفه المجروحة نحو طالبةٍ بدينةٍ، زرقاء العينين، وردية البشرة، قدّرتها حقّ قدرها. غفر لأن، وعاد مهذبًا نحوها، لكنّه أظهر بعض التّعالي كي تدرك أنّها خسرت عندما رفضته.

ذات يومٍ، هرعت أن نحو غرفة بريسيلا، وقالت:

- اقرئي هذا.

ودفعت نحوها برسالةٍ.

- إنّها من ستيتلا. سوف تحلّ بريدموند السنّة القادمة. ما رأيك بفكرتها؟ إنّها فكرةٌ رائعةٌ يا بريس.

- سأجيبك متى قرأت الرّسالة.

وضعت درس اللّغة اليونانية جانبًا، وتناولت رسالة ستيتلا. كتبت ستيتلا ماينارد إحدى صديقاتهنّ، المدرّسة في أكاديمية كوينز:

«سأستقيل من التدريس يا عزيزتي آن، وأرتاد الجامعة السنة القادمة. بما أنني أتممت سنتي الثالثة بكوينز، فبإمكاني التسجيل في السنة الثانية في «ريدmond». سئمت التدريس في مدرسة ريفية. يوماً ما، سوف أكتب أطروحةً عن «بؤس مدرسة في الأرياف»، وستكون واقعيةً جداً. يظن الجميع أننا نعيش في ترفٍ، ولا هم لنا غير قبض مرتباتنا. ستصدق أطروحتي بحقيقتنا. لا يكاد يمرّ أسبوعٌ دون أن يخبرني أحدهم أنني أتلقى أجراً كبيراً لقاء عملٍ يسير. يقول أحد دافعي الضرائب أنني «لا أفعل شيئاً سوى الجلوس والإنصات للتلاميذ». كنت فيما مضى أجادهم، لكنني صرت أوفر حكمةً. الحقائق عنيدة، لكنها ليست أشدّ عناداً من المغالطات. لذلك صرت أبتسم في صمتٍ وشموخ. أنا مسؤولةٌ عن تسعة فصول في المدرسة، وعليّ تدريس زهرةٍ من كلّ بستانٍ، بدءاً بتشريح دودة الأرض، وصولاً إلى دراسة النظام الشمسيّ. أصغرُ تلاميذي في الرابعة من عمره، ترسله أمّه إلى المدرسة «لتتخلص منه»، وأكبرهم في سنّ العشرين، لأنّه أدرك بغتةً أنّ ارتياد المدرسة أيسرُ من الزراعة والحراثة. وفي خضمّ محاولاتي المحمومة لحشر كلّ أنواع المعلومات والبحوث في ستّ ساعاتٍ في اليوم، لا أستغرب أن يشعر الأطفال مثلها شعر الصبيّ الذي تمّ اصطحابه لأول مرةٍ إلى البيوغراف<sup>(1)</sup>،

(1) آلة أمريكية لعرض الصور استعملت لأول مرة في نيويورك 1896، وهي تقنية مهّدت لظهور السينما.

فتذمر قائلاً، «عليّ أن أنتظر ما هو آتٍ قبل أن أفهم ما مضى». أشعر  
الشّعور نفسه الآن.

إذا كنت تتطلّعين إلى الرّسائل التي تردني يا آن، أعلمك أنّ  
والدة تومي كتبت إليّ تشكو ابنها الذي لم يحرز تقدّماً في الرياضيات  
كما كانت تأمل. فهو لم يتجاوز فهم الطّرح، بينما راح جوني جونسون  
يعمل على الكسور، وبما أنّ لجوني نصف ذكاء ابنها تومي، فهي لا  
تفهم الخطب. راسلني والد سوزي أيضاً يريد أن يعرف سبب  
عجزها عن كتابة رسالة دون أخطاءٍ إملائية، وطلبت منّي خالة  
ديكي تغيير مكان جلوسه لأنّ براون الشقيّ الذي يجلس بجانبه،  
يعلمه كلماتٍ بذيئة.

أمّا الأمور الماليّة، فلن أحدثك عنها. ينتهي مشؤومو الحظّ  
دائماً مدرّسين في مدرسةٍ ريفيّة. أشعر بتحسّنٍ بعد كلّ هذا التذمر.  
على كلّ، لقد استمتعت بالسّنتين الماضيتين، لكنني سأذهب إلى  
«ريدموند».

والآن يا آن، لديّ خطةٌ صغيرةٌ. تعلمين كم أبغض السّكن  
الدّاخليّ. لقد قضيت به أربع سنواتٍ، وأصابني الضّجر. لا أظنني  
أحتمل ثلاث سنواتٍ أخرى. لم لا نقيم معاً، أنا وبريسيلا وأنت،  
ونستأجر بيتاً صغيراً في «كينغسبورت»؟ سيكون الأمر أقلّ كلفةً.  
سنحتاج مدبّرة منزلٍ طبعاً، وهي جاهزةٌ تقريباً. هل حدّثتكم عن  
العمّة جامسينا؟، إنّها ألطف عمّة في الوجود رغم اسمها. ليس ذنبها  
أن سُمّيت جامسينا على اسم والدها جايمس الذي غرق في البحر

قبل شهر من ولادتها. أَدْعُوها دوما العَمَّة جيمسي. حسنًا، تزوجت  
ابنتها الوحيدة مؤخرًا، وسافرتُ إلى بلدٍ أجنبيٍّ، وتركتُها بين براثنِ  
الوَحدة. سوف تأتي إلى «كينغسبورت»، وتدبر شؤون بيتنا، إذا  
رضينا به، وأنا واثقةٌ أننا سنحبُّها. كلِّما فكرتُ بالخطة وجدتها رائعةً.  
يمكننا الاستمتاع باستقلالنا.

إذا قبلتما بالأمر، أنت وبريسيلا، سيكون من الجيِّد أن تبحثا هذا  
الرَّبيع عن منزلٍ يلائمنا في الجوار، بما أنكما على عينِ المكان. فذلك  
أفضلُ من انتظارِ حلولِ الخريف. ويخيَّر أن تعثرا على بيتٍ مؤثثٍ،  
لكننا نستطيع دوما الحصول على ما يلزمنا من الأثاث المقدَّس في  
الغرف العلوية بمنازلنا وبيوت أصدقائنا. على كلِّ، اتَّخذنا قراركما  
بسرعةٍ واکتبا لي، كي تضع العَمَّة جامسينا خطط السَّنة المقبلة».

قالت بريسيلا:

أظنُّها فكرةٌ جيِّدةٌ.

وافقت أن في حبورٍ:

- أنا أيضًا. سكننا الدَّاخليُّ جيِّلٌ دون شكِّ، لكنَّه ليس بيتًا بأتم  
معنى الكلمة. هيَّا بنا نبحثُ عن بيتٍ للإيجار قبل موعدِ  
الامتحانات!

لكنَّ بريسيلا حدَّرتها قائلةً:

- أخشى أن يصعُب العثور على بيتٍ مناسبٍ. لا تأملي كثيرًا  
يا آن. فالبيوتُ الجميلةُ في الأحياءِ الرَّاقيةِ تفوق إمكانيَّاتنا



عادةً. سنكتفي ببيتٍ رثٍ في شارع يسكنه أناسٌ لا يناسبنا  
الاختلاط بهم، ونستغني بحياتنا داخله عن مظهره الخارجيّ.  
بحثت البنتان عن بيتٍ للإيجار، لكنهما وجدتا الأمر أشقّ ممّا  
خشيت بريسيلا. كان ثمة وفرةٌ في البيوت، مؤثثةٌ أو عارية، غير أنّ  
أحدها واسعٌ جدًّا، والآخر صغيرٌ جدًّا، والثالث باهظ الثمن، أو  
بعيدٌ جدًّا عن «ريدموند». حلّ موعد الامتحانات، ثمّ انقضى، وحلّ  
الأسبوعُ الأخيرُ من الفترة الدّراسيّة، وما زال «منزل الأحلام»، كما  
كانت آن تدعوه، قصرًا معلقًا في الهواء.

قالت بريسيلا في ضجرٍ، بينما كانتا تهيّمان في المنتزه:

- علينا إيقافُ البحثِ، وانتظارُ حلولِ الحريف.

كان اليوم جميلًا، يومًا من أيام أبريل، صبغت زرقه سماءه،  
واعتلّ نسيمه، فتلاّأ الميناءُ أسفل الضباب.

أردفت بريسيلا قائلةً:

- يجب أن نعثّر حتى على كوخٍ نأوي إليه، أو نكتفي بسكننا  
الداخليّ.

قالت آن، وهي تجول ببصرها في مرج:

- لن أقلق حيال الأمر الآن، وإلاّ أفسدتُ هذا المساء الجميل.  
تضوّع النسيم العليلُ رائحة الصنوبر، وكانت السماء زرقاءً  
صافيةً.

- يُعربد الربيعُ في عروقي اليوم، وتملأ فتنة أبريل الجوّ. لديّ

أحلامٌ كثيرةٌ يا بريس، وأنا متفائلةٌ، لأنَّ الرِّيحَ تهبُّ من الغرب. كم أحبَّ الرِّيحَ الغربيَّة! إنَّها تُنشدُ أملاً وسعادةً، أليس كذلك؟ حين تهبُّ رياحُ الشرق، أفكرُ دومًا بالمطرِ الحزين الذي يهطلُ على الشواطئِ الكئيبة. ستُصيبنِي الرِّيحُ الشرقيَّةُ بالروماتيزم في سنِّ متقدِّمة.

قالت بريسيلا ضاحكةً:

- أليس رائعًا أن نتخلَّصَ من ثيابِ الشتاءِ الثقيلةِ، ونضعَ ملابسَ الرَّبيعِ؟ ألا نبدو كأننا وُلدنا من جديدٍ؟

- يتجددُ كلُّ شيءٍ في الرَّبيعِ، حتَّى الرَّبيعِ عينه. لا ربيع يشبه الذي سبقه. إنَّه يحملُ دومًا أمرًا رائعًا خاصًّا به. انظُرِي إلى نَضارةِ العُشبِ الذي يُحيطُ بالبحيرةِ، وإلى براعمِ الصِّفصافِ كيف تتفتح!

- وتنتهي فيه الامتحاناتُ أيضًا. ستَسَلِّمُ شهادتينا يومَ الأربَعاءِ المُقبلِ، ونعودُ إلى بيوتنا بعدَ أسبوعٍ.

قالت آن حاملةً:

- أنا سعيدةٌ جدًّا. أوْدُ القيامَ بأشياءَ عديدةٍ هناك: الجلوسِ على سَلامِ الشُّرفةِ الخلفيَّةِ، والشَّعورِ بهبوبِ النَّسيمِ على حقولِ السيِّدِ هاريسون، والبحثِ عن السَّرخسِ في الغابةِ المُسكونةِ، وجمعِ البنفسجِ من الوادي. أتذكرين رحلتنا الرَّائعةَ يا بريسيلا؟ كم أتوقُ إلى سماعِ نقيقِ الضفادعِ وهمسِ أشجارِ الحور! لكنِّي أحببتُ «كينغسبورت» أيضًا، وأنا سعيدةٌ

بالعودة إليها في الحريف المقبل. لولا حصولي على المنحة  
الدراسية لما كان لي إلى العودة سبيل. ما كنت سأجرؤ على  
لمس شيء من مذكرات ماريلا.

تنهدت بريسيلا:

- أرجو أن نحصل على منزل. انظري إلى «كينغسبورت»!،  
بيوت، بيوت في كل مكان يا آن، ولا بيت منها لنا.  
أوقفتها آن:

- توقفي يا بريس! القادم أفضل. سنعمل بالمثل الروماني:  
«سنجد بيتًا، أو نُشيد واحدًا». لا توجد كلمة الفشل في  
قاموسي اليوم.

تسكعتا في المنتزه حتى مغيب الشمس، واستمتعتا بالربيع  
في أبهى حُلله، ثم عادتا عبر الطريق المعتاد، «شارع سبوفورد»،  
تعمدان المرور قبالة منزل باتي.

قالت آن وهما تسيران في المنحدر:

- أصابعي تخزني، أستشعر حصول أمرٍ غامضٍ قريبًا. مثل هذا  
الشعور لا يوجد سوى داخل الكتب. انظري هناك بريسيلا  
غرانت وأخبريني أني أهذي!

ألقت بريسيلا نظرة. لم تحدها أصابع آن وعيونها. فعلى البوابة  
المقوسة لبيت باتي علقت لافتة متواضعة كتب عليها: «بيت مؤثث  
للإيجار. الاستعلام بالداخل».

همستُ آن:

- بريسيلا، هل تظنينا قادرين على استئجار منزلٍ باقي؟

اعترفت بريسيلا:

- لا أظن ذلك. هذا أجهلُ من أن يقع. لم تعد القصصُ الخرافيةُ تحدث هذه الأيام. لا أمل لي يا آن. ستكون خيبةُ الأمل ثقيلةً جدًّا. لن نستطيعَ تحمّل تكاليفِ إيجارِ البيت. لا تنسي أنه في شارع سبوفورد.

قالت آن في حزم:

- تأخر الوقتُ على طرُق الباب. سوف نعود غدًا. اوه يا بريس، أرجو أن يكون هذا البيتُ العزيزُ من نصيبنا. طالما شعرت أن مصيري مرتبطٌ ببيت باقي، منذ رأيتُه أوّل مرّة.

(10)

## بَيْتُ بَاتِي

في مساءِ اليومِ المُوالي، سارتِ البتتانِ بخطى حازمةٍ على الدَّربِ  
الَّذي يجتازُ الحديقةَ الصَّغيرةَ. هزَّتْ رياحُ أبريلِ أغصانَ الصَّنوبرِ،  
وعجَّتْ الشُّجيراتُ بطيورِ أبي الحنَّاءِ. طرقتِ البتتانِ البابَ على  
استحياءٍ، فاستقبلتُهما خادمةٌ مُسنَّةٌ عابسةٌ. أفضى البابُ إلى غُرفةٍ  
استقبالٍ واسعةٍ، حيثُ جلستُ سيِّدتانِ مُستتانِ عابستانِ قُبالةِ  
المِدْفأةِ. كانتا مُتشابهتينِ، رَغِمَ أنْ إحداهما بدتْ بسنِّ السَّبَّعينِ،  
بينما لم تتجاوزِ الأخرى الخمسينِ من عُمرها. كان لِكليهما عيناينِ  
واسعتانِ زرقاوانِ تقبعانِ خلفَ نظَّارتينِ معدنيَّتي الإطارِ.  
اعتمرت كلِّ واحدةٍ منهما قُبعةً وشالاً رمادياً، وجلستا تحيكانِ في  
صمتٍ ومثابرةٍ، وتُهزَّانِ مقعديهما في هدوءٍ، وتنظرانِ إلى البنتينِ  
دون أنْ تنبسا بينتِ شَفَةَ. رَبَضَ خلفهما كلبانِ أبيضانِ ضُخْمانِ من  
الحزفِ الصَّينيِّ، تكسو جلدِيهما دوائرَ خضراءِ، ولهما أنفانِ أخضرانِ  
وآذانِ خضراءِ. أثار الكلبانِ انتباهَ آن على الفورِ، وبدوا لها مثلِ إلهينِ  
يحرسانِ «بيتِ باتي».

خيمَ الصَّمْتُ لبضعِ دقائقِ. كانت البتتانِ متوترتينِ. لم ترغبِ  
السِّيداتُ المسنَّاتُ في الحديثِ، وكذلك فعلتِ الكلابُ الحزفيَّةُ.

أجالت آن بصرها في الغرفة. كان المكان رائعًا. وقع بصرها على بابٍ ثانٍ يفضي إلى بستان صنوبرٍ، تجمّعت على عتبه طيور أبي الحنّاء. كست الأرضيّة زرابيُّ كالتّي كانت تحيكها ماريلا في «غرين غايلز». وفي أحد الأركان، علّقت ساعة قديمةً تدقّ في وقارٍ. برق خزفٌ صينيٌّ خلف الأبوابِ الزجاجيّة للخزائنِ الصّغيرة والبهيجّة المستقرّة على رفّ المدفأة. وزيّنت الجدرانُ ببعضِ النقوشِ العتيقة. وفي ركنٍ آخر، رقيت سلامٌ إلى دورٍ علويٍّ، في ردهته أريكةٌ تدعوك إلى الاسترخاء. كان كلُّ شيءٍ مطابقًا لما رأيته آن في خيالها.

ثقل الصّمتُ، فوكّزت بريسيلا رفيقتها لتدفعها إلى الحديث. خاطبت آن السيّدة الأكبر سنًّا، الأنسة باتي سبوفورد دون شكٍّ، في صوتٍ خافتٍ:

- رأينا... رأينا إعلانَ إيجارِ البيت.

قالت الأنسة باتي:

- اوه، نعم. كنتُ أنوي إزالة ذلك الإعلانِ اليوم...
- إذن... إذن جيئنا متأخّرتين. هل أجرته لشخصٍ آخر؟
- لا، قرّرنا العُدول عن تأجيرِه.

قالت آن باندفاعٍ:

- اوه، أنا آسفة. كم أحببتُ هذا البيت! تميّت لو حصلنا عليه. حينئذٍ، وضعت الأنسة باتي عملَ الحياكة جانبًا، خلعت نظارتَيْها، ومسحتها، ثمّ أعادت وضعها. ولأوّل مرّة، نظرتُ إلى آن

كما تنظرُ إلى آدميٍّ. حذتِ السيّدتان حذوها، فبدا الأمرُ كأنّه انعكاسٌ في مرآةٍ.

قالت الأنسة باتي، وهي تضغط حروفها:

- أتحبّينه حقًّا؟ أو يُحَيِّلُ إليك فحسب؟ هذه الأيام، تهذي الصّبايا بأشياءٍ غيرِ مفهومة. لم يكن الأمرُ على هذا النحو في صباي. فلم تكن الفتاة تقول إنّها تحبّ أمّها، أو تحبّ خالقها، بنفس النبرة التي تقول بها إنّها تحبّ اللّفت.

لم تُحَبِّطْ آن، وقالت بلطفٍ:

- أحبه كثيرًا. أحببته منذ رأيتُه أوّل مرّةٍ في الخريفِ الماضي. نريدُ، أنا وزميلاتي في الجامعة، أن نتخذَ بيتًا للسنة المقبلة بدلًا من السّكن الدّاخليّ، لذلك نبحث عن بيتٍ صغيرٍ للإيجار، وحالما رأيتُ هذا البيت سَعِدْتُ كثيرًا.

قالت الأنسة باتي:

- مادّمتِ أحببته، فستحصّلين عليه. قرّرنا، ماريا وأنا، ألاّ نؤجّره في نهاية المطاف، لأنّنا لم نُعجبْ بأيّ شخصٍ أراد كراءه. لسنا مُجَبِّرين على إيجاره، ففي مقدورنا السّفر إلى أوروبا دون حاجتنا إلى كرائه. سيساعدنا إيجاره طبعًا، لكنني لن أوجّره، ولو لقاء الذهب، لأيّ شخصٍ من بين الذين أتوا وألقوا نظرةً عليه. أنت مختلفةٌ تمامًا. أعتقدُ أنّك تُحَبِّينه، وستحافظين عليه. إنّه لك.

تردّت آن:

- إذا... إذا كان بوسعنا دفع ما ستطلبينه.

ذكرت الأنسة باتي المبلغ. فتبادلت آن وبريسيلَا نظراتهما. ثم هزّت بريسيلَا رأسها، وقالت آن، وهي تجسّ خيبةً أملها:

- أخشى أننا لن نقدر على دفع هذا المبلغ. ما زلنا طالبين، ونحن فقيرتان.

سألته الأنسة باتي دون أن تتوقّف عن الحياكة:

- كم بوسعكما أن تدفعا؟

أخبرتها آن بالمبلغ، فأومأت:

- هذا مناسبٌ. لا نحتاج إلى تأجيله، كما سبق أن أخبرتُك. لسنا ثرياتٍ، لكننا نملك ما يسمَحُ لنا بالسّفر إلى أوروبا. لم أزرّها قطّ، ولم أتوقّع الذهابَ إلى هناك، ولم أرّده. لكنّ ابنة أخي ماريَا سبوفورد اشتهتِ السّفر. أنت تعرفين أنّ شابةً مثل ماريَا لا يسعُها الجولانُ حول العالمِ بمفردها.

همست آن حين لمحت الأنسة باتي تتحدّث بجديّة بالغة:

- لا... لا أظنّ.

- بالطبع لا. لذلك عليّ مرافقتها للاعتناء بها. أتوقّع أن أستمتع بالرحلة أيضاً. أنا في السبعين من عمري، لكنني لم أمل الحياة. كنت سأزور أوروبا لو خامرتني الفكرة من قبل. سنرحل لسنتين أو ربّما ثلاث. سنبحر في شهر حُزيران، ونرسلُ لك



المفتاح، وتركُ لك حرّيةَ المجيء متى أردت. سنحزمُ أمتعةً قليلةً، ونترك البقية.

قالتُ آن في حياءٍ:

- هل سترُكين الكلبين الخزفيين؟

- هل تودّين ذلك؟

- اوه، بالتأكيد. إنهما رائعان.

ارتسم السرورُ على مُحيّا الأنسة باقي، وقالت بفخرٍ:

- أفكرُ بالكلين كثيرًا. فقد بلغا مئة سنةٍ من العُمُر. قبعًا فوق

رفّ المدفئة منذ جلبهما شقيقي آرون من لندن منذ خمسين

سنة. لقد أُطلق اسم شقيقي على شارع سبوفورد.

تكلّمت ماريا لأوّل مرّة:

- كان رجلًا راقياً قلّمًا تجدين مثله هذه الأيام.

قالت الأنسة باقي بتأثّرٍ بادٍ على محيّاها:

- كان عمًّا رائعًا لك يا ماريا. هل تذكّرينه جيّدًا؟

قالت الأنسة ماريا بوقارٍ:

- سأذكّره ما حييت. إنّي أراه السّاعة واقفًا بجانب المدفأة،

ويداه خلفَ معطفه، وهو يرنو إلينا.

تناولت الأنسة ماريا منديلها، وجفّفت عينيها، لكنّ الأنسة

باقي غادرتُ عالم العواطفِ إلى عالمِ المأل.

- سأتركُ الكلبين مكانهما، إذا وعدتني بالعناية بهما. إنهما يدعيان

«يأجوج» و«مأجوج»، يرنو «يأجوج» إلى اليمين، ويرنو «مأجوج» إلى الشمال. هناك أمرٌ آخر، أملُّ ألا تعترضني على تسمية البيت بيت باتي.

- لا، طبعًا، إنه اسمٌ جميل.

قالت الأنسة باتي في شيءٍ من الرضا:

- أنتِ تتحلّين بالحكمة. أتصدّقين أنّ كلّ الذين أتوا لاستئجار البيت طلبوا محو اسمه طيلة إقامتهم به. فأخبرتهم أنّ البيت واسمه لا يفرقان. لقد دُعي «بيت باتي» منذ تركه لي أخي آرون في وصيته، وسيظلّ «بيت باتي» حتى ألفظ أنفاسي، وتموت ماريًا.

ختمت الأنسة باتي خطابها، كأنّها تقول: «وبعدي الطوفان»، وأردفت قائلةً:

- فليسمّه المالك الجديد بعد ذلك ما يشاء. والآن، ألا تودّين القيامَ بجولةٍ داخل المنزل قبل أن نتمّ الصّفقة؟

زاد اكتشافُ المزيدِ من سعادةِ البنتين. فإلى جانبِ غرفةِ الضيوف، كان هناك مطبخٌ وغرفةٌ نومٍ بالدورِ الأرضي، وغرفةٌ كبيرةٌ وغرفتان صغيرتان بالدورِ العلوي. أُعجبتُ أنّ بإحدى الغرفِ الصغيرةِ التي تُطلُّ على أشجارِ الصنوبرِ العالية، وودت لو تستأثر بها. كانت جدرانها مكسوةً ورقًا أزرقًا شاحبًا، وحوّت منضدةً عتيقةً للزينة، بها شمعدانٌ. كان زجاجُ نافذتها سماويًا، وقبعت أسفل ستائر «الموصلين» أريكةً يُمكن أن تُشكّل مكانًا جميلًا للدراسةِ والحلم.

قالت بريسيلا، بينما كانتا تسيران:

- إِنَّ الْبَيْتَ أَرُوغٌ مِنْ أَنْ يَكُونَ حَقِيقِيًّا. أَخْشَى أَنْ نَسْتَيْقِظَ  
فَنَكْتَشِفَ أَنَّنَا كُنَّا دَاخِلَ حُلْمٍ جَمِيلٍ.

ضحكت آن:

- الْآنَسَةُ بَاتِي، وَالْآنَسَةُ مَارِيَا، لَا تَمْتَنَّانِ إِلَى الْأَحْلَامِ بِصِلَةٍ. هَلْ

يُمْكِنُكَ تَخِيلُهُمَا وَهُمَا تَجُوبَانِ الْعَالَمَ فِي قَلْنُسُوتَيْهِمَا وَدِثَارِيَهُمَا؟

- أَظَنَّ أَنَّهُمَا سَتَنْزَعَانِيَا عِنْدَ بَدَايَةِ جَوْلَتَيْهِمَا. لَكِنِّي أَعْلَمُ أَنَّهُمَا

سَتَأْخِذَانِ شُغْلَ الْحَيَاكَةِ مَعَهُنَّ إِلَى كُلِّ مَكَانٍ. لَنْ تَسْتَطِيعَا

فِرَاقَهُ. سَتَتَجَوَّلَانِ فِي دَيْرِ «وَسْتَمِينِسْتِر» وَهُمَا تَحِيكَانِ. فِي

الْأَثْنَاءِ، سَنَعِيشُ فِي «بَيْتِ بَاتِي» بِشَارِعِ «سَبُوفُورْد». أَشْعُرُ

أَنِّي صَرْتُ مَلْيُونِيرَةً مِنْذُ هَذِهِ اللَّحْظَةِ يَا آن.

قالت آن:

- أَشْعُرُ أَنِّي نَجْمٌ يَتَغَنَّى بِالسَّعَادَةِ.

قَدِمْتُ فَيْلِ جُورْدُونِ تِلْكَ اللَّيْلَةِ. تَهَالَكْتُ عَلَى سَرِيرِ آن، وَقَالَتْ

ضَاحِكَةً:

- يَا عَزِيزَتِي، أَنَا مَرَهَقَةٌ جَدًّا. كَأَنِّي ذَلِكَ الرَّجُلُ الَّذِي لَا أَرْضُ

لَهُ، أَوْ لَا ظِلَّ لَهُ؟ لَقَدْ نَسِيتُ أَيُّهُمَا. حَزَمْتُ أَمْتَعَتِي. وَأَظْنُكُمَا

مُتَعَبَتَيْنِ وَلَا تَعْلَمَانِ بِمَاذَا تَبْدَأْنَ أَوْ لَا. بِالضَّبْطِ! فَحِينَ حَشَرْتُ

كُلَّ شَيْءٍ فِي حَقِيبَتِي، وَجَلَسْتُ فَوْقَهَا مَالِكَةَ الْبَيْتِ وَخَادِمَتُهَا

كِي أَتَمَكَّنَ مِنْ إِحْكَامِ قَفْلِهَا، فَطِنْتُ لِأَنِّي وَضَعْتُ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً

احتاجها لحفل تسليم الشهادات، في قاع الحقيبة. كان عليّ فتحها، والغوص فيها طيلة ساعة، قبل أن أعثر على ضالتي. كنت، في كل مرة، أقبض على شيء يشبه الذي أبحث عنه، لكنني سرعان ما أكتشف خطئي عندما أخرجُه. لا يا آن، لم أجدف، ولم ألعن.

- لم أقل إنك فعلت.

- عيناك قالتا. لكنني أعترف أنني كدتُ أفعل. كما انتابني نزلة برد، فلم أفعل شيئاً غير العطس والشهيق والتنهد. أليس ذلك مؤلماً؟ هيا أيتها الملكة آن!، هلا قلت شيئاً يُنعشني؟

- تذكري أنك ستعودين إلى أليك وألوزو مساء الثلاثاء المقبل. قالت فيل وهي تهز رأسها بكآبة:

- «هذا أشد إيلاماً. لا أرغبُ بأليك وألوزو مع نزلة البرد. ما الذي حدث معكما؟ حين أتطلع إليكما، يُشعّ بريق باطني. أنتما حقاً تتلأآن. ماذا حدث؟

قالت آن بنبرة ظفري:

- سنقطن بيت باتي الشتاء القادم. سنعيش هناك. أنبّهك، نحن لا نكثري غرفة، لقد أجرنا البيت، وستيلا ماينارد قادمة، ومعها عمّتها لتعتني بشؤون البيت».

انتفضت فيل بغتة، مسحّت على أنفها، وجثّت على ركبتيها أمام

آن:

- يا بنات رجاء، دعوني آتي معكن! سأكون لطيفةً جدًّا. سأنام في وِجارِ الكلب في الحديقة إذا لم يتَّسع البيتُ لي. دعوني آتي معكن فحسب!

- انهضي أيتها الإوزة.

- لن أترحزح قيد أنملة قبل أن تسمحا لي بالعيش معكن الشتاء القادم.

تبادلتُ آن وبريسلا النظرات. ثم قالت آن ببطءٍ:

- عزيزتي فيل، نودّ أن تكوني معنا. لكن لنكن صريحتين. أنا فقيرةٌ، وبريس فقيرةٌ، وستيلا ماينارد أيضًا، ومدبرة المنزل بسيطةٌ، وستكون مائدتنا بسيطةً أيضًا. وسيكون عليك العيش مثلنا. لكنك ثريةٌ، وغرفتك دليلٌ على ذلك.

- لا يهمني. أفضل تناول الأعشاب مع صديقاتي على اللحم المحمّر في مبيتٍ مملّ. أنا لا أفكر في بطني فحسبُ يا بنات. سأكتفي بالخبز والماء، مع قليلٍ من المرّبي، لو قبلتن بي. واصلت أن:

- ثم، ينتظرك عملٌ كثير. فعمّة ستيلا لا يسعها القيام بكل شيء بمفردها. ولدينا كلنا أعباءً منزليةً نقوم بها. أما أنت...  
- لا أدري كيف أقوم بتلك الأعمال، لكنني أتعلّم بسهولة. سأرتّب فراشي أولًا. وتذكّرا أنّه يسعني، رغم عدم قدرتي على الطبخ، السيطرة على مزاجي. هذا ليس هيئًا. كما أنّي لا

أتذمر من الطقس أبداً. أرجوكم!، أرجوكم! لم أرغب بشيءٍ  
مماثلٍ في حياتي.

قالت آن بنبرةٍ حازمةٍ:

- ما زال هناك أمرٌ آخر. لا يُخفى على أحدٍ في «ريدموند» أنك  
تستقبلين الزيارات كلَّ مساءٍ يا فيل. لن يُمكنك ذلك في  
«بيت باتي». لقد قرّرنا ألا نستقبل أحداً سوى مساء الجمعة.  
إذا أردت العيش معنا، فعليك الالتزام بهذه القاعدة.

- حسناً، لن يُضيرني ذلك. وأنا سعيدةٌ به. كنت أعلم أن عليّ  
الالتزام بهذه القاعدة، لكنني لم أملك الإرادة الكافية للقيام  
بذلك. سيكون من المريح إلقاء المسؤولية على عاتقكم.  
إذا لم تسمح لي بالعيش معكنّ، سأموت من خيبة أمني،  
وسيطاردكنّ شبحي. سأعتكف عتبة «بيت باتي»، ولن  
تسطعن الدّخول والخروج دون أن تطأن شبحي.

تبادلت آن وبريسيلاً نظراتٍ بليغةً مجدّداً:

- حسناً، لا يسعنا أن نعدك بشيءٍ حتّى نستشير ستيلاً، لكنني  
لا أظنّها تعترض، أمّا بالنسبة إلينا، فأهلاً وسهلاً بك.

أضافت بريسيلاً:

- إذا ملّلت حياتنا البسيطة، يُمكنك المغادرة، ولا أحد  
سيسألك.

نهضت فيل، وعانقتها مودّعةً، ثمّ انصرفت مبتهجةً.

قالت بريسيلا بعمق:

- أرجو أن تسير الأمور على خير ما يرام.

قالت آن:

- علينا السهر على ذلك. أظن أن فيل ستأقلم جيداً في بيتنا الصغير السعيد.

- اوه، فيل صديقة، ومتحدثة بارعة. وكلما كبر عددنا، كلما كان أفضل لمدخراتنا الضحلة. لكن كيف ستكون إقامتها بيننا؟ ألا يفترض أن نقضي الصيف والشتاء مع شخص ما، قبل أن نخوض تجربة التعايش معه؟

- اوه، حسناً، سنخضع جميعاً للاختبار. علينا أن نتحلّى بالحكمة القائلة: «نعيش ونترك الآخرين ليعيشوا بسلام». فيل ليست أنانية، رغم طيشها، وأظننا سنمضي أياماً رائقة في «بيت باتي».

مكتبة

t.me/soramnqraa

(11)

## دورة الحياة

عادت آن إلى «آفونلي» تُكلِّلها هالة منحة «ثوبورن». أخبرها الجميع أنها لم تتغير كثيرًا، بنبرة أوحت أنهم تفاجؤوا من بقائها على حالها، كما لو أنها خيبت آمالهم. لم تتغير «آفونلي» أيضًا. هذا ما بدا لها باديء الأمر على الأقل. لكنها ما إن اتخذت مقعدًا في كنيسة «غرين غايلز»، يوم الأحد الأول بعد عودتها، ونظرت إلى طائفة المصلين، حتى رأت العديد من التحوُّلات التي جعلتها تُدرك أن الزمن لم يتوقف حتى في «آفونلي». فقد ارتقى قسٌ جديد المنبر. وغابت وجوه مألوفة كثيرة عن المقاعد، إلى الأبد. وانتهت نبوءات أب العجوز: تنهدت السيِّدة بيتر سلون تنهيدتها الأخيرة، وأغمض تيموثي كوتون عينيه إلى الأبد، فقالت السيِّدة رايتشل ليند إنه «مات أخيرًا بعد أن تمرَّن على الموت طيلة عشرين سنة»، ولم يتعرَّف أحدُ العجوزَ جوسيا سلون في نعشه، بعد أن سُذبت شواربه. رقد جميعهم في المقبرة الصغيرة خلف الكنيسة.

تزوج بيلي أندروز من ناتي بلويت، أيضًا! حلَّ ركبهما ذلك الأحد. وحين قدَّم بيل زوجته السمينَةَ الرَّافلة في الحرير إلى صفِّ هارمون أندروز بسعادةٍ وفخرٍ، خفضتْ آن جفنيها لتخفيَ نظرتها.



تذكرت ليلة الشتاء العاصفة في عظمة الكريسماس الأخيرة، حين خطبتها جاين لشقيقها بيلي، الذي لم ينقطر قلبه عندما رفضته. تساءلت أن إذا كانت جاين من خطب له ناتي، أو استجمع شجاعته ليطلب يدها بنفسه. شاطرته كل أسرة أندروز زهوه وفخره، بدءاً من السيدة هارمون الجالسة على المقاعد، وصولاً إلى جاين المتواجدة حيث الجوقة.

استقالت جاين من مدرسة «آفونلي»، وقررت السفر غرباً، في الخريف.

قالت السيدة رايتشل ليند مستهزئةً.

- قيل إنها لم تعثر على عريس في «آفونلي». تقول إن صحتها ستتحسن في الغرب. لم أسمع قط أن صحتها ساءت، من قبل.

قالت آن:

- جاين فتاة طيبة. لم تحاول قط جذب الانتباه نحوها، مثلما فعل البعض.

- اوه، لم تطارد الرجال قط، إذا كان هذا ما تقصدين. لكنها كانت ترغب في الزواج، مثل الجميع. ما الذي يشدها إلى منطقة نائية غير أنها مليئة بالرجال بينما النساء فيها نادرات؟  
أجيبي!

لكن آن لم تحدد النظر في جاين ذلك اليوم، وإنما تأملت في

دهشة واستياءٍ روبي جيليس، التي جلست إلى جانبها في الجوفة. ما الذي حدث لروبي؟ كانت أشدَّ وسامةً من ذي قبل، عيناها الزرقاوان تبرقان، ووجنتها تتلألآن، وازدادت نحافةً حتى بدت يداها اللتان تُمسكان بكتاب التراتيل شفافتين من أثر الرقة.

سألت آن السيِّدة ليند حين عودتها من الكنيسة:

- هل روبي جيليس مريضة؟

- روبي جيليس يقتلها السِّل رويداً رويداً. الكلّ يعرف ذلك عدا روبي وأسرّتها. لن يستسلموا. لو سألتهم عنها، سيخبرونك أنّها على خير ما يرام. صارت عاجزةً عن التدريس منذ أزمة الاختناق الأخيرة التي ألمت بها في الشتاء، ومع ذلك تصرّ على مواصلة العمل في مدرسة «وايت ساندز». حين تفتح المدرسة أبوابها، ستكون المسكينة في قبرها.

أنصتت آن لها مصدومة. صديقة المدرسة، روبي جيليس، مُتخضرة؟ أهذا خبر يُصدق؟ لقد افترقتا طيلة السنوات الأخيرة، لكنّ الود الذي نشأ بينهما في المدرسة لم يُمحَ، فطفا إلى السطح مع الخبر الذي هزّ عروش قلب آن. روبي اللامعة، المرحة، المغنجة! كان صعباً أن تربط بين صورتها والموت.

حيث روبي آن بكلّ مودةٍ بعد خروجها من الكنيسة، ودعتها إلى زيارتها المساء الموالي، بعد أن همست لها بنبرة الظّافة:

- سأغيب يومي الثلاثاء والأربعاء. سأحضر حفلاً موسيقياً في «كارمودي» وسهرةً في «وايت ساندز». سيصحّبني هيرب

سبنسر. إنه صديقي الجديد. لا تنسي الحضور غدا. أتحرّق  
شوقاً لحديثٍ رائعٍ معك. أودّ أن أعلم كلَّ شيءٍ فعلته في  
«ريدmond».

فهمتُ أنّ أنّ روبي تُريدُ أن تُخبرها أحدثَ غرامياتِها، لكنّها  
وعدتها بالمجيءِ، وتطوّعتُ ديانا لمرافقتها.

قالتُ ديانا حينَ غادرتنا «غرين غايلز» في المساءِ المُوالي:

- وددتُ زيارةَ روبي منذُ مدّةٍ، لكنني لم أستطعِ الذهابَ بمفردي.  
من الفظيخِ أن تستمعي إلى ثرثرةِ روبي وهي تتظاهرُ بأنّ كلّ  
شيءٍ على ما يُرام، حتّى حينَ تعجزُ عن الكلامِ من شدّةِ  
السُّعال. إنّها تُقاوم من أجلِ حياتِها، لكنّها لا تملكُ أيّ  
فرصةٍ، كما يُقال.

سارتِ البتّانِ في صمّتٍ، في طريقٍ لوّنه ضياءُ الشفقِ الأحمرِ.  
رتلتُ عصافيرُ أبي الحنّ صلواتِ المساءِ على قِمَمِ الأشجارِ، فملأتِ  
الهواءَ الذهبيَّ بأصواتِها الشّجيّة. وتناهى عزفُ الضفادعِ على النّاي  
من المُستنقعاتِ والبُحيراتِ، متردّداً فوقِ الحقولِ التي أخذتِ الحياةَ  
تدبّ في بذورها. وتضوّعَ في الجوّ عطرُ توتِ العُليقِ العذبِ. وحلّق  
الضبابُ الأبيضُ فوقِ الوديانِ الصامتهِ. وأشعتِ النجومُ البنفسجيّةُ  
بضوءٍ أزرقٍ فوقِ ضفافِ الجداولِ.

قالتُ ديانا:

- غروبٌ جميلٌ. انظري يا آن!، كأنّ السّماءَ تُماثلُ الأرضِ.

تشكّل تلك الغيمةُ البنفسجيةُ شاطئاً، وتُشبه السماءَ الصّافيةُ  
التي تعلوها بحرًا ذهبيًا.

- لو أنّنا نستطيعُ أن نُبحرَ في ضوءِ القمرِ، على متنِ القاربِ الذي  
وصفه بول في إحدى كتاباته، هل تذكرين؟ هل سنلاقي كلّ  
ماضينا هناك يا ديانا، كلّ مواسم الربيع التي مرّت بنا؟ هل  
كلّ الأزهار التي رآها بول هناك هي التي تفتّحت لنا في  
الماضي؟

- توقّفي! إنك تُشعِريني أنّنا صرنا سيّدتين هِرميتين تركنا  
تاريخهما خلفهما.

- شعرتُ بذلك ما إن سمعتُ بروبي المسكينة. إذا كانت حقًا  
تُحتضر فإنّ كلّ شيءٍ مُحزنٍ له وجودٌ حقيقيٌّ أيضًا.

- هل تمنعين الوقوف ببيت إيشا رايت لبرهةٍ؟ طلبت مني  
أمي أن أسلم طبق حلوى الهلّام إلى العمّة آتوسا.

- من تكون العمّة آتوسا؟

- اوه، ألا تعرفينها؟ إنّها السيّدة سامسون كوتس من «سبنسر  
فايل»، خالة السيّدة إيشا رايت. وهي خالة أبي أيضًا. توفي  
زوجها الشّتاء الماضي، وتركها للفقر والوحدة، فاستقبلها  
آل رايت للعيش معهم. فكّرت أمي في استقبالها أيضًا، لكنّ  
أبي رفض ذلك. ما كان سيتحمّل العيش مع العمّة آتوسا.

سألتهَا آن في شرود:

- أهي سيئةٌ إلى هذا الحدِّ؟

- ستكتشفيها قبل أن ننصرف. يقول أبي أن وجهها حادٌّ كالفأس، لكن لسانها أكثرُ حِدَّةً.

انقضى جزءٌ كبيرٌ من الليل، عندما جلستِ العمّة آتوسا بفستانها البالي وشعرها الرماديّ المنفوش، تُقطع شرائح البطاطس، في مطبخ «بيت رايت»... وبما أنها تكره أن تُفاجأ، أبدت شراسةً أكثر من المؤلف، وقالت حين قدّمت ديانا أن إليها:

- اوه، أنتِ آن شيرلي إذن؟ لقد سمعتُ عنك.

وبدا من نبرة صوتها أنها لم تسمع عنها أمراً جيداً.

- أخبرتني السيّدة أندروز أنك عدتِ إلى الديار. قالت إنك تطوّرت كثيراً.

فكرتِ العمّة آتوسا أن مجالاً للتطوّر مازال ممكناً دون شكّ. ولم تتوقف عن تقطيع البطاطس بحيويّة فائقة. ثم سألت في استهزاء:

- هل لدعوتكما إلى الجلوس من جدوى؟ لا شيء يثير اهتمامكما هنا. فالجميع خارج البيت.

قالت ديانا بلطفٍ:

- أرسلتُ لك أمي هذا الوعاء من هلام الرّاوند<sup>(1)</sup>، صنّعته اليوم، وفكرت أنك تشتهين بعضه.

قالت العمّة آتوسا بحدّة:

(1) عشب بطاطية

- اوه، شكرًا. لم يستهوني هُلام أمك يومًا، فهي تحليه كثيرًا. لكنني سأحاول تناول شيءٍ منه. لقد فقدتُ شهيتي هذا الربيع. لا أشعر أنّي على ما يُرام. لكنني أشغلُ نفسي. لا يُرحبُ بالكسالى هنا. هل تمنعين حفظ هذا الهُلام في غرفة المؤونة؟ عليّ الانتهاء من تقطيع هذه البطاطس الليلة. أظنّ أنّكما لا تقومان بشيءٍ كهذا أبدًا خشية إتلاف أياديكما.

ابتسمت آن قائلةً:

- اعتدتُ تقطيع حبّات البطاطس قبل أن نؤجّر الضيعة.  
وقالت ديانا ضاحكةً:

- مازلت أقوم بذلك. قطعُ البطاطس منذ ثلاثة أيام فقط، الأسبوع الماضي. ثمّ غمستُ يديّ في عصير الليمون طبعًا، وأحطتها بقفازين كلّ ليلة.

تنشقت العمة أتوسًا الهواء، وقالت بازدراءٍ:

- أظنّك تعلّمت ذلك من إحدى المجلات التافهة. لا أدري إن كانت والدتك تسمح لك بذلك، لكنّها طالما دلتكِ. منذ تزوّجها جورج، عرفنا أنّها لن تكون زوجةً ملائمة.

تنهدت العمة أتوسًا بعمقٍ، كأنّ نذور الشؤم التي حملها زواج جورج باري تحققت جميعًا. وسألت البنتين حين نهضتا:

- هل ستنصرفان؟ حسنًا، لا أظنّكما تجدان أيّ متعةٍ في الحديث إلى عجوز هرمة؟ الأولاد خارج البيت، للأسف.

قالت ديانا:

- نريد أن نُسرِعَ لنبقى قليلاً مع روبي جيليس.

- لا تُعوزك الحُجَّةُ طبعاً. تدخُلان وتخرُجان بلا أثر. هذه عادةٌ

بنات الجامِعة. من الأفضل أن تبتعدا عن روبي جيليس.

يقول الأطباء أن السِّلَّ مُعِدٍ. طالما عرفت أن روبي ستمرض

بسبب تسكّعها في «بوسطن» الخريف المنصرم. إنَّ الناس

الذين لا يرضون البقاء في بيوتهم يصيبهم دوماً خطبٌ ما.

قالت آن بجديّة:

- لكنَّ الناس الذين لا يذهبون إلى أيِّ مكانٍ يمرضون أيضاً،

وأحياناً يموتون.

ردّت العمّة آتوسا في ظفر:

- لا يلو منّهم أحدٌ إذن. سمعت أنك ستزوّجين في حزيران يا

ديانا؟

قالت ديانا في حياءٍ:

- الأمر خالٍ من الصّحة.

- طيبٌ، لا توجّلي الأمر كثيراً!، ستذبلين قريباً. فجمالك

في بشرتك وشعرك. لا تنسي أن آل رايت متقلّبو المزاج!

اعتَمري قُبعةً يا آنسة شيرلي!، فأنفك عرضةً للنمّش. اه،

لكنك ذاتُ شعرٍ أحمر. حسناً، الله هو الذي صوّرنا كيف

يَشاء. بلّغي احترامي إلى ماريليا كَثرت! لم تزرني منذ حللتُ

«آفونلي»، لكنني لن أتدمر. طالما عدّ آل كثرت أنفسهم أرفع

شأننا من الجميع هنا!

هتت ديانا حين عبرتا الزقاق:

- أليست رهيبّة؟

ردّت آن:

- إنّها أسوأ من الأنسة إيزا أندروز. لكن تخيّل نفسك تُمضين كامل حياتك وأنت تحملين اسم «آتوسا». لو سمّت نفسها «كورديليا» مثلاً، لساعدها ذلك قليلاً. فطالما كان عوناً لي طيلة الأيام التي كرهتُ بها اسم آن.

- ستصبح جوزي باي مثلها حين تكبر. إنّ أمّها قريبة العمّة آتوسا. اوه، كم أسعدني انتهاء الزيارة! إنّها خبيثة جدّاً، ولا تُحبّ شيئاً. قصّ عليّ أبي قصّةً طريفةً عنها. فقد كان في «سبنسرفايل» فيما مضى قسّ طيّبٌ وتمدّينٌ، لكنّه أصمّ. ولأنّ الناس اعتادوا الاجتماع للصلاة أمسيات الآحاد، ينهض أعضاء الكنيسة ويتلون صلواتهم واحداً تلو الآخر، أو يناقشون بضع آياتٍ من الإنجيل. وذات مساءً، وثبتت العمّة آتوسا من مكانها، غير أنّها لم تتل صلاةً ولا موعظةً، وإنّما أشارت نحو كلّ الحاضرين، ودعتهم بأسمائهم، واستعرضت أفعالهم، معلنةً كلّ الخصومات والفضائح التي جدّت طيلة عشر سنواتٍ مضت، وختمت بإعلان اشتمزازها من كنيسة «سبنسرفايل» التي قرّرت عدم زيارتها مجدّداً، ودعت عليها



بالويل والثبور، ثم جلست لاهثةً. عندها قال القسّ الذي لم يسمع شيئاً: «أمين، فليقبل الربّ صلاة أختنا العزيزة!». عليك أن تسمعي أبي وهو يروي هذه القصة.

أردفت آن بنبرة ذات مغزى:

- بمناسبة القصص، هل تعرفين أيّ تساءلت مؤخراً إذا كان بوسعي كتابة قصة قصيرة، قصة تصلح للنشر؟

قالت ديانا، وقد فهمت معنى الاقتراح المدهش:

- بالطبع، يمكنك ذلك. لقد ظللت تكتبين قصصاً مثيرةً، سنواتٍ، في نادي القصة.

ابتسمت آن:

- حسناً، لم أعن ذلك النوع من القصص. فكّرت في الأمر مؤخراً، لكنني أخشى المحاولة، سيكون فشلي محرّجاً جداً.

- سمعتُ بريسيلا، ذات مرّة، تقول إنّ كلّ قصص السيد مورغان الأولى قُوبلت بالرّفص. لكنني واثقة بأنّ قصصك لن تعرف نفس المصير يا آن، فقد صار الناشرّون أكثر تفهّماً هذه الأيام.

- كتبت مارغريت بورتون، إحدى الطّالبات في «ريدموند»، قصةً، الشّتاء الماضي، ونشرتها مجلّة المرأة الكنديّة. أظنني قادرةً على كتابة واحدة في مثل جودتها.

- وهل ترومين النّشر في مجلّة المرأة الكنديّة أيضاً؟

- سأجرب حظي مع مجلات مشهورة أولاً. يعتمد الأمر على نوع القصة التي سأكتبها.

- عمّ تتحدّث قصّتك؟

- لا أعلم. عليّ العثور على حبكة مُشوّقة، فذاك ما يهّم الناشر. لا أعرف حتّى اللّحظة، سوى اسم البطلة، إنّها ايفريل ليستر. أليس اسمًا جميلًا؟ لا تخبري أحدا يا ديانا! لم أُسرّ الأمر إلى أحدٍ سواك والسيد هاريسون الذي لم يُبد تحمّسا كبيرا. أخبرني أنّ أكثر ما يُكتب هذه الأيام هراء، وتوقع أنّ آتي شيئا أفضل، خاصّة بعد قضاء سنةٍ في الجامعة.

- وما أدراه بذلك؟

بلغتا منزل آل جيليس المرخ بأنواره المتألّئة وزوّاره الذين غصّ بهم المكان. اكتفى ليونارد كيمبال من «سبنسرفايل» ومورغان بيل من «كارمودي» بالتّحديق إلى بعضهما بعضا عن بُعد. وامتلا المكان بفتياتٍ مرحاتٍ كثيراتٍ. ارتدت روبي فستانا أبيض، وتألّقت بعينين ووجنتين برّاقتين. ضحكت كثيرا، وثرثرت باستمرار، وحين انصرفت الفتيات، أخذت أنّ إلى الدّور العلويّ لتهيّا مجموعة فساتينها الصّيفيّة الجديدة.

- سأخيط فستانا حريريا أزرق، لكنّه سيرفع حرارة جسدي صيفا. أظنني سأنتظر حتّى الخريف. أتعلمين أنّي سأبدأ التدريس في وايت ساندز؟ هل أعجبتك قبعتي الجديدة؟ القبعة التي وضعتها أمس في الكنيسة كانت أنيقة حقا. لكنني

أَفْضَلُ لَوْنًا فَاتِحًا. هل لاحظت ذينك الشَّابَّين السَّخِيفين في الأسفل؟ لقد عزم كلُّ واحدٍ منهما على تنحية الآخر. لكنِّي لا أَكْثَرُ لهما إطلاقًا. أنا معجبةٌ بهيرب سبنسر. وأحيانًا أظنُّه نَصِيبِي. في «كريسماس»، خيَّلَ إليَّ أنَّ ذاك المدرِّس من «سبنسرفايل» حظِّي. لكنِّي اكتشفت أمرًا ما جعلني أرغب عنه. جُنَّ جنونُه حين قطعتُ علاقتي به. ووددت لو أنَّ الشَّابَّين لم يحضرا هذه اللَّيلة. أرغب في الحديث إليك يا آن، أودُّ إخبارك العديد من الأشياء. ألسنا صديقتين حميمتين؟

أحاطت روبي بخصر آن بذراعيها وهي تُطلق ضحكةً سطحيَّة. والتقت عيونُها لحظةً، وخلف بريق عيني روبي، لمحت أن شيئًا فطر قلبها.

همست روبي:

- تعالِيْ دوْمًا يا آن! تعالِيْ وحدك! أنا أحتاجُك.

- هل أنتِ على خير ما يرام يا روبي؟

- أنا؟ لماذا؟ أنا بأفضل حال. لم أكن أفضل يومًا. أنهكتني تلك الأزمَةُ السَّتويَّةُ قليلًا، طبعًا، لكنْ انظري إلى بشرتي! لا أبدو عاجزة.

كانت نبرة روبي فظةً تقريبًا. سحبت ذراعيها من خصر آن في سُخط. وهرولت إلى الدَّور الأرضي، حيث استعادت مرحها، وانهمكت في السَّخريَّة من عاشقيها، حتى شعرت ديانا وأن بثقلها فانصرفت.

(12)

## توبة البطلة

- بم تحلمين يا آن؟

سألته ديانا، في إحدى الليالي، وهما تتسكعان قرب الجدول حيث العشب الأخضر النضر، وحبّات الإجاص البري المتدلّية من الأشجار برائحتها الزكية التي تضوع الجو.

تنهدت آن، وانتزعت نفسها من أحلامها السعيدة:

- كنت أفكر بقصّتي يا ديانا.

صاحت ديانا مبدية اهتمامًا صادقًا:

- اوه، هل شرعت في كتابتها؟

- أجل. لم أكتب غير بضعة صفحات، لكنني فكّرت بها كثيرًا.

لم أعثر على حبكة تناسب شخصية تدعى ايفريل.

- ألم تُغيّري اسمها؟

- لا، مستحيل. لقد حاولت، لكنني لم أستطع، تمامًا مثلما أعجز

عن تغيير اسمك. بدالي اسم ايفريل حقيقياً حتى أنني لم أتمكن

من نسيانه. لكنني حصلت أخيراً على حبكة تناسبها. ثم أثار

اختيار أسماء شخصياتي ذهني. لا تعرفين كم كان الأمر

رائعاً. لقد أَرَقني البحث ساعاتٍ متواصلةً حتَّى وَقَعْتُ على

اسم برسيفال دالريمبل للبطل.

- هل سَمَّيتِ كَلَّ الشَّخصيَّاتِ؟ كُنْتُ سأستسمحكِ قَبْلَ تسمية

إحداها، أو دَ تسمية شخصيَّةٍ واحدةٍ، ولو كانت غير مؤثِّرة.

سأشعر بذلك أني ساهمتُ في القِصة.

- يُمكن أن تطلقي اسماً على الخادم الصَّغيرِ الَّذي يعيش مع

آل ليستر. إنَّ دوره غيرُ مؤثِّرٍ، لكنَّه الوحيدُ الَّذي ظلَّ دون

اسم.

اقترحت ديانا اسماً جادت به ذاكرتها التي امتلأت بأسماء

متشابهة تمَّ تداولها في النادي الأدبي الَّذي أسَّسته بمعيَّة آن، وجاين

أندروز، وروبي جيليس أيام المدرسة:

- سَمَّيه رايموند فيتزوبورن.

هزَّت آن رأسها مرتابةً.

- أخشى أنَّه أرسْتُقراطيٌّ بالنسبة إلى خادمٍ صغير. لا يمكنني

تخيُّل ابن فيتزوبورن يُطعم الخنازير ويجمع حَبَّات البطاطس.

لم تُدرك ديانا المغزى، فلا حدود للخيال، لكنَّ آن موهوبةٌ دون

شك. وفي النَّهاية، حصل الصَّبِيُّ على اسم روبرت راي الَّذي يمكن

تحويله إلى بوبي حين تقتضي الظروف.

تساءلت ديانا:

- كم ستناين لِقَاء القِصة؟

لَمْ تُفَكِّرْ أَنْ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ قَطْ. كَانَتْ تَرْكُضُ خَلْفَ الشُّهْرَةِ،  
وَلَمْ تَكُنِ الْأَمْوَالُ الْقَدْرَةَ هَدَفَهَا، فَمَا زَالَتْ أَحْلَامُهَا الْأَدْبِيَّةُ لَمْ تَتَلَطَّخْ  
بِوَحْلِ الْأَمْوَالِ بَعْدَ.

- سَتَسْمَحِينِ لِي بِقِرَاءَتِهَا، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟
- حِينَ أُمَّتْهَا، سَأَقْرُؤُهَا عَلَيْكَ وَعَلَى السَّيِّدِ هَارِيسُونَ، وَأَوْدَّ أَنْ  
تَبْدِيَارِ أَرِيئِكَمَا بِجَدِّيَّةِ. لَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهَا أَحَدٌ غَيْرَ كَمَا قَبْلَ نَشْرِهَا.
- هَلْ سَتَجْعَلِينِ نَهَايَتَهَا سَعِيدَةً أَمْ حَزِينَةً؟
- لَا أَعْلَمُ بَعْدَ. أَوْدَّ أَنْ تَسْوَأَ الْأُمُورَ فِي النَّهَائِيَّةِ، فَذَلِكَ أَكْثَرَ  
شَاعِرِيَّةِ. لَكِنْ، حَسْبَمَا فَهَمْتُ، يَبْغِضُ النَّاشِرُونَ النَّهَائِيَّاتِ  
الْحَزِينَةَ. سَمِعْتُ الْبَرُوفِيسُورَ هَامَلْتُونَ يَقُولُ إِنَّ الْعَبَاقِرَةَ  
وَحْدَهُمْ مَنْ يَتَقَنُونَ النَّهَائِيَّاتِ الْحَزِينَةَ. لَكِنِّي لَسْتُ مِنْهُمْ.
- أَوْه، أَفْضَلَ النَّهَائِيَّاتِ السَّعِيدَةَ. زَوْجِيهْمَا!
- لَكِنِّكَ تَذْرِفِينِ دَمْعًا سَخِينًا عِنْدَ قِرَاءَةِ الْقِصَصِ؟
- أَوْه، أَجَلْ، فِي مَتَنِهَا. لَكِنِّي أَحَبُّ أَنْ تَنْتَهِيَ الْأُمُورَ عَلَى  
أَحْسَنِ مَا يُرَامُ.
- عَلَيَّ وَضِعْ مَشْهَدٍ مَحْزِنٍ بِهَا. قَدْ أَجْعَلُ رُوبِرْتِ رَايِ يُصَابُ فِي  
حَادِثٍ مَا، وَأَحْصُلُ عَلَى مَشْهَدٍ مَوْتِ.
- لَا، لَا تَقْتُلِي بُوِي! صَارَ يَنْتَمِي إِلَى عَالَمِي، وَأَفْضَلَ أَنْ يَعْشِشَ  
وَيَزْدَهَرَ. اقْتُلِي شَخْصًا آخَرَ إِذَا اضْطَرَّرْتَ إِلَى ذَلِكَ!
- تَأْرَجَحْتَ أَنْ طِيلَةَ الْأَسْبُوعِينَ الْمُوَالِيِينَ بَيْنَ الْمُتَعَةِ وَالسُّخْطِ،

حسب مزاجها، وحسب إبداعها. يغمرها الفرح تارةً، لأنّها عثرت على فكرة لامعة، ويتمكّن منها اليأس طورًا لأنّ أحد شخصياتها الثائرة لم تسلك السلوك الذي أرادته لها. قالت لها ديانا التي عجزت عن إدراك كلّ هذا:

- اجعلها تفعل ما تشائين!

- لا أستطيع. ايفريل بطلّة خارجة عن سيطرتي. سوف تفعل ما لم أمّله عليها، وتقول أشياء لم أعنيها قطّ، وسيفسد ذلك كلّ المراحل السابقة، وأضطرّ إلى كتابته مجددًا.

انتهت القصة أخيرًا، وقرأتها آن على ديانا وهما على خلوة في غرفتها. تجاوزت قراءة المشهد المحزن دون أن تُضحّي بروبرت راي، وثبتت نظراتها على ديانا وهي تقرأ لها. قفزت ديانا من مكانها من فرط الإثارة، لكنها بدت محبطة عند النهاية، وقالت معاتبه:

- لماذا قتلت مورييس لينوكس؟

- إنه شرير، كان يجب أن يُعاقب.

- لكنه المفضل لديّ.

- لقد مات إذن. لو تركته يعيش، لظلّ يُزعج ايفريل وبرسيفال.

- أجل، إلا إذا أعدت صياغته.

- سيفقد ذلك القصة شاعريتها، ويجعلها ممطّطة جدًا.

- حسنًا، على كلّ حال، إنها قصةٌ مميزةٌ يا آن، ستجعلك مشهورةً،

أنا واثقةٌ بذلك. هل اخترت لها عنوانًا؟

- اوه، قررتُ بشأنه مُنذ مدّةٍ طويلة. سأسمها بـ «توبة ايفريل».  
هل يبدو لك جميلاً؟ أخبريني الآن يا ديانا، بصدق، هل  
ترين أيّ هناتٍ في قصّتي؟

تردّدت ديانا، وقالت:

- حسناً، بدالي المشهد حيثُ تصنع ايفريل كعكةً أقلّ شاعريّةً  
بالمقارنة مع بقيّة المشاهد. أظنّ أنّ البطلات لا يحسُنُ بهنّ أن  
يَطمُبخن.

- في ذاك المشهد تحلّ رُوح الدُّعابة، وهو من أفضلِ أجزاء  
القصة.

وربّما كانت آن مُحقّقةً تماماً.

أحجّمت ديانا عن المزيد من التقد، لكنّ إرضاء السيّد هاريسون  
لم يكن أيسر. أخبرها أوّلاً أنّ القصة مليئةٌ بالوصف:

- أمحي كلّ هذه المقاطع المنمّقة.

كانت آن مقتنعةً بأنّ السيّد هاريسون محقّ، فتعاملت على نفسها  
كي تحوِّمقاطع الوصف الأثيرة، رغم أنّها شذّبت القصة ثلاث  
مرّاتٍ من قبل لتعجب السيّد هاريسون الذي يصعبُ إرضاءه.

- محوّتُ جميع مقاطع الوصف، ولم أترك سوى مشهد الغروب.  
لم أستطع إزالته. إنّه الأفضل.

قال السيّد هاريسون:

- ليس له علاقةٌ بالقصة، علاوةً على أنّه ما كان عليك أن



تحكي قصتك حول أثرياء المدينة. ماذا تعرفين عنهم؟ لم لم تجعلي «آفونلي» مسرح أحداثها؟ مع تغيير أسماء الشخصيات طبعًا، وإلا فقد نَحال السيِّدة رايتشل ليند نفسها البَطلة!

- أوه، هذا غير مُمكن. «آفونلي» أجمل مكانٍ في العالم، لكنه غير شاعري كفايةً ليكون مسرح أحداثِ قصة.

- أجرؤ على القول إن «آفونلي» كانت مسرحًا لقصص الحبِّ والمآسي على السواء. لكنَّ شخصياتك لا تبدو حقيقية. إنها تُثرثر في الكلام، ولغتها متكلفَةٌ جدًّا. تحدّث ذلك الرجل المُسمّى دالريمبل لصفحتين كاملتين في أحد المقاطع، ولم يَسْمح للفتاة بالتفوّه بكلمةٍ واحدةٍ. لو أنّ أحدًا أتى نفس الصنيع في الحياة الحقيقية لنبذته.

قالت آن:

- لا أرى رأيك.

فكرت آن في أنّ كلّ الكلماتِ الشاعريّة التي قيلت لا يفربل تأسر قلب أيّ فتاة.

قال السيّد هاريسون:

- لم أفهم سبب فشَلِ موريس لينوكس في إيقاعها في حباله. كان أفضل الشخصيات الرّجاليّة. صحيحٌ أنّه قام بأمورٍ سيّئة، لكنه كان مقدامًا. أمّا بر سيفال فلم يفعل شيئًا سوى التسكّع.

- لكنّ موريس لينوكس هو الشّرير. لا أرى سبباً يجعل الناس يفضّلونه على بر سيفال.
- جعلت بر سيفال طيباً جداً حتى صار مزعجاً. في المرّة القادمة، ضعي شيئاً من نكهة الإنسانيّة في أيّ بطلٍ تكتبين عنه.
- لم يكن في وسع ايفريل أن تتزوج موريس. إنّهُ وغد.
- يمكنها أن تقومه. في وسعك أن تقومي رجلاً، لكنك لن تستطيعي تقويم فنديل البحر. قصّتك ليست سيّئة. إنّها مثيرةٌ نوعاً ما. لكنك مازلت شابةً على كتابة قصّة ذات قيمة. انتظري عشر سنواتٍ أخرى!
- قرّرت أن عدم السّماح لأحدٍ بنقد أيّ قصّةٍ أخرى ستكتبها. كان الأمر محبّباً. لن تقرأ قصّتها على مسامع جلبرت رغم أنّها وعدته بذلك.
- إذا نجحت القصّة، فستقرأها حين نشرها يا جلبرت، لكنّ إذا كتبت لها الفشل، فلن يراها أحدٌ قطّ.
- لم تخبر أن ماريلا بالمغامرة. لكنّها تخيلت نفسها وهي تقرأ القصّة على مسامعها من إحدى المجلّات، وتفخرُ بإعلامها أنّها مؤلّفُها. كلّ شيءٍ ممكنٌ في إطار الخيال.
- ذات يوم، حملت أن مظروفاً ضخماً إلى مكتب البريد، وأرسلته، رغم قلة خبرتها، بكلّ ثقة الشّباب، إلى أشهر مجلّة في البلد. استفسرت ديانا، وكانت متحمّسةً مثلها:

- متى يأتيك ردُّهم؟

- لن يستغرق أكثر من أسبوعين. سأسعدُ إذا قُبلت قصّتي،  
وأفخرُ بنفسي.

- ستقبل طبعاً، ويطلبون منك المزيد من القصص. وتصبحين  
مشهورةً مثل السيّدة مورغان. كم سأفخر بك يا آن!

مرّ الأسبوعُ الأوّل مليئاً بالأحلام الرائعة، ثم عَقَبته يقظةٌ  
مريرة. فذات مساءً، ألفت ديانا آن تُحدِّق بغرابية، وعلى المنضدة  
مظروفٌ كبيرٌ ومخطوطٌ مُجمَعَدٌ.

- آن، أعادت قصّتك؟

- أجل، لقد عادت.

- حسناً، المحرّرُ مجنونٌ بلا شكّ. ما سبب رفضه؟

- لم يذكر سببا. وجدتُ وُريقةً تقول إنه لم يقبل القصّة.

- لم تُعجبني المجلّةُ منذ البداية. فهي تنشرُ قصصاً أقلّ إثارةً  
من قصصِ مجلّةِ المرأة الكنديّة، رغم أنّها أرفعُ سعراً. أظنّ  
المحرّرَ عنصريّاً يقف ضدّ كلّ من ليس أميركيّاً. لا تبتئسي يا  
آن! أرسلها إلى مجلّةِ المرأة الكندية!

- سأفعل. وإذا نُشِرت، سأُرسلُ نسخةً إلى ذلك النّاشر  
الأمريكي. لكنني سأُحوّ مَقَطعُ الغروب. كان السيّد هاريسون  
مُحقّاً.

مُحيّ مَقَطعُ الغروب، لكن رَغم هذا التّشويه، أعاد محرّرُ مجلّةِ

المرأة الكنديّة المخطوطَ بسرعةٍ جعلت ديانا تظنّ أنّه، حتّمًا، لم يجد حتى الوقت لقراءتها، وأقسّمت أن تُفسخ اشتراكها فيها. قابلت آن هذا الرّفص بهدوءٍ سببه اليأس. وأقفلت على قصّتها الخزّانة، حيثُ رقدت كلّ حكايات نادي القصّة، لكنّها رضخت لتوسّلات ديانا وناولتها نسخةً منها وهي تعلن بأسها بمرارة:

- هنا نهاية طموحي الأدبيّ.

لم تذكر شيئًا للسّيّد هاريسون، لكنّه سألها ذات مساءٍ إذا ما تمّ قبولُ قصّتها، فأجابته بنبرةٍ أسي:

- لا، لم يقبلها المحرّر.

ألقي السّيّد هاريسون نظرةً جانبيةً على الفتاة المُحرّجة، وقال بكلّ تشجيع:

- حسنًا، أظنّك ستواصلين الكتابة.

قالت أنّ بإحباطٍ بنت التاسعة عشرة التي أوصدت في وجهها الأبواب:

- أبدأ، لن أحاول كتابة القصّة مُجدّدًا.

قال السّيّد هاريسون بتمعّن:

- لن أستسلم قطّ لو كنت مكانك. سأكتب قصّة بين الفينة والأخرى، لكنني لن أزعج المحرّرين بها. سأكتب عن الناس والأماكن التي أعرفها، وأجعل شخصياتي تتكلّم لغةً بسيطةً، وأترك الشمس تُشرق وتغيب دون ثرثرة. ولو

كُتِبَتْ عَنْ أَشْخَاصٍ أَشْرَارٍ، فَسَأْمَنْحَهُمْ فُرْصَةً يَا أَنْ. يَحْوِي  
العَالَمَ أَشْخَاصًا فَطِيعِينَ مُرَوِّعِينَ، لَكِنَّكَ لَنْ تَعْثُرِي عَلَيْهِمْ  
بِسهولَةٍ، رَغْمَ أَنَّ السَّيِّدَةَ لِينْدَ تَظَنَّ أَنَّنَا جَمِيعًا أَشْرَارًا. إِذْ يَظَلُّ  
لُعْظَمَنَا شَيْءٌ مِنَ اللِّيَاقَةِ وَالكَرَامَةِ. وَاصِلِي الْكِتَابَةَ يَا أَنْ!

- أَبَدًا، كَانَتْ الْمُحَاوَلَةُ ضَرْبًا مِنَ الْجَنُونِ. سَأُكْتَفِي بِالتَّدْرِيسِ  
حِينَ أُتَخَرَّجُ مِنْ «رِيدْمُونْد». يُمْكِنُنِي التَّدْرِيسُ، لَكِنِّي لَا  
أَقْوَى عَلَى كِتَابَةِ الْقِصَصِ.

- سَيَكُونُ عَلَيْكَ الْحَصُولُ عَلَى زَوْجٍ بَعْدَ تَخَرُّجِكَ. لَا أَوْ مِنْ  
بِتَأْجِيلِ الزَّوْاجِ طَوِيلًا، مِثْلَمَا فَعَلْتُ.

نَهَضْتُ أَنْ، وَعَادْتُ إِلَى الْبَيْتِ. إِنَّ السَّيِّدَ هَارِيسُونَ لَا يُطَاقُ  
أَحْيَانًا. فَهُوَ يَرَى أَنَّ بَطْلَةَ قِصَّتِهَا «عَنِيفَةٌ»، وَيَعْتَقِدُ أَنَّ بَطْلَهَا لَا يَفْعَلُ  
شَيْئًا غَيْرَ «التَّسْكَعِ»، وَالْآنَ، صَارَ «عَلَيْهَا الْبَحْثُ عَنْ زَوْجٍ»...

(13)

## دَرْبُ الْمُنْحَرَفِينَ

صار دايفي ودورا جاهزين لمدرسة الأحد. استعدّا للذهاب بمفردهما، وهو أمرٌ نادرٌ الحدوث، إذ طالما حضرت السيدة ليند مواعظ يوم الأحد. لكنّ أحدَ كاحليها التوى، وكان عليها البقاء في البيت هذا الصباح. فعُهد إلى التّوأم بمُهمّة تمثيل الأسرة داخل الكنيسة، بعد أن قصّدت آن ليلة أمس «كارمودي» لقضاء يوم الأحد برفقة صديقاتها، وانتاب ماريلا صداغٌ شديد.

نزل دايفي من أعلى السُّلم ببطء، وانتظرته دورا جاهزةً في الرّدهة. اعتنى دايفي بنفسه جيّدًا هذا اليوم، ووضع فُلْسًا في جيبه من أجل جمع تبرّعات مدرسة الأحد، وقطعةً من خمس سنتات للتبرّع للكنيسة. حمل الإنجيل في إحدى يديه، وكتّيب الدّروس في الأخرى، وحفظ آيات الإنجيل وأسئلة الدّرس جيّدًا. ألم يدرُسها رَغْمًا عنه في مطبخ السيّدة ليند طيلة ظهيرة الأحد الماضي؟ كان جاهزًا ذهنيًا. لكنّه يشعر في أعماقه، رغم الآيات والدّروس، أنّه ذئبٌ ضار.

خرجت السيّدة ليند من مطبخها حين التّحق بدورا، وسألته

في حزم:

- هل أنت نظيفٌ تمامًا؟

ردّ دايفي في تحدّ:

- نعم، كلّ ما ظهر منّي نظيفٌ.

تنهدت السيّدة ليند، فهي ترتاب من نظافة رقبته دايفي وأذنيه. لكنها تعرّف أنه سيفرّ إذا حاولت فحصه، ولن تلتحق به هذا اليوم.

- حسنًا، كونا مُهدّبين! لا تسيرا في طريق مُتربّ! لا تتوقّفا

كي تتحدّثا إلى الأطفال الآخرين! لا تتحرّكا في مقعديكما!

لا تنسّيا آياتكما! لا تفقدا تبرّعاتكما ولا تنسّيا وضعها في

مكانها! لا تهّمسا أثناء الصّلاة!، ولا تنسّيا أن تنتبها إلى

الموعظة!

لم يرُدّ دايفي جوابًا. سار في الدّرب، وخلفه دورا الودّيعه. لكنّ

روحه كانت مهتاجة. راح دايفي ضحيّة لأفعال وأقوال السيّدة

ليند منذ قدومها «غرين غايلز»، لأنّها فشلت في التّعايش مع الكبير

أو الصّغير دون أن تُحاول تقويمه. وفي اللّيلة الماضيّة، تدخّلت في

شؤون ماريلا لتمنع دايفي من الذهاب إلى الصّيد برفقة تيموتي

كوتن، فظلّ غاضبًا منها.

حالمًا غادر الزّقاق، توقّف دايفي، وكشّر لدورا التي تعرف

ألاعيه جيّدًا عن أنيابه، وانفجر قائلاً:

- فلتحلّ عليها اللّعنة!

شهقت دورا في ارتياح:

- اوه، دايفي، لا تُطلقِ الشّتائم!

- هذا ليس سبًا حقيقيًا. ولو أنّي لا أبالي.

- حسنًا، أمسيك لِسَانِكَ عَنِ الشّتائمِ يَوْمَ الأَحَدِ عَلَى الأَقْل!

لم يفكر دايفي بالتّوبة، لكنّه شعر في قرارة نفسه أنّه تمادى كثيرًا.

- سأبتكر سبًا بذيّذًا.

- سيعاقبك الرّبّ.

- ألا يعلمُ الرّبّ أنّ على المرءِ أن يُنفس عن أحاسيسه؟

- دايفي...

توقّعتُ دورًا أن تُخسِفَ الأرضُ بدايفي على الفور. لكنّ شيئًا

لم يحدث.

- على كلّ حالٍ، لن أحمّل المزيد من أوامر السيّدة ليند. سأفعل

كلّ ما نهتني عنه. راقبيني!

وبينما وقفتُ دورًا تُراقبه مرعوبَةً، شرع دايفي يرفس الأعشاب

على قارعة الطّريق، وقد غرق حتّى كاحليه في الغبار الذي خلفه

جفافُ أربعةِ أسابيع، وظلّ يُجرّ قدميه بمكْرٍ حتّى أحاطتهما سحابةٌ

من الغبار.

قال ظافرًا:

- هذه البدايةُ فحسب. سأتوقّفُ لأحدّثَ إلى الجميع، وسأتلو

في مقعدي، وسأهمس أثناء الصّلاة، وسأقول إنّي لا أحفظ

الآيات، وسألقي أموال التبرّعات حاليًا.



ثم ألقى القطع النقدية عبر سياج منزل السيد باري في جذل.  
عابته دورا:

- لقد زين لك إبليس أفعالك.

- لا، لم يفعل. إنها فكرتي وحدي. وقد فكرت بأمور أخرى  
أيضا. لن أذهب إلى مدرسة الأحد أو الكنيسة. وسألعب مع  
أبناء آل كوتن، فقد أخبروني أمس أنهم لن يحضروا مواظ  
هذا الأحد، لأن والدتهم غائبة عن البيت، ولن يضطروهم  
أحد إلى الذهاب. هيا معي يا دورا! سنمرح كثيرا.

- لا أود الذهاب.

- يجب أن تذهبي. إذا تمتعت سأخبر ماريليا أن فرانك بيل  
قبلك في المدرسة يوم الإثنين الماضي.

تصرجت دورا حجاجا، وصرخت:

- لم أستطع منعه. لم أتوقع قيامه بذلك.

- حسنا، لكنك لم تصفعيه ولم يئد عليك الغضب. سأخبرها  
بهذا أيضا، إذا لم تأتي معي. أعرف طريقا مختصرا عبر هذا  
الحقل.

احتجت دورا المسكينة باحثة عن طريق الخلاص:

- أنا أخاف الأبقار.

- إنها أصغر منك سنا.

- وأضخم حجما.

- لن تُؤذيك. تَعَالَى! الأمرُ رائع. لن أُزعجَ نفسي بالذهابِ إلى الكنيستِ حينَ أكبر، وأظنني قادرًا على دخولِ الجنةِ بمفردي أيضًا.

قالت دورا المسكينةُ التي تبعته رَغْمًا عنها:

- ستذهبُ إلى البُقعةِ الأخرى إذا خالفتَ تعاليمَ الأحد.

لكنّ دايفي لم يَخَف. أو بالأحرى، لم يُدَاخِلْهُ الخَوْفُ بَعْد. ما زال الجَحِيمُ بعيدًا جدًّا، بينما كانت سعادةُ رحلةِ الصيْدِ مع أبناءِ كوتن قريبةً جدًّا. ودَّ لو أنّ دورا كانت أوفرَ شجاعَةً، غير أنّها كانت تلتفتُ باستمرارٍ، وهي تُوشِكُ على البُكاءِ كلَّ دقيقةٍ، فأفسدَ ذلكَ عليه نشوَتَه. يا للصبايا الشياطين! لم يلعنهنَّ رَغْمَ أنّه فكّرَ بذلك، ولم يأسفَ على إطلاقِ ذلكَ السَّبَابِ، لكنّه لم يُردِ التّهادي في استيفازِ القوي الغيبيةِ في هذا اليوم.

كان أبناءُ كوتن: بيت، وتومي، وأدولفس، وميرابال، يلعبون بمفردهم في باحةِ بيتهم الخلفية، عندما كانت والدتهم وأخواتهم الكبريات يبتعدن عنه. حيًّا دايفي في حُبورٍ... امتنّت دورا لميرابال وجودها هناك. لأنّها خشيت أن تظَلَّ بمفردها بين حشدٍ من الأولاد. لكنّ ميرابال التي لفحتِ الشَّمسَ بشرتها كانت مأكرةً، ومتهورةً، وكثيرةَ الصّراخِ، مثل أيِّ صبيٍّ، غير أنّها كانت ترتدي فستانًا على الأقلّ.

قال دايفي:

- لقد جننا للصيْد.

صاح أبناء كوتن:

- مرحى!

ثم أسرعوا يجمعون الديدان، تتقدمهم ميرابال، وفي يدها علبه من الصفيح. غالبت دورا دموعها. لو أن فرانك البغيض لم يقبلها قط! حينها، فقط، كان بإمكانها أن تتحدى دايفي، وتذهب إلى مدرسة الأحد المحببة.

لم يجرؤوا، طبعًا، على الذهاب إلى البحيرة للصيد، فقد كان بإمكان قاصدي الكنيسة أن يروههم. ولجؤوا إلى الغدير، في الغابة، خلف بيت أسرة كوتن. فوجدوه زاخرًا بأسمك السلمون المرقط. أمضى أبناء كوتن صباحًا رائقًا، بينما تظاهر دايفي الذي لم يغادره الحذر بذلك. فاكتمى بخلع جذائه وجواربه، واقترض بدلة صيد من تيموتي كوتن. فلم تشكل المستنقعات، والأهوار، والشجيرات أي خطر بالنسبة إليه. أما دورا فكانت بائسة جدًا. تبعت خطى الآخرين في تجوالهم من بركة إلى أخرى، ممسكة بإنجيلها وكتيبها. وفكرت بمرارة في الدرس الذي كان يجب عليها حضوره في تلك اللحظة، بدل التسكع في الغابة صُحبة أطفال كوتن الهمجيين، ومحاولة الحفاظ على نظافة جذائها وستانها الأبيض الجميل من البقع والأوساخ، بعد أن عرضت عليها ميرابال مندبلاً فرفضته مُتعالية.

ابتلعت الأسماك الطعم كعادتها كل يوم أحد. وفي غضون ساعة، صاد المنحرفون ما شاؤوا من الأسماك، وعادوا إلى البيت. وبالسعادة دورا!

فِي بَاحَةِ الْمَنْزِلِ الْخَلْفِيَّةِ، جَلَسْتُ دَوْرًا فَوْقَ قَفْصِ دَجَاجٍ، بَيْنَمَا لَعِبَ الْآخَرُونَ لُعْبَةَ الْمَطَارِدَةِ الصَّاحِبَةِ، وَتَسَلَّقُوا سَقْفَ زَرْبِيَّةِ الْخَنَازِيرِ، وَحَفَرُوا أَسْمَاءَهُمْ عَلَى لَوْحَةٍ تَعْلِيْقِ السَّرَاجِ. كَمَا أَهْلَمَ سَقْفُ قَنَّ الدَّجَاجِ الْمَسْطَّحُ وَكَوْمَةُ الْقَشِّ الرَّابِضَةُ أَسْفَلَهُ دَايْفِي فِكْرَةً أُخْرَى، فَأَمْضُوا نِصْفَ سَاعَةٍ يَتَسَلَّقُونَ السَّقْفَ ثُمَّ يَقْفِزُونَ مِنْهُ إِلَى كَوْمَةِ الْقَشِّ مُطْلِقِينَ صِيْحَاتِ الْمَرْحِ وَالْإِثَارَةَ.

غَيْرَ أَنَّ لِحْظَاتِ الْمَرْحِ لَا بَدَّ لَهَا مِنْ نِهَائِيَّةٍ، أَيْضًا. فَحِينَ أَعْلَنَ دَوِيُّ دَوَالِيْبِ الْعَرَبَاتِ فَوْقَ الْجِسْرِ عَنِ أَوْبَةِ النَّاسِ مِنَ الْكَنِيسَةِ، عَلِمَ دَايْفِي أَنَّ عَلَيْهِمَا الْإِنْصِرَافَ. خَلَعَ بَدْلَةَ تَوْمِي، وَارْتَدَى ثِيَابَهُ، وَتَخَلَّصَ آسَفًا مِنْ سَلْكِ الْأَسْمَاكِ الْمَلِيءِ. فَلَا طَائِلَ مِنْ حَمْلِهَا إِلَى الْبَيْتِ. وَفِي طَرِيقِ الْعُودَةِ، سَأَلَ دَوْرًا بِتَحَدِّ:

- حَسَنًا، أَلَمْ نَمْرُحْ جَيِّدًا؟

- لَا، لَا أَنَا، وَلَا أَنْتَ أَيْضًا.

صَاحَ دَايْفِي:

- لَقَدْ اسْتَمْتَعْتُ كَثِيرًا. أَمَّا أَنْتَ فَكَيْفَ لَكَ أَنْ تَمْرُجِي وَقَدْ لَزِمْتَ مَكَانَكَ كَبْغَلٍ.

- أَتَظُنُّ أَنِّي قَدْ أَشَارَكُ آلَ كَوْتَنِ اللَّعِبِ!

- مَا بِهِمْ أَبْنَاءُ كَوْتَنِ؟ إِنَّهُمْ يَمْرُحُونَ أَكْثَرَ مِنَّا، وَيَقُومُونَ بِمَا يَشَاؤُونَ، وَيَقُولُونَ مَا يَرِيدُونَ أَمَامَ الْجَمِيعِ. سَوْفَ أَقُومُ بِذَلِكَ مِنْ هُنَا فَصَاعِدًا.

- هناك أشياء لن تجرؤ على قولها أمام الجميع.

- ليس صحيحًا.

- بلى. هل تجرؤ على قول كلمة سنور<sup>(1)</sup> أمام القس؟

لم يتهيأ دايفي لهذا المثال من حُرِّيَّة التعبير. لكنّه لن يجاري دورا كثيرا.

- طبعًا، لا. ليست كلمة مقدّسة. لن أذكر اسم حيوانٍ مُماثلٍ في حَضْرَةِ القسّ.

- ماذا لو اضطررت إلى ذلك؟

- سأدعوه هِرًّا.

- أظنّ أنّ ذلك أكثرُ كياسة.

ردّ دايفي بازدراءٍ:

- أتظنّين؟

لم يشعر دايفي بالازتياح، فهو يُفضّل الموتَ على الاعترافِ بذلك أمام دورا. والآن، بعد أن حمّدت نشوة التغيّب عن الكنيسة، بدأ يشعر بتأنيب الضمير. وفي نهاية المطاف، فكّر في أنّه كان من الأفضل لو راح إلى الكنيسة ومدرسة الأحد. فربّما كانت السيّدة ليند متسلّطة، لكنّها لم تكن يومًا بخيلةً، وطالما احتفظت بعلبة كعكٍ في خزانة مطبخها. وفي غمرة انزعاجه، تذكّر دايفي أنّ السيّدة ليند رتقت سِرِّواله الجديد حين تمزق دون أن تُخبر ماريلا.

(1) لفظ سوقّي يجيل على زير نساء

لم يتوقفِ الشّعورُ بالإثمِ هنا، إذ اُكتشِفَ دايفي أنّ كلَّ خطيئةٍ تستدعي أخرى للتستّر عليها. كانوا يتناولون العشاء رفقة السيّدة ليند ذاك المساء حين سألته:

- هل حضر الجميع درس الأحد؟

- نعم، الجميع عدا واحدا.

- هل تَلَوْتَ آياتِكَ؟

- نعم.

- هل قدّمت التبرّعات؟

- نعم.

- هل حضرت السيّدة مالكوم ماكفيرسون الكنيسة؟

- لا أدري.

خمن دايفي أنّه قال الحقيقةَ هذه المرّة على الأقلّ.

- هل أعلنوا عن يوم مساعدات السيّدات؟

- نعم.

- واجتماع الصلاة؟

- لا أدري.

- كان عليك الانتباه لكلّ ما يُقال. ماهو موضوع دَرَس السيّد

هارفي؟

أزدرَدَ دايفي جُرعة ماءٍ، وابتلع معها آخرَ مُوجَةٍ مِنْ تَأنيبِ

الضمير. ثم تلا بعض الآيات التي حفظها منذ عدة أسابيع. ومن  
حُسنِ حظّه، توقّفتِ السيّدة ليند عن مُساءلته، لكنّه لم يستسغ طعامه.  
سألته السيّدة ليند مندهشةً:

- ما خطبك؟ هل أنت مريض؟

- لا

- تبدو شاحبًا. يحسُنُ بك أن تختبئَ عن الشمسِ هذه الظهيرة.  
سألته دورا معاتبةً إثر العشاء:

- هل تعرف كم كذبة أخبرت بها السيّدة ليند؟  
قال دايفي غاضبًا:

- لا أدري، ولا أبالي. والآن، اخرجي يا دورا كايث!

حينئذٍ، تراجعَت دورا المسكينةُ خلفَ كومةِ أخشابٍ وفكرت  
في عاقبة المنحرفين.

غرقت «غرين غايلز» في الصّمتِ والظلام، حين وصلت  
آن التي سرعان ما آوت إلى فراشها من فرطِ التعبِ والنّعاس. وما  
إن وضعت رأسها على الوسادة، حتى فُتح البابُ بلطفٍ، وهمس  
دايفي:

- آن.

نهضت آن متثاقلةً:

- دايفي، ماذا يحدث؟

وفجأةً، ارتمى ظلُّ أبيض على السرير.

شرع دايفي ينتحب، وذراعاه تُطوّقان عنقها:

- أنا سعيدٌ جدًا بعودتك. لم أتمكن من النوم قبل أن أُخبر أحدهم.

- تُخبره ماذا؟

- كم أنا بائس.

- لماذا أنت بائس يا عزيزي؟

- لأنني كنت شريرًا اليوم. لم أكن قط شريرًا مثل اليوم.

- ماذا اقترفت؟

- أخشى إخبارك. لن تُجيبني مجددًا. لم أستطع تلاوة صلواتي

الليلة. لم أستطع إخبار الربّ ما اقترفت. لقد استحييت منه،

أو بالأحرى ذلك ما قالته دورا. لكنني أظنه لم ينتبه إلى ما

فعلت. على كلّ حال، أفضل إخبارك أولًا.

- ماذا فعلت؟

- هربت من مدرسة الأحد، ورُحْتُ للصيد برفقة أبناء كوتن،

وأخبرت السيدة ليند أكاذيب كثيرة، وأطلقت شتائم،

وجدفت.

خيم الصمّت على الغرفة. هل صدمت أن إلى درجة أنّها قرّرت

مقاطعته؟

- أن، ماذا ستفعلين بي؟

- لا شيء يا عزيزي. لقد نلت عقابًا كفاية.



- لا، لئس بعد. لم يحصل لي شيء.

- انزعجت كثيرًا بعد فعلتك تلك، أليس كذلك؟

- كثيرًا.

- لقد أتبتك ضميرك يا دايفي.

- ما هو ضميري؟ أريد أن أعرف.

- إنه شيء ما بداخلك يا دايفي، يُخبرك دومًا أفعالك السيئة،

ويزعجك حين تتهادى. ألم تلاحظ ذلك؟

- بلى، لكنني لم أفهم كنهه. تمنيت ألا أملكه. حينها، فقط، كنت

سامرُح أكثر. أين يوجد ضميري يا آن؟ أريد أن أعرف. هل

هو في بطني؟

أجابته آن ممتنة للظلمة.

- لا، إنه داخل روحك.

تنهد دايفي:

- لا أظن أنني قادرٌ على التخلّص منه. هل ستشكّينني إلى ماريلا

والسيّدة ليند؟

- لا يا عزيزي. لن أخبر أحدا. أنت آسف، أليس كذلك؟

- كثيرًا.

- ولن تقوم بذلك مجددًا.

- لا، لكنني قد أكون شريرًا بطريقةٍ أخرى.

- لا تقل كلماتٍ بذيئةً!، ولا تهربُ من الكنيسة!، ولا تختلقُ أكاذيبَ لتتسترَّ على آثامك!
- طيب.
- حسنًا يا دايفي. اسأل الربَّ أن يغفر لك!
- هل ساحتني يا آن؟
- نعم يا عزيزي.
- إذن، لا أكثرثُ كثيرًا لغفرانِ الربِّ.
- دايفي!
- اوه، سأسأله ذلك، سأسأله ذلك.
- أجاب دايفي بسرعة، وقد أقنعتُه نبرةُ آن بأنه تفوه بشيءٍ مُريع.
- لا يزعجني أن أسأله أيَّ شيءٍ يا آن. يا ربُّ، اغفر لي سلوكي المشينِ اليومَ، وسأكون مطيعًا أيامَ الآحاد، اغفر لي ذلك رجاءً، والآن ماذا يا آن؟
- حسنًا، قل إنك لن تبتئس بعد الآن، وسأكون بخيرٍ تمامًا. تُصبحُ على خير.
- تُصبحين على خير.
- اندستُ آن في سريرها، وتنفستِ الصُّعداء.
- بعد لحظةٍ، عاد دايفي إلى جانبها وقال:
- آن!

قالت آن دون أن يبدو عليها نفاذ صبرها:

- ماذا بعدُ يا عزيزي؟

- آن، هل لاحظتِ كيف يبصق السيّد هاريسون على الأرض؟

هل تعتقدين أنّي، إذا تمرّنتُ جيّدًا، يمكن أن أبصق مثله؟

نهضتُ آن:

- دايفي كايث، اذهب إلى فراشك فوراً!

امتثل دايفي لأوامرِها، وأنصَرَفَ.

(14)

## الموت

جالستَ آن روبي جيليس في حديقة بيتها بعد مغيبِ شمسِ  
يومِ صيفيِّ دافئٍ، وقد أزهرتِ الطَّبيعةُ حولهما، وتراقصتِ الظلالُ  
في الدَّرُوبِ والحقولِ التي صبَّغها لونُ النُّجومِ البنفسجيِّ.

عدلتُ آن عن الذهابِ في رحلةٍ ليليةٍ إلى شاطئِ «وايت ساندز»  
لتقضيَ المساءَ برفقةِ روبي. طالما قامتِ بنفسِ الشيءِ هذا الصيفِ،  
وتساءلتُ عن جدواه، وفكرتُ أحياناً، في طريقِ عودتها، أنها لن  
تأتيه مجدداً.

ازدادتُ روبي سُحوباً مع مُرورِ الصيفِ، وعدلتُ عن فكرةِ  
التدريسِ في «وايت ساندز»، بعد أن أخبرها والدها أنها ليستِ مُطالبةً  
به قبلَ بدايةِ السنَّةِ الجديدةِ. لكنَّها حافظتُ على حُبورها وأملها وهي  
تسخرُ همساً من خصامِ عُشاقها ويأسهم. وذلك ما جعلَ زيارةَ آن  
لها أمراً شاقاً. فقد صارَ ما كان ممتعاً، تافهاً ومروءعاً، وأطلَّ الموتُ  
من وراءِ قناعِ إرادةِ الحياةِ التي تشبَّثتُ روبي بها أكثرَ، ولم تسمح لها  
بالرحيلِ قبلَ أن تنتزعَ منها وعداً بالعودةِ مجدداً.

تدمرتِ السيِّدةُ ليند من زياراتِ آن المتكرِّرةِ، وقالتُ إنها تُعرِّضُ  
نفسها لخطرِ عدوى السُّلِّ. وداخلتِ الرِّيبةُ ماريلا أيضاً، فقالتُ:

- كلما زُرتِ روبي عُدتِ مرهقةً جدًّا.

قالت أن بصوتٍ خفيضٍ:

- الأمرُ مُرعبٌ وحزين. لا تعي روبي وضعها. إنَّها تحتاجُ إلى  
المُساعدة. أوَدَّ أن أساعدها لكنني عاجزةٌ. أمضي كلَّ الوقتِ  
بصحبتها كأنِّي أشاهدُ صراعها ضدَّ عدوِّ خفيٍّ تُحاول صدّه  
بما تبقى لها من مُقاومةٍ واهنةٍ، وذلك ما يستنزفُ قواي.

لم تشعُر أن بنفسِ الحِماسِ هذه اللَّيلة، فقد هدأتِ روبي بشكلٍ  
عجيب. لم تتفوّه بكلمةٍ حول الحفلاتِ، والجولاتِ، والفساتينِ،  
والأصدقاء. تمدّدت على الأرجوحة، وتركتُ شُغلَ الحياكةِ جانبا.  
فندّلتُ، على جانبِها، جدائلُها الذهبيَّة الطويلةُ التي طالما حسدتها  
آن عليها أيامَ المدرسة، وغادرتِ الحُمرَةُ بشرتها، لتتركها شاحبةً  
كطفلةٍ صغيرة.

توسَّطَ القمرُ الفِضِّي السَّماءَ، فتلاَّأ السَّحابُ حوله كالدررِ،  
وفي الأسفلِ، تألَّقتِ البُحيرةُ، وإلى جانبِها قبعَتِ الكنيسةُ والمقبرةُ  
خلفَ منزلِ آلِ جيليس. انعكسَ نُورُ القمرِ على الصُّخورِ البيضاء،  
فبدَّت مختلفةً عن الأشجارِ في الخلفيَّة المظلمة.

صاحتُ روبي بغتةً:

- كم تبدو المقبرةُ غريبةً وموحشةً في ضوءِ القمرِ. لن يطولَ الأمرُ  
حتى أرقُدَ هناك يا آن. ستعيشين أنتِ، وديانا، والآخرون،  
وسأرقُدُ، هناك، في المقبرة العتيقة، ميّتةً.

ارتبكتُ آن، ولم تتفوه بكلمة لبضع لحظاتٍ، لكن روبي أصرت  
قائلةً:

- أتعلمين ذلك؟

- نعم، أعلمُ يا عزيزتي روبي.

قالت روبي بمرارة:

- الكلُّ يعلمُ ذلك، حتى أنا. علمتُ الأمرَ طيلة الصيفِ،  
لكنني لم أستسلم. آه يا آن...

وأمسكت بيدِ آن متوسلةً:

- لا أريدُ أن أموت. أنا أخافُ من الموت.

سألتهَا آن في رفقٍ:

- لماذا تخافين يا روبي؟

- لأن... لأن... اوه، لستُ خائفةً من عدمِ ذهابي إلى الجنةِ  
يا آن. فأنا أواظبُ على زيارة الكنيسة. لكن الأمرَ سيكونُ  
مختلفًا جدًّا. كلما فكرتُ به... ينتابني الرعبُ... والحين.  
لا بدَّ أن الجنةَ رائعةٌ، طبعًا، كما يصفُها الإنجيلُ، لكنّها لن  
تكونَ مثل حياتي المألوفةِ يا آن.

شرد ذهنُ آن في استرجاعِ قصّةِ طريفةٍ أخبرتها بها فيليبيا  
جوردون، قصّةِ رجلٍ مُسنٍّ قال نفسَ الشيءِ عن عالمه المرتقب.  
وجدتُ أن القصةَ طريفةً آنذاك، وتذكرتُ كم أضحكتهَا وأضحكتُ  
بريسيلا، لكنّ وصف العالمِ المرتقبِ لم يكن طريفًا قطُّ وهو يخرجُ من

بين شفتي روبي الشاحبتين المرتجفتين في هذه اللحظة. كان الأمر  
مُحزناً وحقيقياً! لَنْ تُشبهَ الجنةَ ما ألفتَه روبي. فهي لم تعهد شيئاً في  
حياتها المرحه الصاخبة يبيئها لهذا التغيير الكبير، أو يُبدد غرابه هذا  
العالم الجديد غير المرغوب فيه.

بحثت أن دون جدوى عن كلمات تقوُّها لتساعدِها، ثمَّ قالت  
مترددةً:

- أظنُّ يا روبي...

كان يشقُّ عليها التصريحُ بمكنونِ قلبها، وأفكارها الجديدة  
عن غموضِ الحياةِ الأولى والآخرةِ لأيِّ كان، فما بالك أن تُحدِّثَ به  
روبي جيليس!

- أظنُّنا نحملُ أفكاراً مغلوطَةً عن الجنة، إذ لا أخالها تختلفُ  
كثيراً عن حياتنا هنا. يمكننا أن نواصلَ الحياةَ هناك مثلما  
نعيشُ هنا بنسبةٍ كبيرة، وسنكونُ نحن، لكننا سنكونُ أفضلَ  
وأسمى، وستزولُ كلُّ العقباتِ والمنغصاتِ من أمامنا،  
وسنرى بكلِّ وُضوحٍ. لا تخافي يا روبي!

قالت روبي بنبرةٍ مُثيرةٍ للشَّفقة:

- حتّى لو كنتِ محققةً فيما تقولين حولَ الجنة، وأنتِ لستِ  
كذلك، إذ ربما أوحى لك خيالكُ بكلِّ شيءٍ، فسيكون  
الأمرُ مختلفاً. أريدُ أن أواصلَ الحياةَ هنا. مازلتُ شابّةً يا آن.  
لم أستمتعُ بالحياةِ بعدُ. لقد ناضلتُ طويلاً لأعيش، دون  
جدوى. كُتِبَ عليّ أن أموتَ وأتخلّى عن كلِّ شيءٍ أُحبه.

تَأَلَّمْتُ أَنْ بَشَدَّةٍ. فَلَيْسَ بَوَسْعِهَا التَّفَوُّهُ بِمَغَالِطَاتٍ لِلتَّرْوِيحِ عَنْ رُوبِي الَّتِي لَمْ تَقُلْ سِوَى الْحَقِيقَةِ الْمُرَوَّعَةِ. سَتَفْقَدُ بِمَوْتِهَا كُلَّ شَيْءٍ تَحِبُّهُ. فَكُلُّ كُنُوزِهَا هُنَا، عَلَى هَذِهِ الْأَرْضِ. عَاشَتْ حَيَاتَهَا مِنْ أَجْلِ التَّفَاصِيلِ الزَّائِلَةِ فَحَسْبُ، وَتَنَاسَتْ الْأُمُورَ الْعَظِيمَةَ الْخَالِدَةَ الَّتِي تَرْتَبِطُ بَيْنَ الْعَالَمَيْنِ، وَتَجْعَلُ الْمَوْتَ مُرُورًا بَسِيطًا مِنْ دَارٍ إِلَى أُخْرَى. سَيَشْمَلُهَا الرَّبُّ بِعَنَايَتِهِ هُنَاكَ. كَانَتْ أَنْ وَاثِقَةً أَنْ رُوبِي سَتَتَعَلَّمُ كُلَّ هَذَا لَاحِقًا، لَكِنَّ رُوحَهَا مُتَعَلِّقَةٌ الْآنَ فِي إِصْرَارٍ أَعْمَى بِالْأُمُورِ الْوَحِيدَةِ الَّتِي أَلْفَتْهَا وَأَحَبَّتْهَا.

نَهَضْتُ رُوبِي، وَرَفَعْتُ عَيْنَيْهَا الزَّرْقَاوِينَ الْجَمِيلَتَيْنِ إِلَى السَّمَاءِ الْمَقْمِرَةِ:

- أَرِيدُ أَنْ أَعِيشَ. أَرِيدُ أَنْ أَعِيشَ كَبَقِيَّةِ الْبَنَاتِ. أَرِيدُ... أَرِيدُ أَنْ أَتَزَوَّجَ يَا أَنْ، وَأَنْجِبَ أَطْفَالَ. تَعَلِّمِينِي أَنِّي طَالَمَا أَحْبَبْتُ الرُّضْعَ يَا أَنْ. لَا يَسْعُنِي إِخْبَارُ أَحَدٍ سِوَاكَ. أَعْلَمُ أَنَّكَ تَفْهَمِينَنِي. يُحِبُّنِي هِيرَبُ الْمَسْكِينِ، وَأَحْبُهُ يَا أَنْ. لَمْ يَعْزِ الْآخَرُونَ لِي شَيْئًا، أَمَا هُوَ فَبَلِي. وَلَوْ قَدِرْتُ لِي الْعَيْشُ، فَسَوْفَ أَتَزَوَّجُهُ وَنَعِيشُ سَعْدَاءً. اه يَا أَنْ، الْأَمْرُ شَاقٌّ جِدًّا.

دَفَنْتُ رُوبِي وَجْهَهَا فِي وَسَادَتِهَا وَشَرَعْتُ تَتَحَبَّبُ بِشَدَّةٍ. فَامْسَكْتُ أَنْ يَدَهَا فِي تَعَاظِفِ صَامِتٍ، يَبْدُو أَنَّهُ سَاعِدُهَا أَكْثَرَ مِمَّا كَانَتْ سَتَفْعَلُ كَلِمَاتٌ دُونَ مَعْنَى، لِأَنَّهَا أَخَذَتْ تَسْتَعِيدُ هَدْوَاءَهَا، وَكَفَّتْ عَنِ النَّحِيبِ.

- سُعِدْتُ بِإِخْبَارِكَ الْأَمْرَ يَا أَنْ. أَرَدْتُ ذَلِكَ طِيلَةَ الصَّيْفِ،



في كلِّ مرّةٍ زرّني فيها. أردتُ مشاركتك كلِّ شيءٍ، لكنني لم أستطع، كأني خَشِيتُ أن يتأكّد موتي إذا قلتُ إنّي سأموت قريباً، أو أشار أحدهم إلى ذلك. لم أستطع إخبار أحدٍ، أو حتى مجرّد التّفكير في الأمر. أثناء النّهار، لم يكن نسيان الموتِ صعباً، فالناسُ تُحيطُ بي من كلِّ صوبٍ، لكنّ اللّيلَ كان مُرعباً، فلم أكنُ أتمكّنُ أثناءه من النّوم. لم يسعني الخلاصُ منه يا آن. كان الموت يزورني، ويحدّق إليّ حتّى يتملّكني الرّعبُ فأمسك نفسي عن الصّراخ.

- لن تخافي منذ الآن يا روبي، أليس كذلك؟ ستشجعين، وتؤمنين بأن كلِّ شيءٍ سيكون على خيرٍ ما يُرام.

- سأحاولُ. سأفكر في كلِّ ما قلته لي، وأحاولُ تصديقه. وستزوريني مراراً، أليس كذلك يا آن؟

- نعم يا عزيزتي.

- لن... لن يطولُ بي الزّمنُ كثيراً يا آن. أنا واثقةٌ. وأفضّلُ أن تكوني إلى جانبي أكثرَ من أيِّ شخصٍ آخر. طالما أحببتك أكثرَ من الأخرى اللّواتي ارتدّت معهنّ المدرّسة. لم تكوني غيورةً أو لئيمةً قطّ مثل بعضهنّ. زارّني المسكينةُ إيم وابت البارحة. هل تذكرين أنّها كانت صديقتي في المدرّسة طيلة ثلاثِ سنواتٍ تخاصمنا بعدها في حفلِ المدرّسة؟ فسدتُ علاقتنا منذُ ذلك الحين. ألم يكن الأمرُ غريباً؟ إنه يبدو غريباً الآن. لكننا تصالحنا أمس. أخبرّني أنّها ودّت أن تُكلّمني

منذ ثلاثِ سنواتٍ، لكنّها ظنّنت أنّي لن أكلمها. ولمّ أشأُ  
إخبارها أنّي كنتُ واثقةً أنّها لن تُكلّمني أيضًا. أليس غريبًا  
أنّ يُسيءَ النَّاسُ فهمَ بعضهم بعضًا يا آن؟

- كلُّ متاعبِ الحياةِ تنبعُ من سوءِ الفهم. عليّ الذهابُ الآن يا  
روبي. صارَ الوقتُ متأخرًا. يحسُنُ بك ألاّ تبقى خارجًا، في  
الهواءِ الرّطبِ.

- ستعودين قريبًا.

- نعم، قريبًا. يُسعِدني أن أبسطَ لك يدَ العونِ.

- أعلم. لقد ساعدتني كثيرًا. لم يعد كلُّ شيءٍ مُرعبًا. ليلةٌ هنيئةٌ  
آن.

- ليلةٌ هنيئةٌ يا عزيزتي.

سارتُ آن في ضوءِ القمرِ، نحو البيتِ، ببطءٍ شديدٍ. لقد غيّرَ  
هذا المساءُ شيئًا ما في أعماقِها. صارَ للحياةِ معنىً مختلفٌ، وهدفٌ  
أعمق. ففي الظاهرِ، ظلّتِ الحياةُ تنسابُ كعادتها، لكنّ أعماقها  
تغيّرتُ إلى الأبد. لم تشأُ آن أن يحدثَ لها ما يحدثُ لروبي، الفراشةِ  
البائسةِ. فحين تصلُ إلى نهايةِ حياتها الأولى، لن يكونَ عالمها المُقبلُ،  
ذلك العالمُ الَّذي ستُهيّئُ له أفكارها وطموحاتها، مختلفًا تمامًا. لن  
تهدُرَ طاقتها في الأمورِ الدنيويّةِ الزائلةِ، وستصبو إلى السّموّ، فالحياةُ  
في الجنّةِ تبدأ هنا، على الأرضِ.

حُفرتُ تلك السّهرة التي قضتها في الحديقةِ في ذاكرتها إلى

الأبد. ولم ترَ آن روبي في الحياة الدنيا مُجدِّدا. ففي المساءِ المُوالي، أحييتُ جمعيةً تطوِّيرِ مدينة «آفونلي» حفلةً وداعاً على شرفِ جاين أندروز قبل ذهابها غرباً. وبينما انهمك البعْضُ في الرِّقصِ، والضَّحكِ، والثرثرة، هبطَ على أحدِ الأزواجِ في «آفونلي» أمرٌ بالرجوعِ لا يُردُّ ولا يُوجَل. وفي الصِّباحِ المُوالي، سرى خبرُ وفاةِ روبي من بيتٍ إلى آخر. توفيتُ أثناء نومِها، في هدوءٍ، ودون ألم، وكان وجهها مُبتسماً، كأنَّ الموتَ زارها كصديقٍ مُقرَّبٍ ليعبرَ بها عتبةَ العالمِ الآخرِ، بدلَ ذلك الشَّبحِ المخيفِ الذي كانت تُخشاه.

إثر الجنازة، قالتِ السيِّدةُ ليند بنبرةٍ مُتعاطفةٍ إنَّ جثمانَ روبي كان أجملَ جُثمانٍ رأته في حياتها، وتذكَّرها النَّاسُ سنواتٍ، وتحدَّثوا عن جمالها وهي ممدَّدةٌ في ثوبها الأبيضِ بينَ الأزهارِ الرِّقيقةِ التي وضعتها آن حولها.

طالما كانت روبي فاتنةً، لكنَّ جمالها كان دنيويًّا، مادِّيًّا، به شيءٌ من الغطرسةِ، كأنَّه يفرضُ نفسه على الناظرِ إليها، فلم تُشعَّ منه روحها قطّ، ولم ينجحِ الفكرُ في تهذيبه. لكنَّ الموتَ أضفى عليه لمسته، فأبرزَ رفته ونقاوةَ تفاصيله، ومَنَحها ما لم تمنحها إياه الحياةُ، والحبُّ، والشَّجنُ، وبهجةُ الأنوثةِ مجتمعةً. فكَّرتُ آن، وهي ترنو إلى رفيقةِ الصِّبا عبرِ غلالةٍ من الدُّموعِ، في أنَّها ترى الوجَّهَ الذي أرادَه الرَّبُّ لروبي، وقرَّرتُ أن تتذكَّرها دومًا على هذه الشَّاكلة.

قبل انصرافِ موكبِ الجنازة، دعتِ السيِّدةُ جيليس آن جانبًا، إلى غرفةٍ خاليةٍ، ومَنَحتها علبةً صَغيرةً، وقالتُ باكيةً:

- خذي هذه! ما كانت روبي ستُوصي بها لأحدٍ غيرك. إنه شغل  
التطريز الذي كانت تعملُ عليه. لم يكتَمَلْ بعدُ، وما زالتِ  
الإبرةُ حيثُ وضعتها أناملها الصَّغيرةُ البائسةُ تلك الظَّهيرة  
التي سبقت وفاتها.

قالتِ السَّيدةُ ليند والدموعُ في عينيها:

- هُناك دوماً عملٌ غيرٌ مُنجزٍ، لكنني أظنُّ أنه يُوجد دوماً مَنْ  
يُنهيهِ.

في طريقِ عودتهما، قالتُ آن لديانا:

- مِنَ الصَّعبِ القبولُ بموتِ شخصٍ عرفناه طويلاً. روبي أوَّلُ  
صديقةٍ تُغادرنا. وعاجلاً أم آجلاً، سنتبعُها جميعاً، الواحدة  
تَلو الأخرى.

«نعم، أظنُّ ذلك»، قالتها ديانا بانزعاجٍ.

لم ترغَبُ في التحدُّثِ بهذا الأمرِ. وودتُ لو تحدَّثتا عن تفاصيلِ  
الجنازةِ، وعن النعشِ الأبيضِ الفخمِ الذي أصرتِ السَّيدةُ جيليس  
على جلبه، فقالتِ السَّيدةُ ليند عند رؤيته: «يصرُّ آل جيليس على  
التفاخرِ حتَّى في جنازةٍ»، وعن سحنةِ هيرب سبنسر الحزينةِ، وعن  
نواحِ إحدى أخواتِ روبي الهستيرِيِّ. لكنَّ آن لم تتحدَّثْ عن هذا  
الشَّأنِ. وبدتُ تائهةً.

قال دايفي:

- طالما أحبَّت روبي الضَّحكَ. فهل ستضحكُ في الجَنَّةِ أيضًا؟

أريد أن أعرفَ يا آن.

ردتْ آن:

- أظنّ ذلك.

لكنّ ديانا ابتسمتْ في صدمةٍ:

- اوه، آن.

- لم لا يا ديانا؟ أتظنّ الناس لا يضحكون في الجنة؟

تلعثمتْ ديانا:

- اوه... لا... لا أدري. لا يستقيم الأمر. تعلمين أنّه يُحجّر

الضحك في الكنيسة.

- لكنّ الجنة مختلفةٌ عن الكنيسة.

قال دايفي بحماسةٍ:

- أرجو ذلك. لئن أودّ الذهاب إليها إذا كانت تُشبه الكنيسة

المُملّة. على كلّ حالٍ، لا أنوي الذهاب قبل زمنٍ طويل.

أريد أن أعيش مائة سنة، مثل السيّد توماس بلويت من

«وايت ساندرز». يقول إنّه عمّر طويلاً لأنّ التّبغ الذي طالما

دخّنه يقضي على الجراثيم. هل أسرع في التّدخين يا آن؟

قالتْ آن في سُروءٍ:

- لا يا دايفي. أمل ألاّ تدخّن أبداً.

فسألها دايفي:

- ماذا لو تسببتِ الجراثيمُ بقتلي إذن؟

(15)

## أحلامٌ مُبعثرة

قالت آن:

- لم يتبقَّ على عودتنا إلى «ريدموند» غير أسبوعٍ واحد.

وكانت سعيدةً بفكرة العودة إلى «ريدموند» حيث العمل، والفصول، والرفاق. غير أن سرورها كان يغزل خيوطاً حول «بيت باي»، أيضاً. فهي تشعر بسعادةٍ دافئةٍ تغمرها كلما فكرت به، رغم أنها لم تسكنه بعد.

مر الصيف سعيداً، إذ قضت آن فترةً بهيجةً تنعمت خلالها بشمس «أيفونلي» وسمائها، وتمتعت أثناءها بنقاء الحياة مع رفاقها القدامى، وتعلمت فيها أن تعيش بكلِّ نُبْلٍ، وتعمل بصبرٍ أكثر، وتستمتع باللَّهو من كلِّ قلبها. وكانت تردّد في سرّها:

- لا تُعلِّمنا الجامعةُ كلَّ دروسِ الحياة.

غير أن حدثاً سيئاً يشبه حلماً مقلوباً رأساً على عقب، أفسد الأسبوع الأخير من عطلة آن السارة، للأسف. فقد سأها السيّد هاريسون ذات ليلةٍ وهي تحتسي الشاي معه ومع زوجته:

- هل ألفتِ قصصاً أخرى؟

- لا .

- لا أقصد إهانتك، لكنّ السيّدة هيرام سلون أخبرتني منذ أيام أنّها وجدتُ ظرفاً كبيراً عليه عنوان شركة «رولينغز» لخميرة الخبز بمونتريال، مُلقًى بصندوق مركز البريد، منذ شهرٍ. وهي تعتقد أنّ أحدهم كان يجربُ حظّه علّه يفوز بالجائزة التي تمنحها الشركة لأفضل قصّة تذكّر اسم مُتّجهم. قالت إنّها لم تتعرّف خطك فوق الظرف، لكنّها خمنت أنّه لك.

- لا، طبعاً. رأيتُ إعلانَ الجائزة، لكنني لن أشارك فيها، أبداً. سيكون من العارِ عليّ أن أكتبُ قصّةً من أجل إشهارِ خميرة الخبز. لست جودسن باركر الذي علّق إعلانات الدواء على سياج بيته.

ذلك ما قالته آن في تعالٍ، غير مُوقنة بالخزي الذي ينتظرها. ففي نفس المساء، دخلت ديانا إلى غرفة آن، مُحَمّرة الوجنتين، لأمعة العينين، ويدها رسالة.

- آن، هذه رسالةٌ لك. مررتُ بمركز البريد هذا الصّباح، فجلبتُها لك. افتحها بسُرعة. إذا كانت تحوي ما أفكر فيه، فسأطيرُ من الفرح.

ذهلتُ آن، وفتحتِ الرّسالة، ونظرتُ إلى محتواها المرقون:  
«الآنسة آن شيرلي.

غرين غايلنز،

آفونلي،

جزيرة الأمير إدوارد.

سيدتي،

يُسِّرنا إعلامك أن قصّتك الرائعة «توبة ايفريل» حازت جائزة مقدّارها خمس وعشرون دولاراً في مُسابقتنا الأخيرة. وقد أرفقنا الشيك بالرسالة. نحن نعمل على نشر القصة في العديد من الصُّحف الكنديّة المرموقة، وننوي طبّعها في شكل مطوية لتوزيعها على زبائننا. لك منا كل الامتنان لاهتمامك بشركتنا.

تقبلي فائق تقديرنا.

شركة رولينغز لحميرة الخبز.

قالت آن مُندهشة:

- لم أفهم.

صفقت ديانا بيديها:

- اوه، كنت أعلم أنك ستفوزين بالجائزة، بل واثقة. لقد أرسلت قصّتك للمشاركة في المسابقة يا آن.

- ديانا... باري!

قالت ديانا مبتهجة:

- حين رأيت الإعلان، فكرت في قصّتك فوراً، وأردت استئذائك في إرسالها. لكنني خشيتُ رفضك، فأنت لم تؤمني بها كثيراً. لذلك قرّرتُ إرسال النسخة التي منحّني إياها،



وأخفيتُ الأمرَ عنك. لو لم تُفزِ القِصَّةُ بالجائزةِ، لما علِمَتِ  
أبدًا، ولما استُأتِ، لأن لا أحد سيُخبرُك بالأمرِ، فالقِصصُ  
التي لا تريح لا تعود لأصحابِها، وإذا فازت فستكون  
مفاجأةً سارةً.

لم تكنُ ديانا فطنةً جدًّا، لكنَّها أدركتُ أنَّ أن لا تغمرُها السعادةُ.  
لقد تفاجأتُ دونَ شكٍّ، لكنَّ البهجة...  
- أن، لا تَبْدِين مَسْرُورَةَ.

رسمتُ أن ابتسامَةً على شفَتَيْها:

- طبعًا، تُسرِّني رغبتُك الخالصةُ في إسعادِي، لكنِّي مذهولةٌ،  
ولم أدركِ الأمرَ بعد. لا أفهمُ، فأنا لم أكتبُ كلمةً واحدةً  
حول... حول... خَمِيرَةَ الخُبزِ.

- اوه، أنا أضفتُها. كان الأمرُ يسيرًا، وقد استعنتُ طبعًا بخبرتي  
في نادي القِصَّةِ. أتذكُرِينَ المشهدَ الَّذِي تصنعُ ايفريل داخله  
الكعكة؟ حسنًا، لقد كتبتُ أنها أضافتُ خميرةَ «رولينغز» إلى  
كعكتيها، وأن ذلك ما أنجَحَها، والفقرةُ الأخيرةُ؟ أتذكُرِينَها؟  
حين يضمُّ بر سيفال ايفريل بين ذراعيه، ويقول «عزيزتي، بعد  
سنوات، سنحققُ حلمنا بيتنا السعيد»، هناك زدت «ولن  
نستعملُ سوى خميرة رولينغز».

اختنقتُ أن المسكينةُ كأنَّ أحدًا سكبَ دلوَ ماءٍ باردٍ على رأسِها.  
بينما واصلتُ ديانا بابتهاجٍ:

- وها قد فُزَتِ بِالْحَمْسَةِ وَالْعِشْرِينَ دُولَارًا. سَمِعْتُ بَرِيْسِيْلَا  
ذَاتَ مَرَّةٍ تَقُوْلُ إِنَّ مَجْلَّةَ الْمَرْأَةِ الْكَنْدِيَّةِ لَا تَدْفَعُ أَكْثَرَ مِنْ خَمْسِ  
دُولَارَاتٍ لِقَاءِ كُلِّ قِصَّةٍ.

ناولتها آن الظرفَ الزهريَّ المُستطيلَ بأناملٍ مُرَّجِفَةٍ:

- لَا يَسْعُنِي قُبُوْلُهَا. إِنَّهُ حَقُّكَ يَا دِيَانَا. لَقَدْ قَمْتُ بِالتَّعْدِيْلَاتِ،  
وَأرْسَلتِ الْقِصَّةَ. لَمْ.. لَمْ أَنْوِ إِرْسَالَهَا قَطُّ. لِذَا عَلَيْكَ أَنْ تَأْخُذِي  
الشَّيْكَ.

قالت ديانا بتعالٍ:

- يُسْعِدُنِي ذَلِكَ، لَكِنِّي لَمْ آتِ شَيْئًا يُذَكِّرُ. تُشَرِّفُنِي صِدَاقَةُ  
الْفَائِزَةِ بِالْجَائِزَةِ فَحَسْبُ. حَسَنًا، عَلَيَّ الذَّهَابُ. كَانَ يَجْدُرُ بِي  
الْعُودَةُ إِلَى الْبَيْتِ مِنْ مَرْكَزِ الْبَرِيدِ مَبَاشَرَةً، لِأَنَّنا سَنَسْتَقْبِلُ  
ضِيُوفًا، لَكِنِّي أَتَيْتُ بِيَسَاطَةٍ لِأَطَّلِعَ عَلَى النَتِيْجَةِ. أَنَا سَعِيدَةٌ  
مِنْ أَجْلِكَ يَا آن.

انْحَنَتْ آن بَعْتَةً، وَطَوَّقَتْ دِيَانَا بِذِرَاعَيْهَا، وَطَبَعَتْ قُبْلَةً عَلَى  
وَجْهَتِهَا:

- أَنْتِ أَجْمَلُ صَدِيقَةٍ فِي الْوُجُوْدِ وَأَخْلَصُهَا يَا دِيَانَا. أُوَكِّدُ لَكَ  
أَنِّي أَقْدَرُ سَبَبَ مَا أَقْدَمْتِ عَلَيْهِ.

انصرفت ديانا في سرورٍ وحياءٍ، لكنَّ آن البائسةَ أخفتِ الشَّيْكَ  
فِي دُرْجِ مَكْتَبِهَا، وَأَلْقَتْ بِنَفْسِهَا عَلَى سَرِيرِهَا، وَذَرَفَتْ دُمُوعَ الْخِزْيِ  
وَالْغَضَبِ. لَا يُمَكِّنُهَا أَنْ تَنْجُوَ مِنْ هَذِهِ الْفِعْلَةِ أَبَدًا.

قَدِمَ جَلِبَرَتِ سَاعَةَ الْغَسَقِ لِيُغِدِقَ عَلَيْهَا تَهَانِيَهُ. فَقَدْ بَلَغَهُ الْخَبْرُ وَهُوَ فِي «أُورْكَارْدِ سَلُوبِ». لَكِنَّ حُرُوفَهُ اخْتَنَقَتْ حِينَ رَأَى مَلَامِحَ أَنْ.

- مَا الْخَطْبُ يَا أَنْ؟ تَوَقَّعْتُ أَنْ أَجِدَكَ مُشْرِقَةً بَعْدَ فَوْزِكَ بِجَائِزَةِ خَمِيرَةِ رُولِينْغَز. فَوْزٌ مُبَارَكٌ.

هَمَسْتُ أَنْ كَأَنَّهَا تَقُولُ «حَتَّى أَنْتَ يَا بَرُوتُوس»<sup>(1)</sup>.

- ظَنَنْتُكَ سَتَفْهَمُ الْمَوْقِفَ. أَلَا تَرَى كَمْ هُوَ فَظِيعٌ؟

- أَعْتَرَفَ أَنِّي لَمْ أَذْرِكْ فِظَاعَتَهُ. مَا الْمَشْكَلُ؟

- كُلُّ شَيْءٍ. لَقَدْ لَطَّخَنِي الْعَارُ إِلَى الْأَبَدِ. مَا رَأَيْكَ بِأَمَّ تَرَى

طِفْلَهَا تَكْسُوهُ إِعْلَانَاتُ الْخَمِيرَةِ؟ أَشَعْرُ بِالْأَلَمِ ذَاتِهِ. أَحْبَبْتُ

قِصَّتِي الصَّغِيرَةَ الْبَائِسَةَ، وَوَضَعْتُ فِيهَا أَفْضَلَ مَا لَدَيَّ.

لَكِنَّهَا تَدَنَسَتْ بِهَبُوطِهَا إِلَى مُسْتَوَى إِشْهَارِ لَحْمِيرَةِ الْخُبْزِ.

أَتَذْكَرُ قَوْلَ الْأَسْتَاذِ هَامَلْتُونَ فِي حِصَّةِ الْأَدَبِ فِي «كُوِينِز»؟

قَالَ إِنَّهُ يَجِبُ أَلَّا نَكْتَبَ حَرْفًا وَاحِدًا مِنْ أَجْلِ سَبَبٍ وَضِيعٍ،

وَإِنَّهُ عَلَيْنَا التَّشَبُّهُ بِالْمَثَلِ الْعُلْيَا. فِيمَ سَيُفَكَّرُ حِينَ يَعْلَمُ أَنِّي

أَلْفَتُ قِصَّةً لِإِشْهَارِ خَمِيرَةِ رُولِينْغَز؟ ثُمَّ، أَوْه!، سَيَسْخَرُ مِنِّي

الْجَمِيعُ إِذَا بَلَغَ الْخَبْرُ «رِيدْمُونْد».

- لَنْ يَحْدُثَ ذَلِكَ.

(1) عبارة لاتينية ذكرت في مسرحية لشكسبير على لسان يوليوس قيصر معاتباً بها صديقه الذي شارك في اغتياله، وصارت مضرب أمثال للغدر والخيانة.

تساءلَ جلبرت بانزعاجٍ إذا ما كانت آن تحشى رأيَ طالبِ  
السَّنةِ الثَّانيةِ ذاك.

- سيفكرُ طلبَةُ «ريدموند»، مثلي تمامًا، ومثلَ أغلبنا، في أنك  
حاولتِ الحصولَ على بعضِ المالِ بنزاهةٍ كي يُساعدك على  
تحمُّلِ تكاليفِ السَّنةِ الدَّراسيَّةِ، ما دُمتِ لستِ ثريَّة. ولا  
أرى أيَّ حقارةٍ أو سخافةٍ في هذا. لا شكَّ أن المرءَ يودُّ إبداعَ  
روائعٍ أدبيَّةٍ، لكنَّه مطالبٌ بدفعِ معالمِ السَّكنِ والدراسةِ  
أولًا.

أسعدَ هذا الرَّأيُ الحكيماً آن قليلاً، ومحا خوفها من التَّعرُّضِ  
للسَّخريَّةِ، لكنَّ الألمَ العميقَ الَّذي دنَّسَ مُثلها العُلما لم يبرح مكانه.

(16)

## صداقة مُعدّلة

«لَمْ أَرِ فِي حَيَاتِي مَكَانًا بَهِيجًا كَهَذَا. إِنَّهُ أَكْثَرُ رَاحَةٍ حَتَّى مِنْ بَيْتِنَا.»  
صرّحت فيليبيا جوردون، وعيناها تطوفان البيت في إعجاب.

فمع ظُهورِ الشَّفَقِ، اجتمعَ كلُّ من آن، وبريسلا، وفيل، وستيلا، والعمّة جايمسينا، وروثي، وجوزيف، والقطة سارة، ويأجوج، وماجوج، في غرفة الجلوس الكبيرة في «بيت باتي»، حيث تراقصت ظلال نار المدفئة على الجدران، وخرخرت القطة، وامتلات المزهريّة الضخمة بأزهار الأقحوان المتلاثة التي أرسلها أحد ضحايا فيليبيا.

مرّت ثلاثة أسابيع مُنذ استقرّرن في البيت، وظننّ أن تجربتهن الجديدة ناجحةٌ لا محالة. وطبعت الإثارة الأسبوعين الأولين، حيث انشغلن بترتيب البيت الجديد، وتعديل آرائهنّ المختلفة.

حين حلّ موعد العودة إلى الجامعة، لم تأسف أن كثيرًا على فراق «آفونلي»، فلم تكن آخر أيام عطلتها سارةً جدًا. إذ نشرت قصتها في صحف الجزيرة، ووضع السيّد ويليام بلير كومة هائلة من المطويات الزهريّة، والزرقاء، والصفراء التي تحوي قصتها على منضدة دكانه،

ووزعَ واحدةً مِنْهَا عَلَى كُلِّ حَرِيفٍ، وَأَرْسَلَ حُزْمَةً مِنْهَا إِلَى أَنْ تَلْتَمِسَ فِي الْمَوْقِدِ. وَلَمْ يَكُنْ خِزْيُهَا سِوَى نَتِيجَةِ لِمُثْلِهَا الْعُلْيَا فَحَسْبُ، لِأَنَّ الْجَمِيعَ فِي «أَفُونِي» وَجَدَ فَوْزَهَا بِالْجَائِزَةِ رَائِعًا. وَبَيْنَمَا نَظَرَ إِلَيْهَا أَصْحَابُهَا نِظْرَةً إِعْجَابٍ بَرِيئَةً، نَظَرَ إِلَيْهَا بَعْضُ أَعْدَائِهَا نِظْرَةً حَسَدٍ. فَقَالَتْ جُوزِي بَايَ إِنَّهَا تَظُنُّ أَنَّ أَنْ سَرَقَتْ قِصَّتَهَا، وَإِنَّهَا وَاثِقَةٌ بِأَنَّهَا قَرَأَتْهَا فِي أَحَدِ الصُّحُفِ مُنْذُ سَنَوَاتٍ. أَمَّا آلُ سَلُونِ الَّذِينَ عَلِمُوا غَضَبَ تَشَارِلِي مِنْ أَنْ أَوْخَمْنُوهُ، فَقَالُوا إِنَّ الْقِصَّةَ لَمْ تَكُنْ تَسْتَحِقُّ كُلَّ هَذَا الْفَخْرِ، وَأَنَّ أَيًّا مِنْهُمْ كَانَ قَادِرًا عَلَى كِتَابَتِهَا لَوْ شَاءَ. وَأَخْبَرَتِ الْعَمَّةُ أَتُوسَا أَنَّ أَتْمَا حَزِنَتْ لِانْحِطَاطِهَا إِلَى مُسْتَوَى كِتَابَةِ الرَّوَايَةِ، فَلَا أَحَدَ وُلْدٍ وَتَرَعْرَعٌ فِي «أَفُونِي» كَانَ سِيَأْتِي هَذِهِ الْخَطِيئَةَ، الَّتِي كَانَتْ نَتِيجَةً لِتَبْنِي الْيَتَامَى الَّذِينَ لَا أَصْلَ لَهُمْ وَلَا نَسَبٍ. وَقَالَتِ السَّيِّدَةُ رَايْتِشَلْ لِيَنْدُ الَّتِي ارْتَابَتْ أَوْلًا بِأَمْرِ الْإِبْدَاعِ الْأَدْبِيِّ، قَبْلَ أَنْ يَبْدُدَ شَيْكَ الْخَمْسَةَ وَالْعِشْرِينَ دُولَارًا ارْتِيَابَهَا:

- مِنَ الْعَجِيبِ أَنْ يَدْفَعُوا ثَمَنًا كَهَذَا لِقَاءِ هَذِهِ الْأَكَاذِيبِ.

وَهَكَذَا، أَغَاثَهَا حُلُولُ مَوْعِدِ الرَّحِيلِ، وَأَبْهَجَتْهَا عَوْدَتُهَا إِلَى «رِيدْمُونْد» وَهِيَ طَالِبَةٌ حَكِيمَةٌ، وَخَبِيرَةٌ، مُسَجَّلَةٌ بِالسَّنَةِ الثَّانِيَةِ، تُلْقِي التَّحِيَّةَ عَلَى حَشْدٍ مِنَ الرَّفَاقِ فِي الْيَوْمِ الْإِفْتِتَاحِيِّ السَّعِيدِ. كَانَتْ ثَمَّةَ بَرِيْسٍ، وَسْتِيْلَا، وَجَلْبَرْتِ، وَتَشَارِلِي سَلُونِ الْمُتَحَدِّقُ، وَفِيلِ، الَّتِي لَمْ تَحُلَّ بَعْدُ مُعْضِلَةَ أَلِيكَ وَالْوَنُزُو، وَمُودِي سَبُورْجِنِ مَآكْفِيرِ سُونِ.

ظَلَّ مُودِي سَبُورْجِنِ يُدْرِّسُ مِنْذُ تَخْرُجِهِ مِنْ «كُوِينِز»، لَكِنْ

أُمَّه قَرَّرَتْ أَنْ يَتْرَكَ التَّعْلِيمَ، وَيَلْتَحِقَ بِالْجَامِعَةِ لِيُصْبِحَ قَسًّا. فَأَعْوَزَ الْحِظَّ الْمَسْكِينَ مِنْذُ بَدَايَةِ مَسِيرَتِهِ الْجَامِعِيَّةِ. إِذْ تَأَمَّرَ عَلَيْهِ سِتَّةٌ مِنْ رِفَاقِ السَّكَنِ ذَاتَ لَيْلَةٍ، وَحَلَقُوا شَطْرَ رَأْسِهِ، فَاضْطَرَّ صَاحِبُ الْحِظِّ الْمُنْكَودِ إِلَى انْتِظَارِ نُمُوِّ شَعْرِهِ مُدَّةً طَوِيلَةً. وَقَدْ أَسْرَّ لَأَنَّ يَوْمًا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ وَاثِقًا مِنْ تَحْرُجِهِ قَسًّا.

لَمْ تَحْضُرِ الْعَمَّةُ جَايْمِسِينَا إِلَّا بَعْدَ انْتِهَاءِ الْفَتِيَاتِ مِنْ تَهْيِئَةِ «بَيْتِ بَاتِي». فَقَدْ أُرْسِلَتْ الْآنَسَةُ بَاتِي الْمِفْتَاحَ إِلَى آنَ، بِرِفْقَةِ رِسَالَةٍ ذَكَرَتْ فِيهَا أَنَّهَا وَضَعَتْ يَاجُوجَ وَمَاجُوجَ فِي صَنْدُوقٍ تَحْتَ سَرِيرِ غُرْفَةِ الضِّيُوفِ. وَأَضَافَتْ فِي حَاشِيَتِهَا أَنَّهَا تَوَدُّ أَنْ يَنْتَبِهَنَّ جَيِّدًا عِنْدَ تَعْلِيْقِ الصُّورِ، لِأَنَّ وَرَقَ غُرْفَةِ الْجُلُوسِ الْحَائِطِيِّ اسْتَبْدَلَتْ مِنْذُ خَمْسِ سِنَوَاتٍ فَحَسْبُ، وَهِيَ تَكْرَهُ أَنْ تَجِدَ ثَقُوبًا أُخْرَى فِي الْوَرَقِ الْجَدِيدِ. وَأَضَافَتْ أَنَّهَا تَرَكَّتْ الْبَاقِيَّ كُلَّهُ فِي عُهُدَةِ آنَ.

اسْتَمْتَعَتْ الصَّبَايَا بِتَرْتِيبِ الْعُشِّ الْجَدِيدِ الَّذِي أَشْبَهْتَهُ فَيْلِ بِتَرْتِيبَاتِ الزَّوْاجِ، حَيْثُ تَلْتَدُّ الْفَتَاةُ بِتَرْتِيبِ الْبَيْتِ دُونَ أَنْ يَكُونَ لَهَا زَوْجٌ بَعْدَ. فَجَلِبَتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ شَيْئًا لِتَزْوِيقِ الْبَيْتِ الصَّغِيرِ وَجَعَلَهُ أَكْثَرَ رِفَاهَةً. وَضَرَبَتْ بَرِيْسَ وَسْتِيْلَا وَفَيْلَ عُرْضَ الْحَائِطِ بِتَوْصِيَّاتِ الْآنَسَةِ بَاتِي وَعَلَّقْنَ مَجْمُوعَةً مِنَ التَّحْفِ وَاللُّوْحَاتِ الْمُقْلَدَةِ الَّتِي يَمْلِكُنَهَا، وَقَلْنَ لَأَنَّ الْمُحْتَجَّةَ عَلَى صَنِيعِهِنَّ:

- سَنَسُدُّ كُلَّ الثُّقُوبِ عِنْدَ رَحِيلِنَا عَنِ الْبَيْتِ، وَلَنْ تَعْلَمَ عَنْهَا شَيْئًا.

أَهْدَتْ دِيَانَا آنَ وَسَادَةً مِنْ إِبْرِ الصَّنُوبِرِ، وَمَنْحَتَهَا الْآنَسَةُ آدَا

أخرى مُطَرَّزَةً رَائِعَةً، وَأُرْسِلَتْ إِلَيْهَا مَارِيلاً صَنْدُوقًا كَبِيرًا مِنْ  
الْأَطْعِمَةِ الْمُصَبَّرَةِ، وَلَمَّحَتْ إِلَى إِرْسَالِ سَلَّةٍ مِنْهَا لِأَجْلِ صَدَقَةِ عِيدِ  
الشُّكْرِ. وَقَدِّمَتْ لَهَا السَّيِّدَةُ لِينْدَ لِحَافًا مَطَرَّرًا، وَأَعَارَتْهَا خَمْسًا آخَرِينَ  
وهي تقول:

- خُذِيهَا! أَفْضَلُ أَنْ تَسْتَعْمِلِيهَا عَلَى أَنْ تَقْرِضَهَا الْعُثَّةَ فِي خِزَانَةِ  
الْعُلَّةِ.

وَفِي الْوَاقِعِ، لَمْ تَكُنِ الْعُثَّةُ سَتِغَامِرُ بِالِاقْتِرَابِ مِنْ الْحِفَّتِهَا التَّنِينَةِ  
مِنْ كُرَاتِ النَّفْتَالِينِ<sup>(1)</sup>، تِلْكَ الْأَلْحَفَةُ الَّتِي زَكَمْتَ رَائِحَتُهَا أَنْوْفَهُنَّ،  
حَتَّى أَتْنَهْنَ اضْطَّرَرْنَ إِلَى نَشْرِهَا فِي بُسْتَانِ «بَيْتِ بَاتِي» أُسْبُوعَيْنِ  
كَامِلَيْنِ قَبْلَ أَنْ يَسْتَعْمِلْنَهَا. وَلِأَنَّ شَارِعَ «سَبُوفُورْد» الْأَرِسْتُقْرَاطِيِّ  
لَمْ يَشْهَدْ حَقًّا عَرْضًا مِمَّاثَلًا مِنْ قَبْلُ، فَقَدْ قَدِمَ جَارُهُنَّ، الْمَلْيُونِيرُ الْهَرْمُ،  
وَرَغِبَ فِي اقْتِنَاءِ اللَّحَافِ الْمُزِينِ بِزَهْوَرِ التَّوَلِيْبِ الْحَمْرَاءِ وَالصَّفْرَاءِ،  
الَّذِي أَهْدَتْهُ السَّيِّدَةُ رَايْتِشَلْ إِلَى آن. قَالَ إِنَّ أُمَّه كَانَتْ تَصْنَعُ الْأَلْحَفَةَ  
مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ يَرِيدُهُ لِيَذْكُرَهُ بِهَا. غَيْرَ أَنَّ آنَ الَّتِي مَا كَانَ يُمْكِنُ أَنْ تَتَّبِعَهُ  
أَبَدًا، خَيَّبَتْ أَمْلَهُ. لَكِنَّهَا أَخْبَرَتْ السَّيِّدَةَ لِينْدَ عَنْهُ فِي إِحْدَى رِسَائِلِهَا  
إِلَيْهَا. وَقَدْ انْتَشَتِ السَّيِّدَةُ، وَأَعْلَمَتْهَا فِي رَدِّهَا أَنَّهَا تَمَلِكُ لِحَافًا آخَرَ  
مِمَّاثَلًا يُمْكِنُهَا التَّفْرِيطُ فِيهِ، وَهَكَذَا تَحَصَّلَ مَلِكُ التَّبَعِ عَلَى غَطَائِهِ،  
وَأَصَرَ عَلَى وَضْعِهِ عَلَى سَرِيرِهِ رَغْمَ اشمئزازِ زَوْجَتِهِ.

(1) مَادَّةٌ كِيمِيَائِيَّةٌ صَلْبَةٌ بِيضَاءُ اللَّوْنِ، لَهَا رَائِحَةٌ قَوِيَّةٌ، تَسْمَى الْقَطْرَانِ الْأَبْيَضُ أَوْ الْكَافُورُ،  
وَتَسْتَعْمَلُ فِي حِمَايَةِ الْمَلَابِسِ مِنَ الْحَشْرَاتِ وَالْعَثِّ.



كان لأغطية السيِّدة ليند فائدةٌ كبيرةٌ ذلك الشَّاء. فقد كانت نقائصُ «بيت باتي» لا تُحصى، رَغْمَ شمائله الكثيرة، فهو منزلٌ يشتدُّ برده. وفي الليالي المتجمِّدة، سعِدَتِ الفتياتُ بالاختباءِ تحتَ أغطية السيِّدة ليند، وهنَّ مُمتناتٌ لها.

حصلتُ آنَ على الغُرفةِ الزرقاءِ التي رَغِبْتُ فيها منذُ النَّظرةِ الأولى. وحصلتُ بريسيلا وستيلا على الغُرفةِ الكُبرى. ورضيتُ فيل بالغُرفةِ الصَّغيرةِ فوقَ المطبخِ، وكانت غُرفةُ الدَّورِ الأرضيِّ المُحاذيةِ لقاعةِ الجُلوسِ من نصيبِ العمَّةِ جايمسينا. وأجبرَ راستي على النَّومِ عندَ عتَبَةِ البابِ طيلةَ الأيَّامِ الأولى.

فداتَ يومٍ، عندَ عودتها من «ريدموند»، اكتشفتُ آنَ أنَّ النَّاسَ الذين التَّقَّتهم يتابعونها بابتسامةٍ خفيَّةٍ، فانزعجت، وتساءلت عن السَّببِ: هل كانت قبَّعتها ملتويةً مثلاً؟ هل كان حزامُ فستانها فضفاضاً؟ نظرتُ إلى نفسها، فرأتِ القِطَّ راستي للمرَّةِ الأولى.

هزولَ القِطِّ خلفها، مُلتصقاً بعقبِي حذائِها، وكان أشدَّ القِطِّ التي رأتها في حياتها بُؤساً. تخطَّى الحيوانُ مرحلةَ الصِّبا منذُ زمنٍ بعيدٍ، فبهتَ لونه، واشتدَّتْ نحافته، وبدتْ عليه مسحةٌ من الغرابة. فقدَ فقدَ أجزاءً من أذنيه، وفَسَدَتْ إحدَى عَيْنَيْهِ تماماً، وانتفختْ إحدَى وجنتيه انتفاخاً سَخيفاً. وكانَ على المرءِ أن يتخيَّلَ قِطًّا أسودَ مُحترقاً ليُدركَ التَّدَرَجَ اللَّوْنِيَّ لوبرِ ذلك القِطِّ المُتشرِّدِ المُلطَّخِ بالوَحْلِ. حاولتُ آنَ طرده، لكنَّه أبى. وجلسَ القُرفُصاءَ على وركَيْهِ طيلةَ وُقوفِها، ورنَّا إليها مُعاتبًا بعينه السَّليمةِ الوحيدة، وحين واصلتُ

سِيرَهَا تَبِعَهَا. اسْتَسَلِمْتُ أَنْ لِرِفْقَتِهِ حَتَّى بَلَغَتْ بَوَابَهُ «بَيْتِ بَاتِي»،  
وَأَغْلَقْتُهَا دُونَهُ، مُعْتَقِدَةً أَنَّهَا تَخَلَّصَتْ مِنْهُ. لَكِنْ، بَعْدَ مُرُورِ رُبْعِ  
سَاعَةٍ، وَحِينَ فَتَحْتُ فَيْلَ الْبَابِ، كَانَ الْقَطُّ الْأَحْمَرُ الْبُنِّيُّ يَجْلِسُ عِنْدَ  
الْعَبَةِ. وَمَا إِنْ أَبْصَرَ الْفُتْحَةَ حَتَّى اِنْدَفَعَ إِلَى الدَّاخِلِ، وَقَفَزَ إِلَى حُضْنِ  
أَنْ مَتَوَسَّلًا، فَقَالَتْ سَتِيلًا:

- أَنْ، أَهَذَا الْحَيَوَانَ لِكَ؟

اِحْتَجَّتْ أَنْ فِي اِسْمِئْزَازِ:

- لَا، أَبَدًا. لَقَدْ تَبِعَنِي هَذَا الْكَائِنُ إِلَى الْبَيْتِ مِنْ مَكَانٍ مَا. وَلَمْ  
أَسْتَطِعْ التَّخَلُّصَ مِنْهُ. هَيَّا انْزِلْ! أَحَبُّ الْقَطَطِ الْمَهْدَبَةِ، لَكِنِّي  
أَكْرَهُ الدَّوَابَّ الَّتِي عَلَى شَاكِلَتِكَ.

رَفَضَ الْقَطُّ الْهُبُوطَ، وَتَكَوَّمَ فِي حِجْرِ أَنْ، وَشَرَعَ يُجْرِخِرُ.  
فَضَحَكَتُ بَرِيْسِيْلًا قَائِلَةً:

- يَبْدُو أَنَّهُ تَبْنَاكَ.

أَجَابَتْ أَنْ مَتَعْتَةً:

- لَنْ يَتَبَّنَانِي أَحَدٌ.

قَالَتْ فَيْلٌ مَشْفَقَةً:

- إِنَّهُ يَتَصَوَّرُ جَوْعًا، وَتَكَادُ عِظَامُهُ تَحْتَرِقُ جِلْدَهُ.

قَالَتْ أَنْ بِحِزْمِ:

- حَسَنًا، سَنَمْنَحُهُ وَجِبَةً دَسِمَةً، ثُمَّ يَعُودُ مِنْ حَيْثُ أَتَى.

أَطْعِمَ الْقَطُّ، وَأَخْرَجَ مِنَ الْبَيْتِ. وَفِي الصَّبَاحِ، كَانَ مَا يَزَالُ عِنْدَ

العَبَّة. ظلَّ يجلسُ هناك، ويحاولُ الدُّخُولَ كُلِّمَا فُتِحَ الباب. لم يتأثّر  
 بعباراتِ التّرحيبِ، ولم يهتمَّ بأحدٍ غيرِ آن. أطعمتهُ الفتياتُ شَفَقَةً بِهِ.  
 وبعد مُرورِ أسبوعٍ، تحسّنَ مظهرُهُ، واستعادتْ عينُهُ ووجنتُهُ مَظْهَرِيهَا  
 العادِيَيْنِ، واكتسبَ وزنًا، وشُوهدَ وهو ينظّفُ وجهه. فقررنَ القيامَ  
 بأمرٍ ما بشأنه.

قالت ستيلا:

- لا نستطيعُ الاحتِفاظَ به. ستأتي العمّةُ جايمسينا الأسبوعَ  
 القادمَ، ومعها القِطَّةُ سارّة. ولن يكونَ بوسعنا الاحتِفاظَ  
 بزواجِ مِنَ القِطِّ، وإذا فعلنا ذلك، فإنّ هذا القِطُّ راسِتي  
 سيتشاجرُ مع القِطَّةِ سارّة طوَالِ الوَقْتِ. إنّه مقاتِلٌ بالسَّليقةِ،  
 خاضَ معركةً مَعَ قِطِّ مَلِكِ التَّبَعِ اللَّيْلَةَ الماضِيَةَ ودَحَرَهُ.  
 وافقتُ آن، ونظرتُ إلى القِطِّ الَّذِي كان يُطلقُ خرخرَةً في وداعةِ  
 حَمَلٍ، فوقَ بساطِ المِدفأةِ، ثمّ قالت:

- علينا التّخلّصُ منه. لكنّ السّؤالُ هو: كيف؟ كيف يُمكنُ  
 لأربعِ فتياتٍ دُونَ حَوْلٍ أو قوّةِ التّخلّصِ مِنْ قِطِّ يرفضُ  
 ذلك؟

قالت فيل فجأةً:

- علينا تخديرُهُ. تلك هي الوسيلةُ الخَيْرَةُ الوحيدة.

تساءلتُ آن في كآبة:

- من منّا تعرفُ شيئًا عن تخديرِ قِطِّ؟

قالت فيل:

- أنا يا عزيزتي. إنه من ضمن إنجازاتي القليلة. لقد تخلصت من الكثير منها في البيت. تأخذين القط، وتقدمين إليه إبطاراً دسماً، ثم تأخذين كيساً من الخيش، وأحدها موجود في الشرفة الخلفية، تضعين القط داخله، وتقليبين فوقه صندوقاً خشبياً. بعد ذلك، تأخذين زجاجة كلوروفورم<sup>(1)</sup>، تنزعين غطاءها، وتدسّينها أسفل حافة الصندوق، ثم تضعين شيئاً ثقيلاً فوق الصندوق وتركينه حتى المساء. عندها ستجدين القط ميتاً، منكمشاً في هدوءٍ كأنه نائم. لا ألم ولا مقاومة.

قالت آن في شك:

- يبدو الأمر سهلاً.

قالت فيل لتطمئنّها:

- إنه سهل. اتركِي الأمر لي. سأرى ماذا يمكنني فعله.

تمّ توفيرُ الكلوروفورم، وفي الصباح الموالي، كان راستي ينتظرُ مصيره المحتوم. تناولَ إبطاره، وارتمى في حُضنِ آن التي أنّبها ضميرُها. لقد أحبّها المخلوق البائسُ ووثقَ بها. فكيف يمكنها المشاركة في قتله؟

قالت لفيل في عجلة:

- خذيه! أشعرُ كأنّي قاتلة.

(1) سائل عديم اللون، سهل التطاير. له تأثير تخديري.

- لن يتعذب.

تمَّ الأمرُ في الشُّرفَةِ الخَلْفِيَّةِ الَّتِي لَمْ يَقْتَرِبْ مِنْهَا أَحَدٌ ذَلِكَ الْيَوْمَ.  
وعند الغروبِ، أعلنتُ فيل أنَّ عليهن دفنٌ راسِتي.

- على بريس وستيلا أن تحفرا قبره في الحديقة، وعلى أن أن  
تُرافِقيني لنرفع الصُّندوق، فطالما كرهتُ هذه المرحلة.

تسلَّلتُ صاحبتًا المكيدة إلى الشُّرفَةِ الخَلْفِيَّةِ. رفعتُ فيل الحجرَ  
الَّذِي سَبَقَ أَنْ وَضَعْتَهُ فَوْقَ الصُّنْدُوقِ. فصعدتُ، بَغْتَةً، مِنْ أَسْفَلِ  
الصُّنْدُوقِ مَوَاءً خَافِتًا، لَكِنَّهُ مُمَيِّزٌ.

شهقتُ آن:

مكتبة  
t.me/soramnqraa

- إنه... إنه ليس ميتًا.

أكدتُ فيل:

- لا بدَّ أنه ميِّت.

وَصَدَرَ مَوَاءٌ ثَانٍ لِيُثْبِتَ أَنَّ الْقِطْعَ لَمْ يَكُنْ مَيِّتًا. فنظرتُ إحداهما  
إلى الأخرى، وتساءلتُ آن:

- ماذا سنفعل؟

سألتهما ستيلا الواقفة على عتبة الباب:

- لماذا لم تأتيا؟ القبرُ جاهز.

أشارتُ أن إلى الصُّندوقِ، فأنفجرن جميعًا ضاحكات.

قالتُ فيل وهي تُعيدُ الحجَرَ إلى مكانه:

- علينا تركه هنا حتى الصِّباح. لم يطلُ مَواؤهُ خَمْسَ دَقَائِقٍ، فربما

كان ذلك دليل احتضاره، أو ربّما خيّل إلينا سماع ذلك بسببِ  
ضَغْطِ تَأْنِيْبِ ضَمَائِرِنَا.

وفي الصّباح، عندما رُفِعَ الصّندوقُ، اندفع راستي نحوَ كَتِفِ  
آن بوثيةٍ واحِدةٍ، وشرعَ يلعقُ وجهها في حنان.

قالت فيل:

- هناك ثقبٌ في الصّندوق لم أنتبه له قطّ، وهذا سببُ بقائه  
حيًا. والآن، علينا أن نعيد الكرّة.

قالت آن بَعْتَة:

- لا، ليس علينا ذلك. لن نحاول قتل راستي ثانية. إنه قِطِي،  
وعليكنّ تحمُّله.

قالت ستيلّا كأتمّها تنفض يديها من الأمرِ برُمْتِه:

- حسنًا، إذا وجدتِ حلًّا مع العمّة جايمسينا والقِطّة سارة.

منذ ذلك اليوم، صار راستي واحدًا من العائِلة، ينأم على  
البساطِ في الشُرْفَةِ الخلفيّةِ، ويقتاتُ خَشَاشَ الأَرْضِ. وحين حلّ  
ركبُ العمّة جايمسينا، كان قد صار سمينًا ولامعًا ومُحترَمًا، لكنّه  
كان مثلَ قِطِّ كبلينغ<sup>(1)</sup>، يسيرٌ وحيدًا، ويشهرُ مخالبه في وجهِ كلِّ  
قِطّ، ويُعاملُ بالمثل. هزَمَ راستي كلَّ القِططِ الأُرُسْتُقْراطِيّةِ في شارع

(1) من قصّة «القِطّ الَّذي يسير وحيدًا» للكاتب والفاصل البريطانيّ روديارد كبلينغ،  
مؤلّف «كتاب الأدغال» The Jungle Book.

«سبوفورد» واحداً تلو الآخر. أما بالنسبة إلى البشر، فلم يُحِبَّ غيرَ  
آن، ولم يجروا أحدٌ على مُداعبته.

قالت ستيلاً:

- سَحْنَةُ أولئك القَطَطِ غيرُ مَقْبُولَةٍ تَمَاماً.

قالت آن وهي تُداعِبُ قَطَطَهَا:

- لَكِنَّهُ قُطِيطٌ جَمِيلٌ.

- حَسَنًا، لَا أَذْرِي كَيْفَ سَيَتَعَايَشُ مَعَ القِطَّةِ سَارَّةَ. تَكْفِينًا  
مَعَارِكُ القَطَطِ فِي الحَدِيقَةِ. لَكِنَّ قِتَالَ القَطَطِ هُنَا، فِي عُرْفَةِ  
المَعِيشَةِ، غَيْرُ مَعْقُولٍ تَمَاماً.

قَدِمَتِ العَمَّةُ جَايَمَسِينَا فِي موعِدِهَا. انْتظرت آن وَبَرِيسِيلا  
وَفِيل قُدومِهَا فِي رِيبِيَّةِ، لَكِنَّ مَا إِنْ تَرَبَّعتْ عَلَى الكَرَسِيِّ الهَزَازِ قُبَالَةَ  
المِدْفَأةِ حَتَّى قَدَمْنَ لَهَا فَرُوضَ الوَلَاءِ وَالطَّاعَةِ.

كَانَتْ سَيِّدَةً مُسِنَّةً صَغِيرَةً الحِجْمِ، لَهَا وَجْهٌ نَاعِمٌ مِثْلُ الشَّكْلِ،  
وَعَيْنَانِ زَرْقَاوَانِ وَاسِعَتَانِ تَفِيضَانِ شَبَابًا وَأَمَلًا كَعَيْنِي صَبِيَّةِ،  
وَوَجْتَانِ زَهْرِيَّتَانِ، وَشَعْرٌ أبيضٌ يَنسَابُ فِي جَدَائِلِ صَغِيرَةٍ حَوْلَ  
أذُنَيْهَا.

قالت وهي تَحِيكُ شَيْئًا زَهْرِيًّا بِكَدِّ:

- إِنْ مُوَضَّتْهُ قَدِيمَةٌ مِثْلِي تَمَاماً. ثِيَابِي قَدِيمَةٌ، وَمِنَ المَعْقُولِ أَنْ  
أَرَائِي وَأَفْكَارِي بَالِيَّةٌ أَيْضًا. لَمْ أَقُلْ إِنَّهَا أَفْضَلُ مِنْ غَيْرِهَا، لَا  
تَقْلُقْنَ. فِي الوَاقِعِ، رَبِّمَا كَانَتْ أَسْوَأَ جِدًّا. لَكِنِّي وَجَدْتُ مَعَهَا

راحتي. الحذاء الجديدُ أجملُ من القديم، لكنّ القديمَ أوفرُّ راحةً. أنوي التَّمَتُّعَ بالراحةِ هنا. أعلمُ أنّك تتوقَّعن مِنِّي السَّهْرَ على راحتِكِ، لكنني لنُ أفعل. أنتنّ بالغاتٌ وتعلمن كيف تتصرّفن. فيها يخصّني، يمكنكُنّ الذَّهابُ إلى الجحيم.

ألحّت ستيلا قائلةً:

- مَنْ يفصلُ هذه القططَ عن بعضها؟

لم تجلبِ العمّة جايَمِسِينا القطّة سارّة فحسبُ، وإنّما جلبتُ جوزيفَ أيضًا، ذلك القطّ الذي كانت تملكه إحدى صديقاتها التي رحلتُ للعيشِ بفانكوفر.

- لم يكنُ بوسعِها حملُ جوزيف معها، فترجّجتني أن أخذه. لم أستطع الرِّفْض. إنه قَطٌّ جَمِيل. دعتُه جوزيف لأنّ وِبرَه مُلَوّن.

في الواقع، كانت مالكةُ جوزيف محقّةً، لأنّه، كما تقولُ ستيلا باشمئزاز، يُشبهه كيسًا من الخِرَق، ويصعُبُ تمييزُ لونه الأصليّ. فقوائمه بيضاءُ مرقّطةٌ بالأَسود، وظهره رماديٌّ مع لطحّةٍ صفراءَ على أحدِ جانبيه، ولطحّةٍ سوداءَ على الجانبِ الآخر، وذيله أصفرٌ بطرفِ رماديّ، وإحدى أذنيه سوداءُ والأُخرى صفراء. وقد منحتّه البُقعةُ السّوداءُ فوقَ عَينيه منظرًا خَلِيعًا. لكنّه رَغِم ذلك وديعٌ ومُسالِم. كان مثلَ زنبقةٍ في البُستان، لا يقومُ بأيّ جهدٍ يُذكر، ولا يطاردُ الجرّذان. ولم ينمُ أحدٌ سواه، ولا حتّى النّبيّ سليمان، على وسائلٍ أكثرَ نعومةً، ولم يستمتعَ قَطُّ غيره بأكثرِ الولايمِ دَسامةً.



حلّ ركبُ جوزيف والقطةِ سارةَ في صندوقين مُنفصلين. اختار جوزيف وسادتهُ وركنَه، وجلستُ القطةُ سارةَ قبالة المدفأة، وشرعتُ تنظفُ وجهها. كانت قطةً رماديّةً وبيضاءً، ضخمةً ورشيقةً، لها كبرياءٌ لا يُوصف.

شرحتُ العمّةُ جايمسنا الأمرَ:

- كانتُ تدعى سارة، لكنّ زوجي طالماً دعاها القطةُ سارة. عمُرُها ثماني سنواتٍ، وهي صائدةٌ فئرانٍ مُميّزة. لا تقلقي يا ستيل! القطةُ سارة لا تتعارك أبداً، وجوزيف يفعلُ ذلك نادراً.

قالتُ ستيل:

- سيتعيّنُ عليهما القتالُ دفاعاً عن النفس.

وفي هذه اللّحظة، ظهر راستي، وتقافزَ بمرح عبر الغُرفةِ قبل أن يلمح الدُّخلاء. ثمّ توقّفَ بغتةً، وقد انتفخَ ذيلُه، وانتفضَ وبرُه، وتقوّسَ ظهرُه في تحدّ. خفضَ راستي رأسه، وأطلقَ صيحةً تحدّ وكراهيّةً، وانقضّ على القطةِ سارة.

توقّفتُ القطةُ عن تنظيفِ وجهها، وظلّتُ تحدّقُ إليه في غرابة. ثمّ صدّتْ هجومه بضربةٍ من مخالبها القويّة. تدخّرج راستي مهزوماً على البساطِ، ثمّ نهضَ مُترنحاً. ما نوع هذه القطةِ التي شجّتُ رأسه؟ أخذَ ينظرُ إليها بريّةً. هل يفعلُها أم لا؟ أشاحتُ القطةُ سارةَ بوجهها وواصلتُ نظافتها. فقرّر راستي ألاّ يهاجمها. ولم يفعل، بعد تلك المرّة، قطّ. ومنذ ذلك الحين، صارتِ القطةُ سارةَ حاكمةً بأمرها، ولم

يعترض راستي سبيلها مُجَدِّداً. لكنّ جوزيف نهض مُثَثَّابًا، فانقضَّ عليه راستي ليمسحَ به عارَه. ولأنّ جوزيف، المُسلمَ بطبعه، يُقاتل أحيانًا، فقد أبلى البلاءَ الحَسَنَ. وهو ما أسفر عن سلسلةٍ مِنَ المِعارِكِ المُتَعادِلَةِ. تقاتل راستي وجوزيف كلَّ يومٍ، وكانا يَشْتَبِكُانِ حالَ رُؤيةِ أحدهما للآخر. كرهتُ أن جوزيف، ووقفتُ إلى صفِّ راستي، وأُصِيبْتُ ستيلا بالإحباطِ، أمّا العَمَّةُ جايمسِينا فكان الضَّحْكُ يغلبها، وتقول:

- دَعِيهَما يَتَقَاتِلانِ! سَيُصْبِحانِ صَدِيقَيْنِ فِيمَا بَعْدَ. يَحْتَاجُ جوزيف إلى بَعْضِ التَّمَرِينِ. فقد صار سَمِينًا جِدًّا. وعلى راستي أن يتعلَّمَ أَنَّهُ ليس القِطُّ الوَحيدَ في هذا العالَمِ.

قَبْلَ جوزيف وراستي بالأمرِ في نِهايَةِ المَطافِ، وتحوَّلًا من عَدُوِّينِ لِدُودَيْنِ إلى صَدِيقَيْنِ مُقَرَّبَيْنِ، ينامان على نفسِ الوِسادةِ، ويغسِلُ أحدهما وجهَ الآخرِ.

قالت فيل:

- لقد أَلَفَ بَعْضُنا بَعْضًا، وتعلَّمتُ غَسْلَ الأواني ومَسْحَ الأَرْضِيَّةِ.

ضحكتُ آن قائلَةً:

- لكن، لا تزعمي أَنَّكَ قادِرةٌ على تخديرِ قِطِّ.

احتجَّتْ فيل:

- كان خطأ الثَّقَبِ في الصَّنَدُوقِ الخَشَبِيِّ.

قالت العمّةُ جايَمسِينا بحزم:

- من حُسْنِ الحِظِّ أَنْ وَجِدَ الثُّقْبَ. عَلَيْنَا إِغْرَاقُ القُطَيْطَاتِ  
وإِلَّا سَادَتِ العَالَمَ. لَكِنْ لَيْسَ عَلَيْنَا قَتْلُ القِطَطِ البَالِغَةِ  
المُحْتَرَمَةِ، إِلَّا إِذَا التَّهَمْتُ البَيْضَ.

قالت ستيلا:

- لو رأيتِ كيف قَدِمَ رَاسْتِي إلى هُنَا، مَا كُنْتُ تَصِفِيَنَهُ بِالمُحْتَرَمِ.  
كَانَ يَبْدُو مِثْلَ العَجْوَزِ نِيكَ.

رَدَّتْ العَمَّةُ جَايَمْسِينَا:

- لَا أَظُنُّ العَجْوَزَ نِيكَ بِهَذَا القُبْحِ. وَلَا يَضِيرُنَا أَنْ يَكُونَ  
قَبِيحًا. غَيْرَ أَنِّي طَلَمَّا رَأَيْتُهُ رَجُلًا وَسِيمًا وَلَطِيفًا.

(17)

## رسالة دايفي

قالت فيل ذات ليلةٍ من ليالي نوفمبر:

- بدأ الثلج يتساقطُ يا بنات. وغمرتُ نُجومٌ وبلوراتٌ فاتنةً  
دربَ الحديقة. لم أنتبه أبداً، من قبل، إلى جمالِ نُدْفِ الثلج،  
فالمرءُ لا يستطيعُ التمتعَ بجمالها إلا عندما يحيا حياةً بسيطةً،  
أنا مُمتنةٌ لكنّ لأنكن سمحتنَّ لي بعيشها. فمن الممتع أن نلتقَ  
بشأنِ ارتفاعِ ثمنِ رطلِ الزبدةِ خمسَ سنتاتٍ إضافيةً.  
سألتهُ ستيلاً التي كانت تُعنى بمصاريفِ البيتِ:

- هل ارتفعَ ثمنُها؟

- أجل، ها هي الزبدة. لقد صرّتُ خبيرةً في التسوق، فذلك  
أفضلُ من المغازلة.

تنهدتُ ستيلاً:

- هناك ارتفاعٌ فاضحٌ في كلِّ الأسعار.

قالت العمّةُ جايمسينا:

- لا يهمُّ. الحمدُ للربِّ على أن الهواءِ والخلاصَ ما زالا بالمجان.

وأضافتُ آن:

- والضحك أيضا. لا توجد ضريبة على الضحك، وهذا جيد،  
لأنك ستضحكن كثيرا الآن. سأقرأ عليك رسالة دايفي.  
لقد تطوّر كثيرا في رسم الكلمات هذه السنة، رغم بعض  
النقائص. انصتن! وضحكن!، قبل الشروع في الدراسة  
الشاقة، هذه الليلة.

عزيزتي آن،

تناولت قلمي لأخبرك أننا جميعا بخير، وأرجو أن تكوني  
كذلك أيضا. الثلج يتساقط أحيانا، هنا، وتقول ماريلا أن  
السيدة العجوز التي تسكن السماء تنفض ريش فراشها. هل  
تلك السيدة زوجة الرب يا آن؟ أريد أن أعرف.

مرضت السيدة ليند، لكنها تشعر بتحسن الآن. سقطت من  
أعلى سلم القبو الأسبوع الماضي، وتشبّثت بالرّف الذي  
يجوي القدور ودلاء اللبن، فسقطت معها بدورها، محدثة  
دويا هائلا، ظنته ماريلا زلزالا.

أصابت إحدى القدور المكسورة ضلوع السيدة ليند. فقدم  
الطبيب، وناولها مرهما لتفرك به ضلوعها، لكنها لم تفهمه،  
وابتلعته بدل ذلك. قال الدكتور أنها نجت من الموت  
بمعجزة، لكنها قالت إن الأطباء لا يفقهون شيئا على أي  
حال. لم نتمكن من إصلاح القدر، واضطرت ماريلا إلى  
التخلص منه.

أقبل عيد الشكر الأسبوع الماضي. فلم نذهب إلى المدرسة،

وتناولنا عشاءً دَسِماً. أكلتُ فطيرةَ اللحمِ المفرومِ، ولحمِ  
الدِّيكِ الرُّومِيِّ المحمَّرِ، وكعكةَ الفواكِه، وفطائرَ محلاةً،  
وجبنًا، ومُرَبِّي، وكعكةَ شوكلاتة. قالت ماريلّا أنّي سوف  
أموتُ، لكنني لم أمت. أمّا دورا فقد عانتُ ألمَ أُذنيها، لكنّه، في  
الحقيقة، لم يُصبْ أُذنيها، وإنّما أصابَ بطنها. أنا، لا يُسبَّبُ لي  
ألمُ أُذني أو جاعًا بأيِّ مكانٍ من جسدي.

مدرّسنا الجديدُ يقومُ بأشياءَ مرحة. خلالَ الأسبوعِ الماضي،  
طلبَ من تلاميذِ السّنةِ الثّالثة أن يُحرّروا إنشاءً أدبيًّا عن  
زوجاتهمِ المُستقبليّاتِ، ومن التّلميذاتِ أن يصفنَ أزواجَ  
المُستقبلِ، وأشرفَ على الموتِ ضحِكًا حينَ قرأ نصوصهم.  
وهذه فقرتي، فكّرتُ أنّك قد ترغبن في قراءتها:

مواصفاتُ زوجتي المُستقبليّة.

يجبُ أن تكونَ مهذّبةً، وتُهمّي لي طعامي في الوقتِ المُناسبِ،  
وتُطيعني. وعليها أن تكونَ في الخامسة عشرة. ولا بُدَّ أن  
تُعطفَ على الفقراءِ، وتعتني بيّتها، وتذهبَ إلى الكنيسةِ  
بانتيظام. كما ينبغي أن تكونَ جميلةً، ومجمّدةَ الشّعْرِ. فإذا  
عثرتُ على زوجةٍ بهذه المواصفاتِ، فسأكونَ زوجًا جيّدًا  
لها. أعتقدُ أنّ على الزّوجةِ أن تكونَ طيّبةً في مُعاملةِ زوجها  
أيضًا. فهناك نساءٌ كثيراتُ بائساتٌ دونَ أزواج.

النهائية.

حضرتُ جنازةَ السيّدةِ إيزاك رايتس في «وايت ساندرز»

الأسبوعِ الفائتِ. كان زوجها حزينًا جدًّا. قالت السيِّدةُ ليندُ  
أنَّ جدَّ السيِّدةِ رايتس أقدمَ على سرقةِ خروفٍ، لكنَّ ماريلا  
قالت إنَّه لا يجوزُ قولُ أمورٍ سيِّئةٍ في حقِّ الميتِ. لمَ لا يا آن؟  
أريدُ أن أعرفَ. فهو لن يسمَعنا، أليس كذلك؟

غضبتُ مِنِّي السيِّدةُ ليندُ كثيرًا ذلكَ اليومَ، لأنِّي سألتُها إذا ما  
شَهدتُ زَمَنَ نُوحٍ؟ لمَ أقصدُ جرحَ مشاعريها. أردتُ فقط أن  
أعرفَ. فهل شَهدتهُ حقًّا؟

أراد السيِّدُ هاريسون التخلُّصَ من كلبه، فشَنَقه ذاتَ مرَّةٍ،  
لكنَّه عادَ إلى الحياةِ، وانطلقَ مُسرِّعًا نحو الحظيرةِ، بينما كان  
السيِّدُ هاريسون يحفرُ قبره. فشَنَقه ثانيةً، لكنَّه مات نهائيًّا  
تلكَ المرَّة. جلبَ السيِّدُ هاريسون أجيًّا آخرًا، لكنَّه كان  
أحرقَ، وأضافَ السيِّدُ هاريسون أنَّه كان أعسرَ. واستأجرَ  
السيِّدُ باري عاملاً كسولًا جدًّا حسبِ روايةِ السيِّدةِ باري،  
لكنَّ زوجها قال إنَّه ليس كسولًا تمامًا، لكنَّه من النوع الذي  
يدعو في صلواته أن يُنجِزَ الرِّبُّ الأعمالَ، بدَل أن يشتغلَ  
عليها بنفسِه.

أمَّا خنزيرُ السيِّدةِ هارمون أندروز الحائِزُ على جائزةٍ، والذي  
كانتُ تفتخرُ به كثيرًا، فقد ماتَ من جِراءِ الحُمى. قالتِ  
السيِّدةُ ليندُ إنَّ الأمرَ كان عقابًا إلهيًّا بسببِ كِبَرِها، لكنِّي  
أظنُّ أنَّه لم يستطعَ مقاومةَ الحُمى. ومرِّضَ ميلتي بولتر  
أيضًا. فوصَفَ له الطَّبيبُ أحدَ الأدويةِ، لكنَّه سيءُ المذاقِ.

عرضتُ عليه أنْ أشربه بدلاً عنه لِقَاءِ رُبْعِ دُولَارٍ، لكنَّ عائلَةَ بولتر بخلاءُ جدًّا، فقال إنَّه يفضّلُ تناولَ الدَّواءِ والاحتِفاظَ بهِ إليه.

قررتُ جمعِيَّةً تطويرِ مدينةِ «آفونلي» طلاءِ القاعةِ مجدِّدًا، لأنَّ لونها الأزرقُ صارَ مُملًّا.

زارنا القسُّ الجديدُ ليلةَ أمسٍ ليشربَ الشايَ، فتناولَ ثلاثَ قطعٍ مِنَ الكعكةِ. لو فعلتُ مثله، لدعتني السيِّدةُ ليندُ خنزيرًا. كان يأكلُ بسُرعةٍ، ويتناولُ لقمةً كبيرةً، بينما ما تزالُ ماريلا تُوصيني بتجنُّبِ هذا الصَّنيعِ. لماذا يفعلُ القساوسةُ ما يحلو لهم، بينما يُمنعُ الصَّبيَّةُ من ذلك؟ أريدُ أنْ أعرفَ. لم تتبقَّ أخبارُ أخرى في جعبتي. لكِ مني ستُّ قبلاّتٍ... وقبلَةٌ واحدةٌ من دورا.

صديقكُ المُحبُّ ديفيدُ كايت.

ملاحظة: آن، من أبِّ الشيطان؟ أريدُ أنْ أعرفَ.



(18)

## الآنسة جوزفين وطفولة آن

عند حلول عطلة أعياد الميلاد، عادت الصبايا إلى بيوتهن، لكنّ العمّة جايمسина خيّرت البقاء مكانها، وقالت:

- دُعيتُ إلى بيوتٍ كثيرة، لكنني لا يسعني جلبُ هذه القططِ الثلاثة معي. ولكن أقوى على تركِ هذه الكائناتِ البائسة بمفردها ثلاثة أسابيع تقريباً. لو كان لنا جيرانٌ لاثقون يطعمونها، لتركناها، لكن لا يوجدُ بهذا الشارعِ سوى أصحابِ الملايين. لذلك سأبقى هنا، وأُبقى على «بيت باتي» دافئاً من أجلكنّ.

عادتُ آن إلى البيتِ كدأبها، مُحمّلةً بتوقعاتها المتفائلة التي لم تتحقّقْ بأكملها. ألفتُ «آفونلي» في قبضة شتاءٍ عاصفٍ وبارد، و«غرين غايلز» مطوّقةً بانجرافاتِ ثلجٍ هائلة. هبّت العاصفةُ طيلة كلِّ يومٍ من أيامِ العطلةِ التعيّسة، وما كان يتمُّ جرفُ الثلوجِ حتّى تمتلئَ بها الطُّرُق من جديد. فعُدّ الخروجُ من البيتِ ضرباً من المستحيل. حاولتُ جمعيّةً تطويرِ مدينةِ «آفونلي» طيلة ثلاثة أيامٍ إحياءَ حفلٍ على شرفِ طلابِ الجامعة، لكنّ العاصفةُ لم تهدأَ ليلةً

واحدةً، فلم يتمكن أحدٌ من الحضور، وتوقفوا عن المحاولة يائسين.  
ولم تستطع آن، رغم حُبِّها وإخلاصها لغيرين غايلز أن تتوقَّفَ عن  
الحين إلى «بيت باقي»، ومدفأته، وعيون العمّة جايمسنا، والقططِ  
الثلاثة، وثرثرة البنات المرحّة، وبهجة أمسيات أيام الجمعة حين  
يقبل رفاق الجامعة للسَّمَر.

كانت آن وحيدةً، إذ قبعَت ديانا في منزلها طيلة أيام العطلة  
جراء التّهابِ رثويّ حادّ، فلم يكن بوسعها المجيءُ إلى «غيرين  
غايلز»، ولم تستطع آن الذهابَ إلى «أوركارد سلوب»، لأنّ الثلوج  
سدّت الطريقَ الذي يعبرُ الغابةَ المسحورةَ، وجعلتُ حالة الطريقِ  
الأطولِ الذي يمرُّ فوق البحيرة المتجمّدة أشدَّ سوءًا.

رقدت روبي جيليس في المقبرة البيضاء، وظلّت جاين أندروز  
تدرّس في مدرسة، في المروج الغربية. أمّا جلبرت، فبقيَ وفيًّا، يعودُ  
إلى «غيرين غايلز» كلّما أمكنه ذلك. لكنّ زياراتِ جلبرت لم تظَلْ كما  
عهدتها آن، التي صارت تخافها تقريبًا. فقد كان يُزعجها أن ترفعَ  
عينها حين يحلُّ الصّمتُ فجأةً، فتجد عيني جلبرت العسلتين  
تُحدّقان بها في نظرة عميقة لا تكاد تخطئها، وكان يقلقها أيضًا أن  
تصيبها نظرته بحُمرةٍ محمومةٍ كأنّها... كأنّها... على كلّ حال، كان  
الأمرُ مُحرجًا. وكم تمنّت أن لو كانت في «بيت باقي»، حيث لا تعدُّمُ  
أحدًا لينقذَ الموقفَ الحساس. أمّا ماريلا فكانت تُسرِعُ إلى بيتِ  
السيدة ليند، حالما يأتي جلبرت، وتُصرُّ على اصطحابِ التّوأمِ معها.  
كان القصدُ من وراء ذلك واضحًا، وكانت آن تغضبُ غضبًا شديدًا.

لكنّ دايفي كان سعيدًا جدًا. فهو ينتشي بالخروج صباحًا، والتسكُّع نحو البئرِ وقرنّ الدجاج، ويستمتعُ بحلوياتِ أعيادِ الميلادِ التي تتنافسُ ماريليا والسيدةُ ليندُ في صنْعِها من أجلِ آن، ويطلعُ قصةَ أسرةٍ استعارها من مكتبةِ المدرسة، تروي حكايةَ بطلٍ ذي قدرةٍ خارقةٍ على التورّطِ في المتاعبِ، والخروجِ منها محظوظًا بمساعدةِ زلزالٍ أو فورةِ بركانٍ، فنتهي القصةُ نهايةً رائعةً.

- إنها قصةٌ مذهلةٌ يا آن. أفضلُ مطالعتها على قراءةِ الإنجيلِ.  
- حقا؟

نظر إليها دايفي مستغربًا:

- لا تبدين متفاجئةً يا آن. لقد استشاطتِ السيدةُ ليندُ غضبًا حين أخبرتها ذلك.

- لا، لستُ غاضبةً يا دايفي، فمن الطبيعيّ أن يُفضّلَ طفلٌ في التاسعةِ قراءةَ مغامرةٍ ما على قراءةِ الإنجيلِ. لكن حين تكبرُ، أظنك ستكتشفُ مدى روعةِ الإنجيلِ، وآمل حصولَ ذلك.

- في الإنجيلِ مقاطعٌ جيّدة، خاصّةً تلك التي تدورُ أحداثها حول جوزيف. لو كنتُ مكانه، ما غفرتُ لإخوتي. كنت سأقطعُ رؤوسهم جميعًا. كم غضبتِ السيدةُ ليندُ حين أخبرتها بذلك! أغلقتِ الكتابَ المقدّسَ، وقالت إنها لن تقرأ لي منه أبدًا إذا واصلتُ الحديثَ على ذلك النحو. صرتُ ألترمّ الصّمتَ كلّما قرأتُ منه في أمسيةِ الأحدِ، بينما أفكّرُ بأمورٍ

أخبرُ بها ميلتي بولتر في المدرسةِ يومَ الغد. أخبرتُ ميلتي  
بقصّةِ «إليشا والدّبية»، فأخافته كثيراً، حتّى أنّه توقّف عن  
السّخريّة من صلعةِ السيّد هاريسون. هل من ديبية في جزيرة  
الأمير إدوارد يا آن؟ أريدُ أن أعرف.

ألقت الرّيح كتلةً من الثلج على النّافذة، وقالتْ آن في سُروِد:

- لم يعد لها وُجودٌ، يا عزيزي، ألا تنتهي هذه العاصفة؟

- الرّب وحده يعلم.

صدمتْ آن، وصاحتْ مُعابتهً:

- دايفي!

- إنّ السيّدة ليند من يقول هذا. سألتها ماريلا ذات ليلة «ألا

يتزوّج لودوفيك سييد ثيودورا ديكس»، فأجابتها «الرّب  
وحده يعلم»، هكذا.

- حسناً، لا يحقُّ لها قول ذلك. لا يحقُّ لأحد أن ينطق ذلك

الاسم باستخفافٍ، لا تقل ذلك مجدداً!

- حتّى لو قلته في خشوعٍ مثل القسّ؟

- لا، ولا حتّى مثله.

- حسناً، لن أفعل. يعيش كلُّ من لودوفيك سييد، وثيودورا

ديكس، في «ميدل جرافتون»، وتقول السيّدة ليند إنّه يتودّد

إليها منذ مئة سنة. ألن يسيخاً على الزّواج يا آن؟ أمل ألا

يتودّد إليك جلبرت كلّ ذلك الوقت. متى ستزوّجان يا

آن؟ تقول السيِّدة ليند إن الأمر مُؤكَّد.

قالت آن بانديفاع:

- السيِّدة ليند...

ثم صممت. فواصل دايفي بهدوء:

- عجوزٌ نمامة، هكذا يدعُوها الجميع. لكن ماذا تعني بقولها

إنّ الأمر مفروغٌ منه؟

قالت آن مستاءةً:

- أنت طفلٌ غبيٌّ يا دايفي.

كانَ المطبخُ شاغراً، فجلستُ قربَ النَّافذة، وقد غرَبَتِ الشَّمْسُ، وهدأتِ الرِّيح. أطلَّ القمرُ الشَّاحِبُ من خلالِ الغيومِ البنفسجيَّةِ القادمةِ مِنَ الغربِ، وأفلَ لونُ السَّماءِ، لكنَّ الشَّريطَ الذهبيَّ الممتدَّ على طولِ الأفقِ ازدادَ توهُّجاً، حتَّى كأنَّ أشعةَ الضَّوءِ المتناثرةَ تركَّزتْ في نُقطةٍ واحدَةٍ. نظرتُ آنَ إلى الحقولِ البيضاءِ الساكنةِ التي بدتْ باردةً كأنَّها خلتْ مِنَ الحياةِ في ضوءِ هذا الغروبِ الحزينِ، وتنهدتْ. كانتُ وحيدةً، وحزينةً لأنَّها لا تعرفُ إذا ما كانَ بوسعِها العودةُ إلى «ريدموند» السَّنةِ المُقبلة، ولمْ يبدُ الأمرُ ممكناً. فالمنحةُ المُسندةُ إلى طالبةِ السَّنةِ الثَّانيةِ ضئيلةٌ جدًّا. وهي لن تأخذَ من مالِ ماريلا، كما أنَّها لا تتوقَّعُ فرصاً كبيرةً لجنيِّ بعضِ المالِ في عطلةِ الصَّيفِ. أسرَّتْ إلى نفسها في كآبةٍ، «أظنُّني سأتوقَّفُ عن الدِّراسةِ السَّنةِ القادمة، وأعودُ إلى التَّدريسِ في مدرسةِ المُقاطعةِ حتَّى أجمعَ

ما يَكْفِي لِمُواصَلَةِ دِرَاسَتِي. عِنْدَهَا سَيَكُونُ كُلُّ زُمَلَائِي قَدْ تَخَرَّجُوا،  
وَلَنْ أَسْكُنَ بَيْتَ بَاقِي مُجَدِّدَا. يَكْفِي جُبْنًا! أَنَا مَمْتَنَةٌ لِأَنِّي سَأَجْنِي الْمَالَ  
بِنَفْسِي».

انْدَفَعَ دَايْفِي قَائِلًا:

- هَا قَدْ أَقْبَلَ السَّيِّدُ هَارِيسُون. أَمَلٌ أَنَّهُ جَلَبَ مَعَهُ رِسَائِلَ  
الْبَرِيدِ. لَمْ نَسْتَلِمْ شَيْئًا مِنْذُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ. أُرِيدُ أَنْ أَعْرِفَ كُلَّ شَيْءٍ  
عَنِ اللَّيْبِرَالِيِّينَ. أَنَا مِنَ الْمُحَافِظِينَ يَا آن.

جَلَبَ السَّيِّدُ هَارِيسُون رِسَائِلَ سَتِيلَا، وَبَرِيسِيلَا، وَفِيل،  
الَّتِي بَدَدْتُ ضَجَرَ آن. وَكَتَبْتُ لَهَا الْعَمَّةَ جَايْمَسِينَا أَيْضًا، فَقَالَتْ:  
«الْحَطْبُ يَحْتَرِقُ فِي الْمَدْفِئَةِ، وَالْقَطَطُ وَنَبَاتَاتُ الْبَيْتِ عَلَى خَيْرِ مَا  
يُرَامُ. اشْتَدَّ الْبَرْدُ فَسَمَحْتُ لِلْقَطَطِ بِالنَّوْمِ دَاخِلَ الْبَيْتِ، فَنَامَ كُلُّ  
مِنْ رَاسَتِي وَجُوزَيْفِ عَلَى الْأَرِيكَةِ بِغُرْفَةِ الْجُلُوسِ، وَتَكَوَّرَتِ الْقِطَّةُ  
سَارَةَ قُرْبَ سِرِّيْرِ، فَانْسَنِي خَرِيرُهَا حَقًّا حِينَ أَفْقَتُ لَيْلًا وَفَكَّرْتُ  
بِمَصِيرِ ابْنَتِي فِي أَرْضٍ غَرِيبَةٍ. لَوْ كَانَتْ بِأَيِّ مَكَانٍ غَيْرِ الْهِنْدِ لَمَا  
قَلِقْتُ عَلَيْهَا، لَكِنْ قَلِيلٌ لِي إِنَّ الثَّعَابِينَ مَرُوعَةٌ هُنَاكَ. احْتَجْتُ خَرِيرَ  
الْقِطَّةِ سَارَةَ حَتَّى أَنْفَضَ صُورَتَهَا مِنْ ذَهْنِي، فَأَنَا أَثِقُ بِكُلِّ شَيْءٍ عِدا  
الثَّعَابِينَ. لَا أَعْرِفُ لِمَاذَا خَلَقْتَهَا الْعِنَايَةُ الْإِلَهِيَّةُ، وَأَحْيَانًا أَشْكُ أَنَّهُمَا مِنْ  
عَمَلِ الشَّيَاطِينِ».

تَرَكْتُ آن رِسَالَةً قَصِيرَةً مَرْقُونَةً عَلَى الْآلَةِ الْكَاتِبَةِ ظَنًّا مِنْهَا  
أَلَّا أَهْمِيَّةٌ لَهَا. لَكِنَّهَا عَادَتْ إِلَيْهَا، فَلَمَّا أَمَمْتُ قِرَاءَتَهَا، جَلَسْتُ سَاكِئَةً  
تَذْرِفُ الدَّمُوعَ. سَأَلْتُهَا مَارِيلَا:

- ما الخطبُ يا آن؟

- توفيتِ السيِّدةُ جوزفين باري.

- رحلتُ أخيراً! لقد ظلَّت مريضةً سنةً كاملةً. توقَّع آل باري موتها في أيِّ لحظة. مِنَ الجيِّد أنَّها ارتاحتْ مِنْ عذابِها المتواصلِ. آن، طالما كانتْ لطيفةً نحوك.

- لطيفةٌ جدًّا يا ماريلا! هذه الرِّسالةُ مِنْ قِبَلِ مُحامِيتها. لقد تركتُ لي ألفَ دولارٍ في وصيَّتها.

قال دايفي:

- يا إلهي!، هذا مبلغٌ ضخْم. أليستْ هي السيِّدةُ التي وجدتها في سريرِ غرفةِ الضيوفِ أنت وديانا؟ أخبرتني ديانا كلَّ القصة. ألهذا تركتُ لك كلَّ هذا المبلغ؟

قالت آن برفقٍ:

- اصممتُ يا دايفي.

ثمَّ تسلَّلتُ إلى الشَّرفة، وتركتُ ماريلا والسيِّدةَ ليند لتعلِّقا على الخبيرِ براحتيها.

قال دايفي في حيرةٍ:

- هل ستفكرُ آن في الزَّواجِ بعد الآن؟ حين تزوجتُ دوركا سلون الصائفةَ الماضية، قالت إنَّها لن تُزعجَ نفسها بالزَّواجِ مِنْ رجلٍ لو كان لديها ما يكفي مِنَ المال.

صاحتُ عليه السيِّدةُ ليند:

- انتبه لما تتفوه به يا دايفي كايت! إن ما تقوله شائنٌ بالنسبة إلى صبيِّ مثلك.



(19)

## فاصلٌ للاستراحة

قالت آن التي تكوّمت فوق سَجّادةِ الموقِدِ، بينما نام القطُّ  
راستي في حجرِها، للعمّة جايمسينا، التي كانت جالسةً في مقعدها  
المُظلل تقرأ:

- اليوم، بلغتُ العشرين من عُمرِي، وصرْتُ أفكّرُ أنّ صبايَ  
راحَ دون رَجعة.

كانتا بمُفردِهما في غُرْفَةِ الجُلوس. فقد غادرتُ كلُّ من ستيلًا  
وبريسيلًا إلى أحدِ اجتماعاتِ اللّجان، وصعدتُ فيل إلى الدّورِ  
العُلويّ تترزّينُ، استعدادًا لإحدى الحفلات.

قالت العمّة جايمسينا:

- أظنُّ الأمرَ مُحزّنًا إلى حدٍّ ما. إنّ سنواتِ المُراهقةِ مرحلةٌ جميلةٌ  
من حياتنا. أنا سعيدةٌ لأنّي لم أعادِها قطّ.

ضحكتُ آن:

- لن تُغادِريها أبدًا يا عُميمة. ستبدين في الثامنة عشرة حين تبُلغين  
المئة. أجل، أنا حزينةٌ ومستاءةٌ أيضًا. قالت لي الأنسة ستايسي  
منذ زمنٍ بعيدٍ إنّ شخصيتي ستتلورُ في سنّ العشرين، نحو

الخَيْرِ أَوْ نَحْوِ الشَّرِّ. أَنَا لَا أَرَاهَا عَلَى تِلْكَ الشَّاكِلَةِ، فَأَنَا مَلِيئَةٌ بِالْعُيُوبِ.

قَالَتْ الْعَمَّةُ جَايْمِسِينَا فِي مَرِحٍ:

- هَذَا حَالُ الْجَمِيعِ. فَشَخِصِيَّتِي مُتَنَاثِرَةٌ فِي مِئَةِ اتِّجَاهٍ. رَبُّمَا عَنَتِ  
الْآنَسَةُ سَتَايْسِي أَنْ شَخِصِيَّتِكَ حِينَ تَبْلُغِينَ الْعِشْرِينَ سَتَسْتَلُكُ  
أَحَدَ الطَّرِيقَيْنِ، وَتَتَشَكَّلُ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ نِهَائِيًّا. لَا تَقْلَقِي  
يَا آنَ! قَوْمِي بِوَأَجَابَتِكَ إِزَاءَ الرَّبِّ، وَجِيرَانِكَ، وَنَفْسِكَ،  
وَاسْتَمْتَعِي بِحَيَاتِكَ! هَذِهِ فِلْسُفَتِي فِي الْحَيَاةِ، وَطَالَمَا أَسْعَفْتَنِي.  
أَيْنَ سَتَذْهَبُ فَيْلُ اللَّيْلَةِ؟

- سَتَذْهَبُ لِلرَّقْصِ، وَقَدْ وَضَعْتُ أَجْمَلَ فُسْتَانٍ لَدَيْهَا. إِنَّهُ فُسْتَانٌ  
مِنَ الْحَرِيرِ الْأَصْفَرِ الْبَاهِتِ الَّذِي تَزَيَّنُهُ شَرَايِطُ الدَّانْتِيلِ. وَهُوَ  
يُلَائِمُ لَوْنَ شَعْرِهَا الْأَسْمَرَ.

- أَلَا يَجْمَعُ شَيْءٌ مِنَ السَّحْرِ كَلِمَتِي حَرِيرٍ وَدَانْتِيلٍ؟ فَمَجْرَدُ  
لَفْظِهَا يَدْفَعُنِي إِلَى الرَّقْصِ. وَكَذَلِكَ عِبَارَةُ الْحَرِيرِ الْأَصْفَرِ  
الَّتِي تُحِيلُنِي إِلَى فُسْتَانٍ مَصْنُوعٍ مِنْ نُورِ الشَّمْسِ. طَالَمَا رَغِبْتُ  
فِي فُسْتَانٍ مِنَ الْحَرِيرِ الْأَصْفَرِ، لَكِنَّ أُمَّي أَوْلَا، وَزَوْجِي ثَانِيًّا  
لَمْ يَعْجِبْهُمَا الْأَمْرُ. أَوَّلُ شَيْءٍ سَأَقُومُ بِهِ حِينَ أَذْهَبُ إِلَى الْجَنَّةِ  
هُوَ الْحَصُولُ عَلَى فُسْتَانٍ حَرِيرِيٍّ أَصْفَرَ.

هَبَطَتْ فَيْلُ السَّلَامِ مِخْتَالَةً وَسَطَ صَحِيحَاتِ آنِ الْمَجْلُجَلَةِ، وَتَأَمَّلَتْ  
نَفْسَهَا فِي الْمِرَاةِ الْبَيْضَاوِيَّةِ الطَّوِيلَةِ، وَقَالَتْ:

- إنَّ إِطْرَاءَ هَذِهِ الْمِرْآةِ يَحْسَنُ مِزَاجِي كَثِيرًا، أَمَّا مِرْآةُ عُرْفِي  
فَتَجْعَلُنِي أَبْدُو خَضْرَاءَ اللَّوْنِ. هَلْ أَبْدُو لَكَ جَمِيلَةً يَا آن؟  
فَسَأَلْتُهَا أَنْ بِنْبِرَةَ إِعْجَابٍ صَادِقٍ:

- أَلَا تَعْلَمِينَ كَمْ أَنْتِ جَمِيلَةٌ يَا فَيْل؟

- طَبَعًا، أَعْلَمُ. لَكِنَّ مَا نَفْعُ الْمِرْآةِ وَالرَّجَالِ إِذْنُ؟ لَيْسَ ذَلِكَ  
مَا عَنَيْتِ. هَلْ تَتَوَرَّيْ مَعْتَدِلَةٌ؟ أَلَيْسَ مِنَ الْأَفْضَلِ أَنْ تَهْبِطَ  
هَذِهِ الْوَرْدَةُ قَلِيلًا؟ يَبْدُو مَكَائِهَا مَرْتَفَعًا جِدًّا. سَتَجْعَلُنِي أَبْدُو  
مَائِلَةً قَلِيلًا. لَكِنِّي أَكْرَهُ الْأَشْيَاءَ الَّتِي تَدْعِدُغُ أُذُنِي.

- كُلُّ شَيْءٍ فِي مَكَانِهِ الْمُنَاسِبِ، وَتِلْكَ الْغَمَازَةُ رَائِعَةٌ أَيْضًا.

- آنَ، هُنَاكَ أَمْرٌ مَا يُعْجِبُنِي فِيكَ. أَنْتِ كَرِيمَةٌ جِدًّا. وَلَا تُبْدِينَ  
ذَرَّةَ حَسَدٍ وَاحِدَةً.

قَالَتِ الْعَمَّةُ جَايَمِسِينَا مَتَعَجِّبَةً:

- لِمَ قَدْ تَحْسَدُكَ؟ فَلَيْسَتْ بِقَدْرِ جَمَالِكَ، رَبِّهَا، لَكِنَّ أَنْفَهَا أَجْمَلُ  
كَثِيرًا.

أَقْرَتْ فَيْلَ:

- أَعْرِفُ ذَلِكَ.

وَقَالَتْ آنَ:

- طَالَمَا كَانَ أَنْفِي مَصْدَرَ رَاحَةٍ كَبِيرَةٍ لِي.

- أَحَبُّ أَيْضًا خُصَلَاتِ شَعْرِكَ الْمُرْسَلَةِ عَلَى جَبِينِكَ يَا آنَ،  
وَتِلْكَ الْخُصَلَةُ الْمُجَعَّدَةُ الَّتِي تَبْدُو دَائِمًا عَلَى وَشِكِ السَّقُوطِ

لكنّها لا تَسْقُطُ أبداً. إنّها جميلة. أمّا أنفي، فإنّه يَحِيرُنِي كثيراً. سيصبحُ مثل أنفِ آلِ بيري حين أبلغُ الأربعين. كيف سأبدو بسنّ الأربعين يا آن؟

داعتها آن قائلةً:

- سيّدة متزوجة، وقوراً، هرمة.

جلستُ فيل تنتظرُ مرافقها، وقالت:

- أبداً! أنت أيّها القطُّ جوزيف، لا تجرؤُ على الوثوبِ إلى حجري. لن أذهبَ للرّقصِ بوبرِ القِطط. لا يا آن، لن أصيرُ وقوراً، لكنني سأتزوّجُ دون شكّ.

- من أليك أو ألونزو؟

- من أحدهما، إذا تمكّنتُ من اتّخاذِ القرار.

قالت العمّةُ جايمسينا موبّخةً:

- لن يكونَ القرارُ صعباً إلى هذا الحدّ!

- وُلدتُ بهذا القدرِ من التردّد، ولن يَمْنَعَنِي شيءٌ من التّأرجحِ يا عمّة.

- يجدرُ بك أن تصبّحي أكثرَ اتزاناً يا فيليبيا.

- أعلم ذلك، لكنه سيحرمني مرّحاً كثيراً. ولو عرفتِ أليك وألونزو، لأدركتِ سببَ صُعبوبةِ اختيارِ أحدهما، فكلاهما رائع.

- اختاري شخصاً يفوقهما روعةً، إذن، طالبُ السنّةِ الثّانيةِ

المُخلصُ ذاك، ويل ليسي. عيناه جميلتان، وواسعتان، ورققتان.  
- إثمها واسعتان أكثر من اللزوم، ورققتان كثيرًا كعينَي بقرَة.  
- وما رأيك بجورج باركر؟  
- لا شيءَ تحديدًا، ما عدا أنه يبدو كثوبٍ منقوعٍ في النّشا  
ومكويّ.

- ومار هولورثي؟ لا يعيبه شيء.  
- لكنه فقيرٌ. عليّ الزّواج من رجلٍ ثريٍّ يا عمّتي جايمسينا.  
الثراءُ والوسامةُ شرطانِ أساسيّان. لو كان جلبرت بلايث  
ثريًّا لتزوَّجتُه.

قالتْ آن بنبرةٍ خبيثةٍ:  
- أتفعلينَ ذلكَ حقًّا؟  
- اوه لا. دعونا لا نتحدّثُ عن الأمورِ المزعجة. سأتزوج يومًا  
مًا، لكنني سأؤجلُ ذلكَ اليومَ البغيضَ قدرَ المُستطاع.  
قالتِ العمّةُ جايمسينا:

- لا تتزوَّجي رجلًا لستِ واقعةً في حبه يا فيل.  
قالتْ فيل متهكّمةً:

- صار الحبُّ الذي تتحدّثين عنه من الأيامِ الغابرة. والآن، ها  
قد قدّمتِ العربيّة، إلى اللّقاء عزيزتيّ.

بعدما انصرفت فيل، ألقّت العمّةُ جايمسينا نظرةً جدّيةً على

آن:

- هذه الفتاة جميلةٌ وطيبةٌ، لكنْ أَلَا تَعْتَقِدِينَ أَنَّهَا مُضْطَّرِبَةٌ قَلِيلًا؟
- لا تقلقي بشأن هذا الأمر! إنه أسلوبُها في الحديثِ فحسب.
- أَمَلْ ذَلِكَ يَا أَنْ. أَمَلْ ذَلِكَ حَقًّا، لِأَنِّي أَحْبَبْتُهَا، لَكِنِّي لَمْ أَقْدِرْ عَلَى فَهْمِهَا، إِنَّهَا تَتَجَاوَزُ إِدْرَاكِي، فَهِيَ لَا تُشْبِهُ كُلَّ الْفَتَيَاتِ اللَّاتِي عَرَفْتُ، وَلَا تُشْبِهُ حَتَّى الْفَتَيَاتِ اللَّاتِي كُنْتُهُنَّ.
- كَمْ فَتَاةً كُنْتِ يَا عَمَّتِي جَايَمَسِينَا؟
- حَوَالِي سِتِّ فَتَيَاتٍ يَا عَزِيزَتِي.

(20)

## جلبرت يَبُوحُ بحبِّه

تثاءبتُ فيل المُتمدِّدَةُ على الأريكةِ في خمُولٍ، وقالتُ:

- مرَّ اليومُ مملاً ورتيباً.

رفعتُ آنَ عينيها عن كتابِ مغامراتِ السيِّدِ بكويك. فقد كانتُ تستمتعُ بمطالعةِ روايةِ تشارلز ديكنز بعد انقضاءِ فترةِ امتحاناتِ الرَّبيعِ.

- مرَّ اليومُ مملاً بالنسبةِ إلينا. لكنَّه كان رائِعاً بالنسبةِ إلى أناسٍ آخرين، وربَّما صارت أثناءه أحداثٌ مهمَّةٌ، فشَهِدَ ولادةَ رجلٍ عظيمٍ، أو كُتِبَتْ فيه قصيدةٌ رائِعةٌ، أو فُطِرَ فيه أحدُ القُلُوبِ، يا فيل.

- لماذا أفسدتِ أفكاركِ الجميلةَ بهذه الجملةِ الأخيرةِ يا عزيزتي؟  
لا أريدُ التَّفكيرِ في القلوبِ المفطورةِ، ولا بأيِّ أمرٍ مُزعجٍ.  
- هل تظنين أن بوسِعِكِ التَّهَرُّبُ من الأشياءِ البغيضةِ حياتكِ كلَّها يا فيل؟

- يا إلهي، أولستُ في خَصَمِّها الآن؟ هل تُعدِّين أليكَ وألوزو أموراً سارَّةً؟ إنَّها يُسمَّانِ حياتي.

- لا تأخذين الأمورَ على محملِ الجِدِّ أبداً، يا فيل.

- لم يجدرُ بي ذلك؟ هناكِ مِنَ النَّاسِ كثيرونِ يقومونِ بذلكِ.

يحتاجُ العالمُ إلى أشخاصٍ على شاكِلتي يا آن. سيكونُ العالمُ مروَّعاً لو كان الجميعُ فيه مُفكِّرينِ جدِّين. إنَّ مهمَّتي في هذه الحياةِ، كما يقولُ جوزيا آلن، أنْ أفتِنَ وأُغري. اعترَفَ في الآن! ألمِ تصرِ الحياةُ في «بيتِ باتي» أكثرَ إشراقاً هذا الشَّتاءَ، بعد أن أتيتُ لأضفيَ عليكنَّ شيئاً مِنَ الحيويَّةِ؟

- نعم، بالتَّأكيدِ.

- كلِّكنَّ تُحِبِّبِني، حتَّى العمَّةُ جايمسِنا التي تظنُّني مَحْبُولَةً

تماماً. لماذا عليَّ أنْ أبَدُوَ مختلفَةً إذن؟ اوه يا عزيزتي!، غلبتني النَّعاسُ. سهرتُ حتَّى الواحدة صباحاً ليلةَ أمسٍ وانهمكتُ في مُطالعةِ روايةٍ مُحيفةٍ عن الأشباح. قرأتها في سريري، أو تعتقدين أنَّي حين أتممتها كنتِ قادرةً على النهوضِ من مكاني وإطفاءِ النُّور؟ كلاً، ولو لم تأتِ ستيلا، لحسنِ الحظِّ، لاحترقَ الفانوسُ حتَّى الصُّباح. فحين سمعتها، ناديتها، وشرحتُ لها الأمرَ، فأطفأتِ المِصباحَ. كنتُ واثقةً من أنَّي لو نهضتُ لإطفائه، لقبضُ شيءٍ ما على قدمي عند عودتي إلى الفراشِ. بالمناسبة، هل قرَّرتِ السيِّدةُ جايمسِنا ما الذي ستفعله هذا الصَّيفُ؟

- نعم، ستبقى هنا. أعرفُ أنَّها تفعلُ ذلك من أجلِ القِططِ،

رغم أنَّها تبغضُ فتحَ بيتها للزَّوار.



- ماذا تقرئين؟

- بكويك.

- طالما جعلني هذا الكتابُ أشعرُ بالجُوع. ثمة حديثٌ كثيرٌ عن الطَّعامِ بين طَيَّاتِهِ. تبدو شخصيَّاتُهُ مستمتعةً باللَّحْمِ المقدَّدِ، والبيضِ، ومخفوقِ اللَّبنِ. كنتُ، دائماً، أنبُشُ خزانةَ المطبخِ بحثاً عن الطَّعامِ، إثر قراءتِهِ. يجعلني التَّفكيرُ في الطَّعامِ أتصوِّرُ جوعاً. هل من شيءٍ يُؤكَلُ يا آن؟

- صنعتُ كعكةَ ليمونٍ هذا الصِّباحِ. يمكنكُ تناولَ قطعةٍ منها.

اندفعتُ فيلٍ إلى خزانةِ المؤونةِ، وذهبتُ آن إلى البستانِ برفقةِ راستي.

تضوَّعتُ، في هذه اللَّيلةِ، روائحَ الرَّبيعِ الجَدِيدِ. لم يَخْتَفِ الثَّلْجُ تماماً مِنَ المُنْتزهِ، فقد قَبَعَتْ كومةٌ قَدْرَةٌ منه، تحتَ أشجارِ الصَّنوبرِ، على الطَّرِيقِ المؤدِّيَةِ إلى الميناءِ، متخفيةً عَن أشعةِ شمسِ أبريلِ. فصار الطَّرِيقُ موحِلاً، وهواءُ المساءِ بارِداً. لكنَّ العُشبَ نَما نضراً، واكتشف جَلبرتُ شيئاً مِنَ أزهارِ القُطْبِ في ركنٍ منزوٍ، فجلبَ بعضاً منها.

اقتعدتُ آن صخرةً رماديةً بين الكُرومِ، وشيَّدتُ في خيالها قَصراً مُدهِشاً، تُنيرُ الشَّمْسُ ساحاتِهِ، وتعبقُ قاعاتُهُ الفخمةُ بعبيرِ عربيٍّ زكيٍّ، ورأتُ نفسَها سيِّدةَ القَصْرِ ومليكتَهُ. قطَّبتُ حاجبيها حينَ رأتُ جَلبرتَ مُقبِلاً عَبرَ البُستانِ، فقد تدبَّرتُ ليلةَ البارحةِ

أمرها كي لا تبقى صُحبةً جلبرت بمفردِها، لكنّه فاجأها هذا اليومَ وحدها، بعد أن رحلَ راستي.

جلسَ جلبرت حدّوها، وناولها باقةَ الزهور.

- ألا تُذكركِ هذه الزهورُ بمدينتنا، ونزهاتنا المدرسيّة القديمة يا آن؟

تناولتها آن، ودفنت وجهها فيها، وقالت مبتهجةً:

- أشعرُ أنّي وَسَطَ حقلِ السيّد سيلاس سلون في هذه اللّحظة.

- ستكونين هناك فعلاً بعد بضعة أيام.

- لا، بعد أسبوعين. سأزورُ فيل في «بولينغ بروك» قبل عودتي إلى البيت. ستعودُ إلى «آفونلي» قبلي.

- لا، لن أعودَ إلى «آفونلي» هذه الصّائفة. عرّضَ عليّ عملٌ في مكتبِ صحيفةٍ «أخبار اليوم»، وسوف أقبله.

تساءلتُ آن كيف سيُمرُّ الصّيفُ في «آفونلي» دون جلبرت. لم يُعجبها الأمرُ، وقالت في بُرودٍ:

- حسنًا، إنّه أمرٌ جيّدٌ بالنسبةِ إليك.

- أملتُ طويلاً في الحصولِ على هذا العملِ. سأستعينُ به على السنّةِ القادمة.

قالتُ آن دون اقتناع:

- يجب ألا تكُدّ كثيرًا في العملِ.

تمنّت لو أقبلتُ فيل في تلك اللّحظة.

- عملت بجدّ كامل الشتاء. أليس هذا المساء رائعا؟ أتعلم،  
اليوم عثرتُ على مجموعةٍ من البنفسج الأبيض تحت إحدى  
الأشجار العتيقة. فشعرتُ أنّي اكتشفتُ منجم ذهب.

قال جلبرت في سُرود:

- طالما عثرتُ على مناجم الذهب.

- هيّا بنا نبحثُ عن أزهارٍ أخرى. سأدعو فيل و...

قال جلبرت مُقاطعا كلامها:

- دعك من فيل وزهور البنفسج الآن.

وأمسك بيدها، فلم تستطع تحريرها من قبضته.

- أريدُ إخبارك بأمرٍ ما.

فصاحتُ آن بتوسّل:

- اوه!، لا تقله! لا، أرجوك يا جلبرت!

- أنا مُضطرٌّ إلى ذلك. لكن أصبر أكثر. آن، أحبُّك. تعلّمين أنّي

أحبُّك. لا... لا تعلّمين مدى حبي. هل تعدّينني بالزواج

مني يوماً ما؟

قالتُ آن في حُزنٍ:

- لا... لا أستطيع! اوه، جلبرت... لقد أفسدت كلَّ شيء!

سألها جلبرت بعد صمتٍ مُرَوِّعٍ لم تجرؤ أن خلاله على رفع

بصرها نحوه:

- ألا تهتمّين بأمرّي على الإطلاق؟

- لا، لَيْسَ عَلَى هَذَا النَّحْوِ. أَهْتَمُّ بِكَ كَثِيرًا كَصَدِيقٍ. لَكِنِّي لَسْتُ وَاقِعَةً فِي حُبِّكَ يَا جَلْبِرت.

- أَلَا تَمْنَحِينِنِي بَعْضَ الْأَمَلِ؟

- لا، لَا أَسْتَطِيعُ! لَنْ أَمْتَكِّنَ مِنْ حُبِّكَ عَلَى هَذَا النَّحْوِ. لَا تُخْبِرْنِي بِالْأَمْرِ مُجَدِّدًا!

رَانَ الصَّمْتُ مُجَدِّدًا، طَوِيلًا وَمَرَعَبًا، حَتَّى انْتَهَتْ أَنْ إِلَى رَفْعِ عَيْنَيْهَا. كَانَتْ سَحْنَةً جَلْبِرت بِيَضَاءٍ تَمَامًا، وَعَيْنَاهُ أَيْضًا. لَكِنَّ أَنْ أَشَاحَتْ بِوَجْهِهَا عَنْهُ بَعِيدًا. لَمْ يَكُنِ الْمَوْقِفُ شَاعِرِيًّا. هَلْ كُلُّ عُرُوضِ الزَّوْاجِ مُقْرَفَةٌ أَوْ فِطْيَعَةٌ؟ هَلْ يُمْكِنُهَا نَسْيَانُ مَلَامِحِ جَلْبِرت هَذِهِ؟

سَأَلَهَا بِصَوْتٍ خَافِتٍ:

- هَلْ لَدَيْكَ شَخْصٌ آخَرُ؟

قَالَتْ أَنْ فِي لَهْفَةٍ:

- لَا... لَا. لَا أَهْتَمُّ لِأَمْرِ أَحَدٍ عَلَى هَذِهِ الشَّاكَلَةِ. أَنْتَ تُعْجِبْنِي أَكْثَرَ مِنْ أَيِّ شَخْصٍ آخَرَ فِي هَذَا الْعَالَمِ يَا جَلْبِرت. وَيَجْدُرُ بِنَا... يَجْدُرُ بِنَا أَنْ نَبْقَى أَصْدِقَاءَ.

ضَحِكَ جَلْبِرت بِمَرَارَةٍ:

- أَصْدِقَاءُ! لَنْ أَكْتَفِيَ بِصِدَاقَتِكَ يَا أَنْ. أَرْغَبُ فِي حُبِّكَ، وَأَنْتَ تُخْبِرِينِنِي أَنَّكَ لَا تَسْتَطِيعِينَ.

- آسَفَةٌ. اغْفِرْ لِي يَا جَلْبِرت!

كَانَ ذَلِكَ كُلُّ مَا قَدَرْتُ أَنْ عَلَى قَوْلِهِ. أَيْنَ رَاحَتِ الْعِبَارَاتُ  
الْمُنْمَقَةُ الَّتِي رَفَضْتُ بِهَا مُرِيدِيهَا، طَوِيلًا، فِي خَيَالِهَا؟  
تَرَكَ جَلَبْتَ يَدَهَا فِي رَفِيٍّ:

- لَا شَيْءَ يَدْفَعُكَ إِلَى الْإِعْتِذَارِ. لَقَدْ تَصَوَّرْتُ، طَوِيلًا، أَنَّكَ  
تَهْتَمُّ بِأَمْرِي، لَكِنِّي كُنْتُ أَخْدَعُ نَفْسِي، ذَلِكَ كُلُّ مَا فِي  
الْأَمْرِ. الْوَدَاعُ يَا أَنْ.

عَادْتُ أَنْ إِلَى غُرْفَتِهَا، جَلَسْتُ عَلَى حَافَّةِ نَافِذَتِهَا الْمُطَلَّةِ عَلَى  
أَشْجَارِ الصَّنُوبِرِ، وَرَاحْتُ تَتَحَبَّبُ فِي مَرَاةٍ. شَعُرْتُ أَنَّ شَيْئًا نَفِيسًا  
ضَاعَ مِنْهَا، وَكَانَ ذَلِكَ الشَّيْءُ صَدَاقَةُ جَلَبْتَ. لِمَاذَا كَانَ عَلَيْهَا  
خَسَارَةٌ صَدَاقَتِهِ بِهَذَا الشَّكْلِ؟

سَأَلْتُهَا فِيلَ:

- مَا الْخَطْبُ يَا عَزِيزَتِي؟

لَمْ تَرُدِّي أَنْ. تَمَنَّتْ، فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ، لَوْ كَانَتْ فِيلَ بَعِيدَةً آلَافَ  
الْأَمْيَالِ.

- أَظَنَّكَ رَفَضْتَ جَلَبْتَ بِلَايْثِ. أَنْتِ غَيْبَةٌ أَنْ شِيرَلِي.

- هَلْ رَفَضِي الزَّوْجَ مِنْ رَجُلٍ لَا أَحِبُّهُ غَبَاءً؟

- لَنْ تَتَعَرَّفِي بِالْحُبِّ حِينَ تَرِينَهُ. فَقَدْ تَخَيَّلْتِ شَيْئًا دَعَوْتَهُ حُبًّا،  
وَتَتَوَقَّعِينَ أَنْ يَبْدُوَ الْحُبُّ الْحَقِيقِيُّ مِثْلَهُ. انظُرِي!، إِنَّهُ أَوَّلُ  
مَوْقِفٍ مَسْئُولٍ أَتَّخِذُهُ فِي حَيَاتِي. كَيْفَ فَعَلْتَ ذَلِكَ؟

قَالَتْ أَنْ مُتَوَسَّلَةً:

- فيل، ارحلي أرجوك، واتركيني بمفردِي بعض الوقت! لقد  
تحطّم عالمي، وأريدُ أن ألمّ شتاتَه.

- دون جلبرت؟

«عالم ليس فيه جلبرت!»، كررتُ آن العبارةَ في كآبةٍ، ألنّ يُصبح  
مكانًا خاليًا موغلاً في الوحدة؟  
حسنًا، إنه خطأ جلبرت، لقد أفسدَ صداقتَها الجميلةَ، وعليها  
أن تتعلّم كيف تعيشُ من دونها.

(21)

## ورود من الماضي

قضت أن أسبوعين رائعين في «بولينغ بروك»، كانت سحابةً عابرةً من الألم تتخللها كلما فكرت بجلبرت، إذ لم يتخ لها وقت كثير للتفكير به. فقد كانت «ماونت هولي»، مزرعة آل جوردون العتيقة، مكانًا بهيجًا، يعج بأصدقاء فيل من الجنسين. وحرصت فيل على تنظيم نزهاة، وجولات، وحفلات صاخبة ومُتَالِيَة، لزم خلالها كل من أليك وألونزو اللذين نصحًا رُجولةً ولطفًا جوار فيل، حتى تساءلت أن إذا ما كان يشغلها شيء آخر في حياتها غير الرقص معها، رغم أنها لم تُقرّر بعد من منها أكثر لطفًا.

عابتها فيل قائلةً:

- اعتمدت عليك لتساعدني على اتخاذ قرارٍ بوعد أحدهما  
بالزواج.

ردت أن بتهمكم:

- عليك القيام بذلك بمفردك، فانت خبيرة حين يتعلق الأمر  
بالآخرين.

- اوه، الأمرُ مختلفٌ تمامًا!

لكنَّ أهمَّ حدثٍ حصلَ خلالَ إقامةِ آن ببولينغ بروك كان زيارتها لمسقطِ رأسها، ذلك البيتِ الرَّثِّ، أصفرَ اللون، القابعِ بأحدِ الأزقة، والذي طالما حلَّمتُ به. رنَّت إليه بمُنتهى الغبطة، وهي تقفُ صُحبةَ فيلٍ عندَ بوابته، وقالتُ:

- إنه، تمامًا، كما تصوَّرتُه. لا تُوجدُ ورودٌ فوقَ نوافذه، وإنما شجرةٌ، قُربَ البوابةِ، أوراقها بلونِ النِيلِجِ البنفسجيِّ، نعم، وتُغطِّي ستائرُ من القطنِ الموصليِّ نوافذه. أنا سعيدةٌ جدًّا لاحتفاظه بلونِ طلائه الأَصفرِ.

فَتَحَتِ البابَ سَيِّدَةً طَوِيلَةً وَنَحِيفَةً جَدًّا، وَقَالَتْ رَدًّا عَلَى سُؤَالِ

آن:

- أَجَل، كان آل شيرلي يعيشون هنا مُنذَ عشرين سنةٍ خَلَّتْ، ثُمَّ تَمَّ استتجارُ البيتِ. أَذْكَرُهُمَا جَيِّدًا. ماتَ كِلَاهُمَا بِالْحُمَّى فِي نَفْسِ الْوَقْتِ. كم كان الأمرُ مُحْزِنًا! وَتَرَكَ رَضِيعًا. أَظُنُّهُ مَيِّتًا مُنذَ زَمَنِ طَوِيلٍ، فَقَدْ كَانَ مَرِيضًا حِينَ أَخَذَهُ الْعَجُوزُ توماسَ وَزَوْجَتَهُ، وَكَانَتْهُمَا لَمْ يَكْتَفِيَا بِأَبْنَائِهِمَا.

قَالَتْ آن بِاسِمَةٍ:

- لَمْ يَمِتْ. أَنَا ذَلِكَ الرَّضِيعُ.

- يَا إلهي!، لَقَدْ كَبُرَتْ. اقْتَرَبِي لِأَرَى عَنْ كَثْبٍ لِمَنْ تُشْبِهِينَ! لِكِ بَشْرَةٍ أُبِيكِ. كان لهُ شعْرٌ أَحْمَرٌ. لَكِنَّكَ وَرِثْتَ عَيْنِي أَمَّكَ



وثغرها. كانت سيّدة جميلة. دُفِنَا معًا في قبرٍ واحدٍ، ووضعت إدارة المدرسة شاهدةً على قبرهما تكريمًا لخدمتهما المخلصة. هلا تفضّلت بالدُّخول؟

سألتها أن في لهفة:

- هل تسمحين لي بجولةٍ في أرجاء البيت؟

- طبعًا، إذا شئت. لن يستغرق الأمر طويلاً، فالبيت صغير. طالما طلبت من زوجي تشييد مطبخ جديد، لكنه كسولٌ جدًا. هنا الصّالون، وبالأعلى هناك غرفتان. طوفيه بمفردك، إذ عليّ الاعتناء بالرّضيع. الغرفة الشّرقية هي الغرفة حيث وُلدت. أذكرُ أنّي سمعتُ أمك تقول إنّها أحبّت كثيرًا رؤية الشمس وهي تُشرق، وسمعتُ أنك وُلدت لحظة شروق الشمس تمامًا، فكان نورها السّاقط على وجهك أوّل شيء رآته أمك.

صعدتُ آن السّلام الضّيقة، وولجتُ الغرفة الشّرقية في شوقٍ كبير. صارت الغرفة مكانًا مقدّسًا. فهنا حلّمتُ أمها أحلام الأمومة السعيدة، وهنا سقط شعاعُ الشمس الأحمر على وجهيها ساعة الولادة المقدّسة، وهنا قضتُ أمها نحبّها. أجالتُ آن عينيها الدّامعتين في الغرفة، بكلّ وقار. كانت لحظة من لحظات الحياة الثمينة التي تُشعّ في الذاكرة إلى الأبد.

همستُ آن:

- تصوّري!، كانت أمي أصغر مني سنًا حين وضعتني.

حِينَ هَبَطْتُ أَنْ إِلَى الدَّوْرِ الأَرْضِيِّ، التَّقَتِ السَّيِّدَةَ فِي الرَّدْهَةِ،  
فَنَاولَتْهَا عُلْبَةً مَرْبُوطَةً بِشَرِيطٍ أَزْرَقٍ بَاهِتٍ، يَكْسُوهَا الغُبَارُ.

- هَذِهِ رِزْمَةٌ مِنَ الرِّسَائِلِ القَدِيمَةِ، عَثَرْتُ عَلَيْهَا فِي خِزَانَةِ الدَّوْرِ  
العُلُويِّ، حِينَ قَطَنْتُ هُنَا. لَا أَعْرِفُ مَا هِيَ، فَلَمْ أَتَحَقَّقْ مِمَّا  
بَدَاخِلِهَا أَوَّلًا، لَكِنَّ العُنْوَانَ أَعْلَاهَا يُحْمَلُ اسْمَ الأَنْسَةِ بِيْرثَا  
وَيَلِيسُ، وَوَيَلِيسُ هُوَ لِقَبِّ أُمَّكِ قَبْلَ الزَّوْاجِ. خُذِيهَا إِذَا  
شِئْتَ!

تَنَاولْتُ أَنْ العُلْبَةَ مُبْتَهَجَةً، وَصَاحَتْ:

- أَوْه، شُكْرًا، شُكْرًا.

- هَذَا كُلُّ مَا وَجَدْتُ فِي البَيْتِ. فَقَدْ بَيَعَ الأَثَاثُ لِتَغْطِيَةِ أَتْعَابِ  
الطَّيِّبِ، وَأَخَذَتِ السَّيِّدَةُ تُوْمَاسَ ثِيَابَ أُمَّكِ وَبَعْضَ الأَشْيَاءِ  
الصَّغِيرَةِ.

- لَمْ يَكُنْ عِنْدِي شَيْءٌ مِنْ أُمَّيْ، لِذَلِكَ لَا أَجِدُ كَلِمَاتٍ كَافِيَةً  
لشُكْرِكَ.

- عَلَى الرَّحْبِ وَالسَّعَةِ. لَكِنَّكَ تَمْلِكِينَ عَيْنِي أُمَّكِ. وَقَدْ كَانَ  
بِوَسْعِهَا الكَلَامُ بِوَأَسْطِطِئِهَا. كَانَ وَالدُّكُ أَكْثَرَ بَسَاطَةً، لَكِنَّهُ  
كَانَ لَطِيفًا جَدًّا. أَذْكَرُ أَنِّي سَمِعْتُ بَعْضَ النَّاسِ يَقُولُونَ إِنَّهُمَا  
تَزَوَّجَا بَعْدَ قِصَّةِ حُبِّ كَبِيرٍ. يَا لِلْمَسْكِينِينَ! لَمْ يَعِيشَا طَوِيلًا،  
لَكِنَّهُمَا عَاشَا حَيَاةً سَعِيدَةً، وَهَذَا الأَهَمُّ.

تَاقَتْ أَنْ إِلَى العُودَةِ إِلَى غُرْفَتِهَا لِتَقْرَأَ رِسَائِلَهَا الثَّمِينَةَ، لَكِنَّهَا

ذهبت قبل ذلك بمفردها إلى رُكنٍ أخضرٍ في مقبرة «بولينغ بروك» العتيقة حيث يرقُدُ والداها، ووضعت على قبرِهما باقةً من الأزهارِ البيضاء، ثم عادت مُسرعةً إلى «ماونت هولي»، حيث اعتكفت في غرفتها، وقرأت الرسائل التي تبادلها والداها. لم يكن ثمة الكثير منها، فهي ستُّ رسائل على أقصى تقدير، لأن والتر وبيرتا شيرلي لم يفرقا كثيرًا طيلة فترة خطوبتهما.

بهتت الرسائل، واصفرت، وتركَ عليها مرورُ الزمنِ أثره، وخلت الصفحاتُ المُجمَّعة من العمق والحكمة، لكنها احتضنت بضعة سُطورٍ من تعابير الحبِّ والإخلاص. كان بها شيءٌ من عذوبة الأشياءِ المنسيّة، وشيءٌ من رقة العاشقين اللذين قضيا نحبَّيهما منذ زمنٍ بعيد. أظهرت بيرتا شيرلي موهبةً في كتابة رسائل مُجسِّدُ رُوحِ الكاتب، وتجلّى ذلك في الكلمات والأفكار التي لم تفقد جمالها وعطرها رغم مرور الزمن. كانت جميعُ الرسائل رقيقةً وحميميّة، غير أن أشدها عذوبةً بالنسبة إلى آن، كانت تلك التي كتبتها والديها إبان ولادتها، إلى أبيها الذي تغيبَ فترةً قصيرة. كانت الرسالةُ روايةً أمّ شابةٍ فخورةً بابتها الرضيعة، بذكائها، وإشراقها، وعذوبتها.

كتبت بيرتا شيرلي:

«لشدّ ما أحبُّها حين تكون نائمةً، وأحبُّها أكثر حين تُفيق.»  
ورُبَّما كانت هذه الجملةُ آخر ما كتبت، فلم تتأخّر نهايتها بعدها.  
قالت آن لفيل تلك اللَّيلة:

- إِنَّهُ أَسْعَدُ يَوْمٍ فِي حَيَاتِي. عَثَرْتُ عَلَى أُمِّي وَأَبِي، وَجَعَلْتُ هَذِهِ  
الرِّسَائِلُ وَجُودَهُمَا حَقِيقَةً فِي نَظْرِي. لَمْ أَعُدْ يَتِيمَةً بَعْدَ الْيَوْمِ،  
كَأَنِّي فَتَحْتُ كِتَابًا فَوَجَدْتُ بَيْنَ طَيَّاتِهِ وَرُودًا عَذْبَةً مُحِبَّةً مِنْ  
الْمَاضِي.

## الربيعُ وعودةُ آن إلى «غرين غايبلز»

حرَّكَتْ رِيحُ الْمَسَاءِ الرَّبِيعِيِّ الَّتِي تَسَلَّلَتْ بَارِدَةً مِنَ النَّافِذَةِ الشَّرْقِيَّةِ الْمَفْتُوحَةِ نَارَ الْمِدْفَاءِ، فَتَرَاقَصَتْ ظِلَالُهَا فَوْقَ جُدْرَانِ الْمَطْبَخِ فِي «غرين غايبلز». جَلَسْتُ مَارِيلا قُرْبَ الْمِدْفَاءِ، لَكِنَّ ذَهْنَهَا سَافَرَ عِبْرَ الزَّمَنِ إِلَى الْمَاضِي، وَبَقِيَتْ عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ أَكْثَرَ مِنْ سَاعَةٍ، حَتَّى انْتَبَهَتْ لِأَنَّهَا كَانَ يَجْدُرُ بِهَا حَيَاكَةُ كَنْزَاتِ اللَّتْوَامِ، وَأَسْرَتْ إِلَى نَفْسِهَا:

- أَظُنِّي تَقَدَّمْتُ كَثِيرًا فِي السَّنِّ.

لَمْ تَتَغَيَّرْ مَارِيلا كَثِيرًا طِيلَةَ السَّنَوَاتِ التَّسْعِ الْمَاضِيَةِ، إِلَّا أَنَّهَا زِدَادَتْ نَحَافَةً، وَغَزَا الشَّيْبُ خُصَلَاتِ شَعْرِهَا الْمَشْدُودَةَ إِلَى الْأَعْلَى، كَعَادَتِهَا، بِزَوْجٍ مِنَ الدَّبَابِيْسِ. هَلْ هِيَ نَفْسُ دَبَابِيْسِ شَعْرِهَا الْقَدِيمَةِ يَا تَرَى؟ صَارَتْ قَسَمَاتُهَا مُخْتَلِفَةً، فَازْدَادَتْ عَيْنَاهَا لُطْفًا، وَابْتَسَامَتُهَا رِقَّةً، وَأَوْحَى ذَلِكَ الشَّيْءُ قُرْبَ ثَغْرِهَا بِتَطَوُّرٍ حَسِّنِ الْفُكَاهَةِ لَدَيْهَا.

فَكَرَّتْ مَارِيلا فِي حَيَاتِهَا الْمَاضِيَةِ، وَطُفُولَتِهَا السَّعِيدَةِ رَغْمَ مِصَاعِبِهَا، وَأَحْلَامِ الصَّبَا السَّرِّيَةِ، وَآمَالِهَا الضَّائِعَةِ، وَكُلِّ سَنَوَاتِ الْكُهُولَةِ الطَّوِيلَةِ الْمَمْلَةِ وَالْكَئِيبَةِ الَّتِي تَلَتْ قَدُومَ آن، تِلْكَ الطِّفْلَةِ الزَّاهِيَةِ الْمُتَوَثِّبَةِ، الَّتِي مَنَحَتْ الْحَيَاةَ دِفْنًا وَأَلْوَانًا بَرَّاقَةً، بِقَلْبِهَا الْمَمْلُوءِ

حُبًّا، وعالمها الخيالي، حتى تفتحت حياة ماريلا المقفرة كما تفتتح  
الورود. شعرت ماريلا ذات الستين سنة أنها لم تعيش غير السنوات  
التسع التي تلت قدوم آن التي سيحلُّ ركبها غداً مساءً.

فُتِحَ بابُ المطبخ، فرفعت ماريلا بصرها مُتوقِّعةً رؤيةَ السيِّدة  
ليند، لكنها ألفت آن واقفةً قُبالتها، وقد ازدادت طولاً، والتمعت  
عينها كالنجوم، وأمسكت بيدها باقةً من زهور البنفسج والزعرور  
البرِّي. صاحت ماريلا:

- آن شيرلي!

تغلَّبت المفاجأة، لأوَّل مرَّةٍ في حياتها، على تحفظها، فأحاطت  
ابنتها بذراعَيْها، وضمتها وزهورها إلى صدرها، ولثمت شعرها  
الوضاء، ووجهها العذب، بحرارة.

- لم أتوقَّعُ قدومك قبل مساء الغد. كيف تنقلت من «كارمودي»  
إلى هنا؟

- سيراً على الأقدام يا عزيزتي ماريلا. ألم أحطِّم الرِّقْمَ القِياسيَّ  
في السَّيرِ أيامَ مدرسة «كوينز»؟ سيَجلبُ ساعي البريدِ حقيبتَي  
غداً. غلبني الحينُ فجأةً، فقررتُ القدومَ قبلَ موْعدي بيوم.  
استمتعتُ بالسَّيرِ في العَسقِ، وقطفْتُ أزهارَ الزَّعرورِ من  
الأرضِ الجرداءِ، ثمَّ سرتُ في وادي البنفسج. إنَّه يشبهُ  
مزهريَّةً مملوءةً بنفسجاً. سُمِّيَ عبقها يا ماريلا!

شمَّتْها ماريلا، لكنَّ اهتمامها بأن كان كلُّ ما يشغلُّها.

- اجلسي يا طفلي! لا بد أنك مُتعبة. سأجهزُ لكِ العشاء.  
- القمرُ جميلٌ خلفَ التلالِ، هذه الليلة، يا ماريلا. لو رأيتِ كيفَ  
استقبلتني الضفادعُ بنشيدِها. كم أحبُّ أنغامَ الضفادعِ! إنَّها  
تُحيي في ذهني أسعدَ ذكرياتِ أماسي الربيع، وتذكُرني بليلتِي  
الأولى هنا. هل تذكُرنيها يا ماريلا؟

- طبعًا، لن أنساها أبدًا.

- دأبتِ الضفادعُ على الغناءِ في البركةِ وفي الجدولِ بجنونٍ  
تلك السنة. كنتُ أقفُ عند نافذتي، وأنصتُ إليها في العتمة،  
وأتساءلُ عما يجعلُها سعيدةً وحزينةً في آنٍ واحد. ما أحلى  
العودةَ إلى البيتِ! مرّت أيامي بريموند ممتازةً، وإقامتي في  
«بولينغ بروك» بهيجةً، لكنَّ «غرين غايلز» هي بيتي الحقيقيّ.  
- سمعتُ أنّ جلمبرت لن يعودَ هذه الصائفة.

- لا.

جعلَ شيءٌ ما في نبرةِ آن ماريلا تنظرُ إليها نظرةً حادةً، فحاولتُ  
أن التملّصَ منها بوضعِ زهورِ البنفسجِ في مزهريّة.

- رأيتِ! أليست جميلةً؟ العامُ مثلُ كتابٍ، أليس كذلك؟ تكتبُ  
زهورُ البنفسجِ صفحاتِ الربيع، وتخبّرُ الورودُ صفحاتِ  
الصيفِ، وتختصُّ أوراقُ القيقبِ الحمراءً بالخريفِ، أمّا  
الشتاءُ، فتخطُّ صفحاته إبرُ أشجارِ الصنوبرِ.

لكنّ ماريلا أصرّت قائلةً:

- أَلَمْ يَجْتَزْ جَلْبَرْتَ امْتِحَانَاتِهِ بِنَجَاحٍ؟

- كَانَ مُتَمَيِّزًا، وَحَلَّ الْأَوَّلَ عَلَى صَفِّهِ. أَيْنَ رَاحَ التَّوَامَانِ وَالسَّيِّدَةُ لِيُنْدُ؟

- ذَهَبْتُ رَايْتِشَلْ وَدَوْرًا إِلَى بَيْتِ السَّيِّدِ هَارِيْسُونِ. وَدَايْفِي بَيْتِ بُولْتَرِ. إِنِّي أَسْمَعُ وَقَعَ أَقْدَامِهِ الْآنَ.

لَمَحَ دَايْفِي أَنْ، ائْدَفَعَ نَحْوَهَا، تَوَقَّفَ هُنَيْهَةً، ثُمَّ ارْتَمَى عَلَيْهَا مُطْلَقًا صَيْحَةً فَارَحَ.

- اَوْه، أَنْ، سَعِدْتُ بِرُؤْيَيْكَ! أَخْبِرْنِي!، أَلَمْ يَزِدْ طَوِيلِي بُوصْتَيْنِ مِنْذَ الْخَرِيفِ الْمَاضِي؟ أَخَذَتِ السَّيِّدَةُ لِيُنْدَ مَقَاسِي الْيَوْمِ، ثُمَّ، ائْنْظُرِي يَا أَنْ!، رَاحَ سِنِّي الْأَمَامِي. رَبَطَتِ السَّيِّدَةُ لِيُنْدَ طَرْفَ خَيْطٍ بِهِ، وَالطَّرْفَ الْآخَرَ بِالْبَابِ، ثُمَّ أَغْلَقَتْهُ. بَعْتُ سِنِّي الْمَقْلُوعَ لِمَيْلَتِي لِقَاءِ زَوْجِ سِنْتَاتِ. فَهُوَ يَهْوِي جَمْعَ الْأَسْنَانِ.

سَأَلْتَهُ مَارِيْلَا:

- لَمْ يَحْتَاجُ إِلَى جَمْعِ الْأَسْنَانِ؟

تَسَلَّقَ دَايْفِي حَجَرَ أَنْ:

- لَصُنْعِ قِلَادَةِ زَعِيمِ الْهُنُودِ الْحُمْرِ.

قَالَتْ مَارِيْلَا بِنَبْرَةٍ حَازِمَةٍ:

- هَلْ تَصَرَّفْتَ بِكِيَّاسَةٍ فِي بَيْتِ السَّيِّدَةِ بُولْتَرِ؟

- أَجَلْ، لَكِنِّي مَلَلْتُ دَوْرَ الصَّبِيِّ الْمُهَذَّبِ.

قَالَتْ أَنْ:



- ستملُّ دورَ الطفلِ الشَّريرِ عمَّا قَريب.

- سيكونُ الأمرُ رائِعًا لو طال. سأعتذرُ بِكُلِّ بَساطَةٍ بعد ذلك.

- لا يمحوُ الاعتذارُ عاقِبَةَ السُّوءِ. ألا تذكُرُ حينَ هَرَبتَ مِن

مَوْعِظَةِ الأَحدِ الصَّيفِ الماضي؟ أخبرتني حينها أن لا طائل

مِن وراءِ الشَّرِّ. ماذا فعلتَ أنتَ وميلتي اليوم؟

- ذهبنا للصَّيدِ، وطارَدنا القِطَّةَ، وبحثنا عَن البِيضِ، وصرخنا

في انتظارِ الصَّدى. يوجدُ صدى هائلٌ في الأَكَمَةِ خَلْفَ

حَظِيرَةِ آلِ بولتر. ما هو الصَّدى يا آن؟ أريدُ أن أعْرِف.

- هُو حورِيَّةٌ جَميلةٌ تعيشُ بَعيدًا، في الغابِ، وتَسخرُ مِنَ النَّاسِ

خَلْفَ التَّلَالِ.

- كيف تَبْدو؟

- داكنةُ الشَّعرِ والعينين، لكنَّ رقبَتها وساعِدَيها بيضاوان

كالثلجِ. لمَ يَتمكَّنُ مخلوقٌ مِن رُؤيةِ جمالها عَن كَثَب. فهي أسرعُ

مِن الأيْلِ، ولا نعرفُ عنها سِوى صوتِها السَّاخرِ. بوسِعِكَ

سماعُها تُنادي ليلاً، ويُمكنكُ سماعُها تُفهقه في ضوءِ النُّجُومِ،

لكنَّك لن تَراها قَطَّ. وإذا حاولتَ تَتَبِعُ خُطَاها، فستَطيَرُ بَعيدًا

عَنكَ، وستَسخرُ مِنكَ وراءَ التَّلَّةِ المُواليَةِ.

- هل الأمرُ حَقيقيٌّ يا آن؟ أليستَ كِذبةً هائلةً؟

- دايَفي، ألا تَميُزُ بَينَ القِصصِ الخياليَّةِ وبَينَ الأَباطيلِ؟

- إذن، ما هو الشَّيْءُ الَّذي يُرَدُّ بوقاحَةٍ مِن أعماقِ أَكَمَةِ آلِ بولتر؟

- حين تكبر، سأشرح لك الأمر كله.

مثلت قضية السن منعرجا في أفكار دايفي، وهمس بعد لحظات تأمل:

- آن، سوف أتزوج.

سألته آن بجديّة:

- متى ذلك؟

- اوه!، حتى أصير راشدا، طبعًا.

- من هي سعيدة الحظ؟

- ستيليا فلتشر، رفيقتي في المدرسة. إنها أجمل فتاة على الإطلاق يا آن. هلا اعتنيت بها إذا متُّ قبل أن أصبح راشدا؟

- دايفي كايت!، توقف عن هذا الهراء!

احتج دايفي بنبرة مكلومة:

- ليس هراء. إنها زوجتي الموعودة. ولو حدث أن متُّ، فستصبح أرملي، أليس كذلك؟ وهي لا تملك أحدا يعتني بها سوى جدتها العجوز.

صاحت ماريلا:

- تعالي، وتناولي عشاءك يا آن، ولا تشجعي ذلك الطفل على حديثه السخيف!

## بول لا يجد شخصياته

مرّت الأيام سارةً جميلةً في «آفونلي»، ذلك الصيف، رغم أن آن، كانت مسكونةً في خضمّ سعادتها بالعطلة، بهاجسٍ «شيء مفقود». ورفضت الإقرار، حتى في أعماقها، بأن غياب جلبرت هو السبب. لكنّ انقباضاً غريباً، لم تُدرِك كُنْهه قطُّ، كان يتتاب قلبها كلما اضطرت إلى السير بمفردها في طريق العودة إلى البيت، بعد اجتماع بالكنيسة، أو على إثر حفلات جمعية تطوير مدينة «آفونلي»، بينما يتسكّع ديانا وفريد، وبعض العشاق المبتهجين، في الدروب الريفية المعتمة.

لم يتجشّم جلبرت عناء مراسلتها كما توقّعت أن يفعل، وعلمت أنه يُراسل ديانا أحياناً، لكنها تجنّب السؤال عن أحواله، ولم تُقدّم لها ديانا التي ظنّتها على اتصالٍ به، أيّ خبرٍ عنه. وظلّت المسكينة تتضرّج خجلاً، كلما أحرّجتها والدة جلبرت، السيّدة البشوشة الجذلة، التي اعتادت أن تسألها عن ابنها بصوتٍ مسموع في حضورٍ جمهرةٍ من الناس، فتهمسُ ردّاً على سؤالها: «لم أسمع أخباره مؤخراً»، ويعدُّ الجميع، ومنهم السيّدة بلايث، جوابها مجرد تهرّبٍ من أثر الحياء.

وباستثناء هذه المنغصات، استمتعت أن بعطلتها الصيفيّة. إذ زارتها بريسيليا شهر يونيو، ثم حلّ ركب السيد إيرفينغ وحرّمه، وبول وتشارلوت، شهري يوليو وأغسطس.

صارَ قَصْرُ الصّدَى مَسْرَحًا لِلْمَسْرَاتِ مُجَدِّدًا، وانشغل الصّدَى بِتَرْديدِ ضَحِكَاتِ المَرِحِ المُتعالِيَةِ مِنَ الحَدِيقَةِ العَتِيقَةِ، خَلْفَ أشجارِ التَّنُوبِ السَّودَاءِ.

لَمْ تتغيّرِ الأَنَسَةُ لافندر، إِلَّا لتصبحَ أَكثَرَ فتنَةً وَجَمالًا. كانَ بولُ مَفْتونًا بِهَا، وَكانتُ رَفَقَتُها تُسرُّ النّاظِرِينَ.

قالَ بولُ لآن:

- لَكِنِّي لا أَدعُوها ماما، لأنّ هذا اللَّقَبَ، بِكُلِّ بساطةٍ، لا يَحِقُّ سِوَى لأمِّي، وَلنْ أَخلَعَه على أَيِّ كانَ. أَنْتِ تَفهَمِينَنِي يا آنَ. لَكِنِّي أَدعُوها ماما لافندر، وَهي أَكثَرُ مَن أُحِبُّ، بَعْدَ أَبِي، حَتّى أَنِي أُحِبُّها أَكثَرَ مِنكَ قَليلًا.

أجابَتُ آنَ:

- الأَمْرُ طَبِيعِيّ.

بَلَغَ بولُ الثالِثَةَ عَشْرَةَ مِنْ عُمُرِهِ، فَصارَ فارِعَ الطَّوْلِ بِالقِياسِ إلى سِنِّه، وَازدادتْ مَلاحِجُهُ وَعِيناهُ جَمالًا، وَاتَّقَدَ خِيارُهُ كالمَوْشُورِ الَّذِي يَنثُرُ النُّورَ وَيَحُلِّلُهُ إلى مِئَةِ قَوسِ قُزَحٍ، وَرافَقَتَهُ آنُ في نِزَهاةِ رائِقَةٍ عَبرَ الغابِ، وَفي الحُقُولِ، وَعَلى شَاطِئِ البَحْرِ، فَصارا كَتِواأمِي رُوحَ.

وتفتّحتِ الشَّابَّةُ تشارلوتا مثلَ ورْدَةٍ. فصارتُ تُسْرِّحُ شعرَها الكثيفَ تسريجةً بومبادور<sup>(1)</sup>، وتخلّتْ عَن الشَّرَائِطِ الزَّرْقَاءِ القَدِيمَةِ، لكنَّ وجهَها ظلَّ أنمشَ، وبقيَ أنفُها أخنَسَ، واتَّسعَ ثغرها وابتسامتها أكثرَ مِن قَبْل.

سألتُ تشارلوتا آنَ في حيرةٍ:

- أتعجدينَ لكتّبي أمريكيةً، سيّديّ الأنيسة شيرلي.

- لم ألاحظُ ذلكَ يا تشارلوتا.

- كم أسعدني قولك، فأفراُدُ عائِلتي يرونها كذلك. أظنُّ أنّهم أرادوا إثارةَ حَنَقِي فحَسَب. لا أريدُ التحدُّثَ بلُكنةِ أمريكيةٍ، مع أنّي لا أكنُّ أيَّ عِداءٍ لليانكي<sup>(2)</sup>، سيّديّ، الأنيسة شيرلي، فهُم قومٌ مُتَحَضِّرون، لكنّي أفضلُ جزيرتي القديمةَ، جزيرةَ الأميرِ إدوارد، في كلِّ الأوقات.

أمضى بول الأسبوعين الأولين برِفقةِ جدّته ايرفينغ في «آفونلي». وكانت آن في الموعدِ لتستقبله، فألفته مُتلهِّفاً إلى الذهابِ إلى الشاطئ. ستكونُ نورا، والسيدةُ الذهبيّةُ، والتوأمُ البحّارةُ أيضاً، هناك، فلم

---

(1) مدام دي بومبادور، (1721 - 1764)، كانت سيدة موهوبة وجميلة ومثقفة وأثرت بشكل كبير في النواحي الثقافية والفنية والسياسة في البلاط الفرنسي، وعرفت برشاقة قوامها، والذوق في ملابسها. والرقّة الناعمة في يديها، وتسريجة شعرها الخفيف الأسمر عالياً فوق الجبين.

(2) مصطلح يستعمل في بريطانيا وبعض دول العالم للإشارة إلى سكان الولايات المتحدة الأمريكية.

يَصْبِرُ حَتَّى عَلَى تَنَاوُلِ عَشَائِهِ. أَوْلَيْسَ يَتَطَلَّعُ مِنْذُ تِلْكَ اللَّحْظَةِ إِلَى رُؤْيِيَةِ وَجْهِ الْجِنِّيَّةِ نَوْرًا يَبْحُثُ عَنْهُ فِي لَهْفَةٍ؟

لَكِنَّ بُولَ الَّذِي عَادَ مِنَ الشَّاطِئِ ذَلِكَ الْمَسَاءِ صَارَ رَصِينًا.  
سَأَلْتُهُ أَنْ:

- أَلَمْ تَجِدْ شَخْصِيَّاتِكَ عَلَى صُخُورِ الشَّاطِئِ؟  
هَزَّ بُولَ خَصَلَاتِهِ الْكَسْتِنَائِيَّةَ فِي أَسَى:

- لَمْ يَأْتِ التَّوَامُ الْبَحَّارَةُ، وَلَا السَّيِّدَةُ الذَّهَبِيَّةُ، هَذَا الْيَوْمَ.  
حَضَرَتْ نَوْرًا، لَكِنَّهَا صَارَتْ مُخْتَلِفَةً يَا سَيِّدَتِي.

- أَوْه، بُولُ! أَنْتَ مَنْ تَغَيَّرَ حَقًّا. لَقَدْ كَبُرْتَ عَلَى شَخْصِيَّاتِ  
الصُّخُورِ الَّتِي تُفَضَّلُ اللَّهْوَ مَعَ الْأَطْفَالِ. أَخْشَى أَلَّا يَزُورَكَ  
الْبَحَّارَةُ التَّوَامُ فِي قَارِبِهِمَا اللَّوْلُئِيِّ مُجَدِّدًا، وَأَلَّا تَعْرِفَ لَكَ  
السَّيِّدَةُ الذَّهَبِيَّةُ عَلَى قِيَارَتِهَا الذَّهَبِيَّةَ بَعْدَ الْآنِ. وَحَتَّى نَوْرًا،  
أَخْشَى أَلَّا تَلْتَقِيكَ طَوِيلًا. عَلَيْكَ أَنْ تَدْفَعَ ضَرْبَةَ نُضْجِكَ يَا  
بُولُ، وَأَنْ تَتَخَلَّى عَنِ أَرْضِكَ الْخُرَافِيَّةِ.

قَالَتِ السَّيِّدَةُ ايرفينغ بنبرة امتزجَ فيها التَّسَامُحُ وَالتَّأْنِيبُ:

- مَا زِلْتُمَا تَتَحَدَّثَانِ عَنِ نَفْسِ الْخُرَافَاتِ السَّخِيفَةِ.  
قَالَتْ أَنْ:

- لَا، لَقَدْ نَضِجْنَا، لِلْأَسْفِ! مَا الَّذِي تَبَقِيَ لَنَا بَعْدَ أَنْ وَعَيْنَا أَنْ  
اللُّغَةَ لَا تَصْلُحُ سِوَى لِإِخْفَاءِ أَفْكَارِنَا؟

قَالَتِ السَّيِّدَةُ ايرفينغ بِجِدِّيَّةٍ:

- أبدا، إنها تُمكننا من تبادل أفكارنا.

لم تسمع السيدة ايرفينغ قط عن تالي راند<sup>(1)</sup>، ولم تستطع فهم الحكم السّاحرة، أبداً.

أمضت أن أسبوعين رائقين بقصر الصّدى طيلة أيام أغسطس الذهبيّة. وحاولت، طيلة إقامتها هناك، حتّى لودوفيك سبيد على الإسراع في التّقدّم لخطبة ثيودورا ديكس بعد فترة مُغازلة طويّلة، كما روي في قصّة أخرى من حوليات «آفونلي»<sup>(2)</sup>. وأضفى حضور أرنولد شرمان المسنّ، وهو أحد أصدقاء آل ايرفينغ، مسحة من المرح والسّرور على إقامتها.

قالت آن:

- أمضيت وقتاً رائعاً يا آنسة لافندر. ولم يتبقّ سوى أسبوعين على موعد عودتي إلى «كينغسبورت»، و«ريدموند»، و«بيت باتي» الذي هو أجملها على الإطلاق. أشعر أنّ لي بيتين، أحدهما بغيرين غايلز، والآخر في «بيت باتي». لكنّ، كيف مرّ الصّيف بهذه السّرعة؟ يخيّل إليّ أنّ يوماً واحداً مضى على قدومي وفي يدي باقة الأزهار. حين كنت طفلة، كان الصّيف يتمطّط مثل موسم بلا نهاية. والآن، صار يمرّ في طرفه عين.

(1) كاهن وديبلوماسي فرنسي (1754-1838)، اشتهر بدهائه وحنكته حتى صار اسمه رمزاً للاختلاق والأكاذيب.

(2) حوليات «أيفونلي»، مجموعة قصصيّة للوسي مود مونتغومري، صدرت سنة 1912، وللقصص علاقة وثيقة بسلسلة آن من «غرين غايلز».

سألتهُ الأَنَسَةُ لافندر في هدوءٍ:

- آن، أمازلتِ وجلبرتِ صديقينِ كالمُعتاد؟

- مازلنا أصدقاءً كدأبنا، أَنَسَةُ لافندر.

هزّتِ الأَنَسَةُ لافندر رأسها:

- ثَمّةُ خطبُ ما، يا آن. سأكونُ أكثرُ وُضوحًا وأسألُك: هل

تخاصمتُما؟

- أبدًا، لكنّ جلبرتِ يطلبُ ما هو أكثرُ مِنَ الصّداقةِ، بينما لا

أستطيعُ منحه أكثرَ منها.

- أواثقةُ أنتِ يا آن؟

- تمامَ الثّقة.

- آسفةُ، آسفةُ حقًا.

- لماذا يفكّرُ الجميعُ في أنّه يجدرُ بي الزّواجُ من جلبرتِ بلايْث؟

- لأنّكما خلقتُما لبعضكما يا آن، فلا تُزعِجِي نفسَكِ كثيرًا، إنّها

الحقيقةُ.

مكتبة

t.me/soramnqraa



(24)

## ظهور جوناس

كتبْتُ فيل إلى آن:

«بروسبكت بوينت»

20 أغسطس

«عزيزتي آن، أغالبُ النعاسَ كي أكتبَ إليك. أشعرُ بالخجلِ لأنِّي تجاهلتُك طيلةَ هذا الصيفِ، لكنني تجاهلتُ كلَّ مَنْ راسلني، أيضًا. أمامي كومةٌ من الرسائلِ تنتظرُ ردِّي، لذلكَ عليَّ أنْ أشرمَّ عن ساعدي وأشرعَ في المهمَّة، غيرَ أني أشعرُ بالنعاس. في الليلةِ الماضية، زرتُ برفقةِ قريبتي ايميلي بيتَ الجيران الذي سبقنا إليه زوارٌ آخرون. وما إنْ انصرفتُ تلكَ الكائناتُ التعيسةُ، حتَّى نهشتِ المضيفةُ لحمها بمعيَّةِ بناتها الثلاث. كنتُ على يقينٍ بأنِّي سألقى ضحبةَ قريبتي ايميلي نفسَ المصيرِ، حالما يُوصدُ البابُ دُوننا.

عندَ عودتنا إلى البيتِ، أخبرتنا السيِّدةُ ليلي أنه يُقالُ إنَّ الحمى القرمزيةَ أصابتُ خادمَ الجارة. يُمكننا دومًا الاعتقادُ على السيِّدة ليلي لتُخبرنا أمورًا سارةً كهذه. كم تُرعبني هذه الحمى القرمزية! حرمني التفكيرُ في الأمرِ مِنَ النومِ، فتقلَّبتُ في فراشي، ورأيتُ

كوابيسٍ مُخيفَةً، وانتابني العطاسُ دقيقةً كاملةً. وعندما أفقتُ  
 الثالثة صباحًا، شكوتُ آلامًا في حَنَجْرَتِي، وصداعًا رهيبًا، وحرارةً  
 مُرتفعةً. فشككتُ في إصابتي بالحمى القرمزية، ونهضتُ في رُعبٍ  
 شديدٍ أبحثُ عن كتابِ الطَّبِّ لإيميلي، لأطلعَ على أعراضِ الحمى  
 التي تطابقتُ مع كلِّ ما لديّ من أعراضٍ، يا آن. بعدها، عدتُ إلى  
 سريري، ونمتُ بقيّةَ الليلِ مثلِ جذعِ شَجَرَةٍ. لكنني أفقتُ صباحًا  
 على خيرٍ ما يُرام، ومن ثمّ أدركتُ أنّي لم أصب، لأنني حتّى لو أصبتُ  
 بها ليلةَ أمسٍ، فما كانَ بوسعِ المرضِ أن يظهرَ بتلكِ السُرعة. هذا  
 الاستنتاجُ بديهيٌّ في الصّباح، لكنني لا أستطيعُ التّفكيرَ على هذا  
 النّحوِ المنطقيِّ حواليّ الثالثة فجرا.

أظنك تتساءلين عن سرِّ ذهابي إلى «بروسبكت بوينت»<sup>(1)</sup>.  
 حسنًا، أوّد دومًا قضاءَ شهرٍ من عطلةِ الصّيفِ على شاطئِ البَحْرِ،  
 ويصرُّ أبي على ذهابي إلى بيتِ قريبته ايميلي الفخمِ في «بروسبكت  
 بوينت». لذلكِ قدِمْتُ منذَ أسبوعينِ إلى هنا، كعادتي. وكدأبه،  
 أقلّني العمُّ مارك ميلر من المحطّة في عربته العتيقة. إنّه عجوزٌ طيّبٌ،  
 منحني حَفنةً من حلوى النّعناع. إنّها حلواي المقدّسة، لأنّ جدّي لأبي  
 منحنتني بعضها، في الكنيسة، حين كنتُ طفلةً صغيرة. في الحقيقة، لم  
 أتناول حلوى العمِّ مارك لأنّه التقطها من قاعِ جيبه، وأخرجَ معها  
 بعضَ المساميرِ الصّديئة، لكنني ألقيتها في الطّريق، في غفلةٍ منه، كي لا  
 أجرحَ مشاعره، وحين تخلصتُ من آخرِ قطعةٍ، قال لي:

(1) منتجع بحريّ قرب مدينة «فانكوفر» بكندا.

- لا تأكُلِي قِطْعَ الحَلْوَى دُفْعَةً واحِدةً، يا آنسة فيل . ستصابِين  
بمغصٍ إِنْ فَعَلْتِ.

كان لقربيتي ايميلي خمسةُ نِزلاءٍ غَيْرِي، أربَعُ عِجائِزَ، ورجُلٌ  
شَابٌّ. قَبَعْتُ، على يميني، الأَنَسَةَ ليلي. إِنِّها مِنْ طِينَةِ البَشَرِ الَّذين  
يَنتَشُونُ بالحديثِ عَن الآمِهِم وَأَمراضِهِم. اذْكُرِي أَيَّ مَرَضٍ أَمَامَها،  
وستَقولُ لكَ وهي تَهزُّ رَأْسَها: «اه، أَعْرِفِه جَيِّدًا»، ثُمَّ تَحْصِلينَ عَلى  
كُلِّ التَّفاصِيلِ. قالَ جُوناسُ إِنَّه تَحَدَّثَ ذاتَ مَرَّةٍ عَن مَرَضِ التَّرنُّجِ  
الحَرَكيِّ<sup>(1)</sup> الَّذِي يُصِيبُ حاسَّةَ السَّمعِ أَمَامَها، فَقالتِ إِنَّها تَعَلَّمُ سَرَّه  
جَيِّدًا، لِأَنَّها أَصِيبَتْ بِهِ طيلةَ عَشْرِ سَنواتٍ، وَشُفِيتْ مِنْه عَلى يَدِ  
طَبيبٍ مُتَجَوِّلٍ.

مَنْ هُوَ جُوناسُ؟ اانتظِرِي قليلاً يا آن شيرلي! ستعلمين عن  
جوناَسِ في المَكانِ وَالزَّمانِ المُناسِبينِ. لا يَحسُنُ زُجُّه مَعَ السَيِّداتِ  
العِجائِزِ.

تَجَلِسُ عَلى شِمالِي، إِلى الطَّاولَةِ، السَيِّدَةُ فينِني، الَّتِي تَتكَلَّمُ دوماً  
بِنبرةٍ تَدْمُرُ وتَأَلِّمُ، فَتتَوَقَّعِينِ أَنْ تَنفَجِرَ باكيَةً في كُلِّ لِحْظَةٍ. فَهِيَ تُشْعِرُكِ  
أَنَّ الحِياةَ بِالنَّسْبَةِ إِليها وادي صَغيرٌ مِنَ الدَّموعِ، وَأَنَّ الِابْتِسامَةَ أَوْ  
الضَّحْكَةَ طيِّشٌ وَعَبَثٌ مُسْتَهْجَنٌ. كما أَنَّها لا تُحسِنُ الظَّنَّ بي، مِثْلَ  
العَمَّةِ جايَمِسينا أَوْ أَكثَرَ، وَلا تُحِبُّني مِثْلما تُحِبُّني العَمَّةُ ج.

(1) خلل تدريجي في الجهاز العصبي، يشمل الأعمدة الخلفية للجلب الشوكي مع هياكل  
أخرى، مما يسبب عدم تناسق حركة العضلات تكون النتيجة عدم اتزان واضطراب  
في المشي، ويصيب أعضاء السمع أيضاً.

وأمامي، جلستِ الأَنَسَةُ ماريا جريمسبي، الَّتِي أَشْرَتْ فِي حُضُورِهَا، يَوْمَ وُصُولِي، إِلَى إِمْكَانِيَّةِ هُطُولِ الْمَطْرِ، فَضَحِكْتُ، وَقَلْتُ لَهَا إِنَّ الطَّرِيقَ مِنَ المَحْطَّةِ إِلَى هُنَا جَمِيلٌ جَدًّا، فَضَحِكْتُ، وَأَضْفَتُ أَنَّ شَيْئًا مِنَ البَعُوضِ مَازَالَ مَوْجُودًا، فَضَحِكْتُ مُجَدِّدًا، وَأَخْبَرْتُهَا أَنَّ «بروسبكت بوينت» مَا زَالَتْ تُحَافِظُ عَلَى فِتْنَتِهَا، فَتَهَادَتْ فِي الضَّحِكِ. وَلَوْ أَخْبَرْتُهَا أَنَّ أَبِي شَنَقَ نَفْسَهُ، وَأَنَّ أُمِّي شَرِبَتْ السُّمَّ، وَأَنَّ أَخِي اقْتِيدَ إِلَى السَّجْنِ، وَأَنِّي مُصَابَةٌ بِالسَّلِّ، لَضَحِكْتُ دُونَ شَكِّ. فَهِيَ لَا تَسْتَطِيعُ إِمْسَاكَ نَفْسِهَا عَنِ الضَّحِكِ، لِأَنَّهَا وُلِدَتْ عَلَى هَذَا النِّحْوِ، لَكِنَّ الأَمْرَ مُحْزَنٌ جَدًّا.

أَمَّا السَّيِّدَةُ المُسَنَّةُ الخَامِسَةُ، فَهِيَ السَّيِّدَةُ غِرَانْت. وَهِيَ عَجُوزٌ رَقِيقَةٌ، لَكِنَّهَا لَا تَقُولُ عَنِ النَّاسِ إِلَّا الخَيْرَ، فَيَغْدُو حَدِيثُهَا مُمَلًّا جَدًّا. وَالآنَ، جَاءَ دَوْرُ جُونَسَ، يَا آنَ.

يَوْمَ وُصُولِي، رَأَيْتُ شَابًّا يَجْلِسُ قُبَالَتِي، وَيَبْتَسِمُ لِي كَأَنَّهُ يَعْرِفُنِي مُنْذُ وِلَادَتِي. أَخْبَرَنِي العَمُّ مَارِكُ أَنَّهُ يُدْعَى جُونَسَ بِلَايِكِ، وَأَنَّهُ طَالِبٌ فِقْهِ فِي «سَانْت كُولومبيا»، تَسَلَّمَ عُهُدَةَ كَنِيسَةِ «بوينت بروسبكت» ذَلِكَ الصَّيْفِ.

كَانَ شَابًّا قَبِيحًا جَدًّا، بَلْ كَانَ أَشَدَّ الرَّجَالِ الَّذِينَ رَأَيْتُهُمْ قُبْحًا: سَاقَاهُ طَوِيلَتَانِ سَخِيفَتَانِ، وَشَعْرُهُ مَسْتَرَسِلٌ فِي لَوْنِ الحِبَالِ، وَعَيْنَاهُ خَضْرَاوَانِ، وَفَمُّهُ عَرِيضٌ، وَأُذُنَاهُ! يَا إلهي! لَا أَصَدِّقُ مَا رَأَيْتُ! لَكِنَّ صَوْتَهُ عَذْبٌ، وَرُوحَهُ جَمِيلَةٌ، وَمِنْ ثَمَّ لَا يَبْدُو لَكَ لَطِيفًا إِلَّا إِذَا أَغْمَضْتَ عَيْنَيْكَ.

صِرْنَا صَدِيقَيْنِ قَوْرًا. فَقَدْ كَانَ، طَبَعًا، أَحَدَ خَرَّيْجِي «رِيدْمُونْد»،  
وَهُوَ مَا شَكَلَ رَابِطًا قَوِيًّا بَيْنَنَا. ذَهَبْنَا مَعًا فِي رِحْلَةٍ صَيْدٍ عَلَى مَتْنِ  
قَارِبٍ، وَسِرْنَا عَلَى الرَّمَالِ فِي نَوْرِ القَمَرِ. لَمْ يَبْدُ وَسِيمًا جِدًّا فِي ضَوْءِ  
القَمَرِ، لَكِنَّهُ كَانَ لَطِيفًا جِدًّا، بَلْ كَانَ يَتَضَوَّعُ لُطْفًا. وَلَا أَنَّهُ ضَحُوكٌ  
وَضَرِيفٌ، لَمْ يَحْظَ بِإِعْجَابِ العَجَائِزِ، عِدَا السَّيِّدَةِ غِرَانَتِ، وَهُوَ مَا  
جَعَلَهُ يُفْضَلُ رِفْقَةً طَائِشَةً مِثْلِي عَلَيْهِنَّ.

لَكِنِّي، يَا آنَ، حَاوَلْتُ، بِكُلِّ الطَّرْقِ، كَيْ لَا أَبْدُو عَابِثَةً. أَعْرِفُ  
أَنَّ الأَمْرَ سَخِيفٌ. فَلِمَاذَا عَلَيَّ أَنْ أَقْلَقَ حِيَالَ رَأْيِ رَجُلٍ مِنْكُوشِ  
الشَّعْرِ، وَيَدْعَى جُونَاَسَ، فِي؟

يَوْمَ الأَحَدِ المَاضِي، أَلْقَى جُونَاَسَ عِظَتَهُ بِكَنِيسَةِ القَرْيَةِ، وَذَهَبْتُ  
إِلَى هُنَاكَ، طَبَعًا، لَكِنِّي لَمْ اسْتَوْعِبْ أَنَّهُ مَنْ يُلْقِي المَوْعِظَةَ. فَقَدْ بَدَتْ  
لِي فِكْرَةٌ أَنَّهُ أَصْبَحَ قَسًّا دُعَابَةً كَبِيرَةً.

حَسَنًا، أَلْقَى جُونَاَسَ عِظَتَهُ، وَحِينَ بَلَغَ الدَّقِيقَةَ العَاشِرَةَ، بَلَغْتُ  
المَدَى فِي الشُّعُورِ بِالصَّغَارَةِ وَالتَّفَاهَةِ، حَتَّى خُيِّلَ إِلَيَّ أَنِّي لَا أَرَى  
بِالعَيْنِ المُجَرَّدَةِ. فَهُوَ لَمْ يَتَفَوَّهَ بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ عَنِ النِّسَاءِ، وَلَمْ يَنْظُرْ إِلَيَّ  
قَطًّا، فَادْرَكَتُ أَنِّي فَرَاشَةٌ صَغِيرَةٌ طَائِشَةٌ، وَمَثِيرَةٌ لِلسَّفْقَةِ، وَأَنِّي مُخْتَلِفَةٌ  
اخْتِلَافًا فَظِيعًا عَنِ رُؤْيَتِهِ لِلمرأةِ المِثَالِيَّةِ الَّتِي لَا بَدَّ أَنَّهُ يَرَاهَا فَارِعَةً  
الطَّوْلِ، وَقَوِيَّةَ البِنْيَةِ، وَنَبِيلَةَ الطَّبَاعِ. لَقَدْ حَازَ جُونَاَسَ كُلَّ مَا يَحْتَاجُ  
إِلَيْهِ قَسٌّ: فَكَانَ جِدِّيًّا، وَرَقِيقًا، وَصَادِقًا... كَيْفَ أَمْكِنُنِي أَنْ أَرَاهُ  
قَبِيحًا، مَعَ أَنَّ عَيْنَيْهِ المُلْهَمَتَيْنِ، وَجَبْهَتَهُ البَرَّاقَةَ الَّتِي تُغْطِيهَا خَصَلَاتِهِ  
طِيلَةَ الأَسْبُوعِ لَا تَخْلَفُ هَذَا الانْطِبَاعَ قَطًّا.

كانت خُطبةً بديعةً، جعلتني أشعرُ بأنّي حقيرةٌ تمامًا، وكان بوسعي الإنصاتُ إليه إلى ما لا نهاية. اوه، كم تمنيتُ لو كنتُ مثلكِ يا آن!

لحق بي في طريق العودة، وابتسم مُبتهجًا كعادته. لكنّ ابتسامته ما عادت قادرةً على خداعي مجددًا، لأنّي رأيتُ جوناك الحقيقيَّ عن كُتب. فهل بوسعك رؤية فيل الحقيقة التي لم يرها أحدٌ بعد، ولا حتى أنتِ يا آن؟ مكتبة سر من قرأ

قلتُ له: «جوناس»، إذ نسيتُ أن أدعوه السيّد بلايك، «لقد خلقت لتكون قسا، ولا يمكنك أن تكون أيّ شيءٍ آخر».

فقال لي بعُمقٍ: «لا، لا يمكنكني. حاولتُ طويلًا أن أسلكَ طريقًا آخر، ولم أشأ أن أصبح قسا. لكنني أدركتُ أخيرًا أن هذا العملُ قدرتي، وأنّ الرّب كان يُساعدني في الحصولِ عليه. عليّ القيام به إذن».

كان صوته مُنخفضًا وموقّرًا. فأيقنتُ أنّه سيقومُ بعمله على أفضل وجهٍ وأنبله، وأنّ المرأة التي ستُساعدُه على ذلك ستكون سعيدةً لا محالة، وأتمّها لن تكونَ مثلَ ريشةٍ في مهبِّ الرّيح. ستعرفُ حتّى أيّ قبةٍ تعتمُر، وربّما ملكتُ واحدةً فحسب، إذ لا يملكُ القساوسةُ مالا كثيرا، لكنّها لن تُباليّ لا متلاكِ قبةٍ، أو لعدم امتلاكها، لأنّ جوناك يُغنيها.

آن شيرلي، لا تتجرّئي على التلميحِ إلى أنّي وقعتُ في حبِّ السيّد بلايك. هل تعتقدين أنّي أهتمُّ لأمرِ رجلٍ دينٍ مُعدمٍ وقبيحٍ،

يدعى جوناس؟ الأمر مستحيل، وغير واردٍ أيضًا، كما يقول العمُّ  
مارك.

طابت ليلتُك

فيل.  
ملاحظة: الأمر مستحيل، لكنني أخشى أنه حقيقي. أنا سعيدة،  
وبائسة، وخائفة. لن يُجيبني، أعرف ذلك. هل تظنين أنه يسعني أن  
أصبح زوجة قسّ يا آن؟ وهل يتوقع الجميع أن أوّم الصلاة؟  
فيل جوردون».

(25)

## ظهور فارس الأحلام

قالت آن، وهي تنظرُ عبرَ إحدى نوافذِ «بيت باتي» إلى أشجارِ الصنوبرِ في المنتزه:

- اخترتُ أخرجُ إلى المنتزه أم أبقى في البيت. لا شيء أقومُ به هذه الظهيرة، يا عمّة جايمسينا، فهل أمضيها هنا قرب المدفأة، والقِطَطِ الجميلة، وكلبِ الحزفِ ذي العيونِ الخضراء؟ أم أقصدُ المنتزه، حيثُ الأشجارُ الباذخة، والأمواجُ التي تُداعبُ صخورَ الميناء؟

قالتِ العمّةُ جايمسينا، وهي تُداعبُ أُذنَ القطِّ جوزيف بإبرة الحياكة:

- لو كان لي سنُّك، لا اخترتُ المنتزه.  
- ألم تقولي إنك بمثلِ سنِّنا جميعًا يا عمّة؟  
- نعم، فروحي شابة، لكنني أعترفُ بأنَّ ساقِي غادَرَهُما الشَّبَابُ. اذهبي! واستمتعي بالهواءِ النقيِّ، يا آن! تبدين شاحبةً هذه الأيام.

- أظنني سأقصدُ المنتزه. لا أشعر برغبةٍ في الاستمتاعِ ببهجة



البيت هذا اليوم. أريد أن أشعر بالحريّة والانطلاق، بمفردي. سيكون المنتزه خاليًا، لأن الجميع يُشاهدُ مباراة كرة القدم.

- لم تذهبي معهنّ؟

- لا أحد دعاني، سوى ذلك الفطيع القصير القامة دان رينجر، الذي لن أذهب معه إلى أيّ مكانٍ، لكنني أخبرته أنني لا أرغبُ في الذهابِ إلى المباراة كي لا أخرجَ مشاعره الرقيقة. كما أنني لا مزاج لي لمشاهدة كرة القدم اليوم، على أيّ حالٍ من الأحوال.

قالتِ العمّة جايمسنا مجددًا:

- اذهبي! واستمتعي بالهواء النقي!، ولا تنسي مطريتك!، لأنني أظنها ستُمطر، وأشعر بالروماتيزم في ساقِي.

- لا يصيبُ الروماتيزمُ سوى العجائزِ يا عمّة.

- الجميعُ مُعرّضٌ للإصابة بالروماتيزم في ساقيه. لكنّ العجائزُ يصيبهنّ الروماتيزمُ في أرواجهنّ. حمدًا للرّب، لأنني لم أتعرّضُ لذلك أبدا. فحين ينتابُ الرّوح الروماتيزمُ، يجدرُ بالمرء تجهيزُ كفيه.

كان نُوفمبر، شهرُ ساعاتِ المغيبِ القرمزيّ، والطُيور المهاجرة، وتراتيلِ البحرِ الحزينة، وأناشيدِ الرّيح التي تهبُّ على أشجارِ الصنوبر، قد حلّت. فتسكّعتُ آن في دُروبِ المنتزه، وسمحتُ للرّيح، كما قالت، بنفضِ الضبابِ عن رُوحها. ولم تكن، من قبل، تنزعجُ

مِنَ الضَّبَابِ الَّذِي يَغْلَفُ رَوْحَهَا، لَكِنَّ الْحَيَاةَ فَشِلْتُ، مِنْذُ السَّنَةِ  
الثَّالِثَةِ الَّتِي عَادَتْ فِيهَا إِلَى «رِيدْمُونْد»، فِي عَكْسِ صُورَةِ رَوْحِهَا  
بِنَفْسِ الْوُضُوحِ الْجَلِيِّ الْقَدِيمِ.

فِي الظَّاهِرِ، ظَلَّتْ دُورَةَ الْحَيَاةِ فِي «بَيْتِ بَاتِي» نَفْسَ الدُّورَةِ الْبَهِيجَةِ  
المُعْتَادَةِ الْمَكُونَةِ مِنَ الْعَمَلِ، وَالدرَاسَةِ، وَالتَّرْفِيهِ. وَفِي لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ،  
تَكْتَضُّ غُرْفَةَ الْجُلُوسِ الدَّافِئَةَ بِالزَّوَارِ، وَتُرَدِّدُ صَدَى ضَحْكَاتِهِمْ  
وَدُعَابَاتِهِمْ الْمُتَوَاصِلَةَ، بَيْنَمَا تُوَزَّعُ الْعَمَّةُ جَايْمِسِينَا ابْتِسَامَتَهَا الْمُشْرِقَةَ  
عَلَى الْجَمِيعِ. وَكَانَ جُونَسَ، الَّذِي ذَكَرْتَهُ فَيْلٌ فِي رِسَالَتِهَا، يَأْتِي غَالِبًا،  
مُسْتَقِلًّا أَوَّلَ قِطَارٍ مِنْ «سَانْتِ كُولُومْبِيَا»، وَيَغَادِرُ عَلَى مَتَنِ الْقِطَارِ  
الْأَخِيرِ. فَأُصْبِحُ ضَيْفَ «بَيْتِ بَاتِي» الْمُبَجَّلِ، مَعَ أَنَّ الْعَمَّةَ جَايْمِسِينَا  
كَانَتْ تَهْزُ رَأْسَهَا قَائِلَةً إِنَّ طُلَّابَ الْفِقْهِ لَمْ يَظَلُّوا كَمَا كَانُوا مِنْ قَبْلِ.  
وَقَالَتْ لِفَيْلٍ:

- إِنَّهُ لَطِيفٌ جَدًّا يَا عَزِيزَتِي، لَكِنَّ، عَلَى الْكَهْنَةِ أَنْ يَبْدُوا أَكْثَرَ  
رِصَانَةٍ.

فَسَأَلْتُهَا فَيْلٍ:

- أَلَيْسَ بِوَسْعِ الرَّجْلِ أَنْ يَضْحَكَ وَيَضْحَكَ، وَيُحَافِظُ عَلَى  
دِينِهِ؟

- الرَّجَالُ، نَعَمْ، بِالتَّأَكِيدِ، لَكِنِّي أَتَحَدَّثُ عَنِ الْقَسَاوِسَةِ يَا  
عَزِيزَتِي. وَعَلَيْكَ أَلَّا تُغَازِلِي السَّيِّدَ بِلَايِكَ، أَبَدًا.

- أَنَا لَا أُغَازِلُهُ.

لَمْ يَصِدِّقْهَا أَحَدٌ غَيْرَ آنَ، بَيْنَمَا ظَنَّتِ الْأُخْرِيَاتُ أَنَّهَا تَمْرُحُ كَدَّابِهَا،  
وَأَخْبَرَتْهَا أَنَّهَا تَأْتِي سُلُوكًا مَخْزٍ.

قَالَتْ سَتِيلًا بِقِسَاوَةٍ:

- بُلَايِكَ لَيْسَ مِنْ طِرَازِ أَلَيْكَ وَالْوَنَزُو يَا فَيْلَ . إِنَّهُ يَأْخُذُ الْأُمُورَ  
عَلَى مَحْمَلِ الْجِدِّ، وَقَدْ يَفْطُرُ الْحَزْنَ قَلْبَهُ .

- أَتُظَنِّينِي قَادِرَةٌ عَلَى ذَلِكَ؟ مَعَ أَنِّي أَوَدُّ ذَلِكَ فِعْلًا .

- فَيْلِيَا جُورْدُونَ! لَمْ أَظُنِّكَ يَوْمًا بَلَا أَحَاسِيْسَ، حَتَّى أَنْتَ  
تَوَدِّينَ تَحْطِيمَ فُؤَادِ الرَّجُلِ .

- لَمْ أَقُلْ ذَلِكَ يَا عَزِيزَتِي . لَا تَقُولِيْنِي مَا لَمْ أَقُلْ . قُلْتُ إِنِّي أُرِيدُ  
أَنْ أَصَدِّقَ أَنَّهُ بَوَسْعِي ذَلِكَ فِعْلًا . أُرِيدُ أَنْ أَعْرِفَ إِذَا مَا كُنْتُ  
أَمْتَلِكُ الْقُوَّةَ الْكَافِيَةَ لِذَلِكَ .

- أَنَا لَا أَفْهَمُكَ يَا فَيْلَ . فَأَنْتِ تَتْلَعِينَ بِذَلِكَ الرَّجُلِ عَن قَصْدٍ،  
وَتَدْعِينَ أَنْتَ لَا تَعْنِينَ شَيْئًا .

قَالَتْ فَيْلَ بَهْدَوٍ:

- أُرِيدُ أَنْ أَدْفَعَهُ إِلَى طَلَبِ يَدِي لِلزَّوْاجِ إِذَا اسْتَطَعْتُ .

قَالَتْ سَتِيلًا مُجَبِّطَةً:

- سَأَتْرُكُكَ وَشَأْنَكَ .

يَأْتِي جَلْبَرَتَ، أَحْيَانًا، مَسَاءَ الْجُمُعَةِ، فَيُحَافِظُ عَلَى انْشِرَاحِهِ دَائِمًا،  
وَيُشَارِكُ الْجَمِيعَ مَرَحَ النَّكَاتِ . لَمْ يُجَاوِلِ الْبَحْثَ عَن آنَ أَوْ تَجَنُّبُهَا،  
وَحِينَ كَانَتْ الظُّرُوفُ تُجْمَعُهُمَا، يَتَحَدَّثُ إِلَيْهَا بِسُرُورٍ وَلِبَاقَةٍ، كَأَنَّهُ

تَعَرَّفَ إِلَيْهَا لِلتَّوِّ، وَبَدَأَ أَنَّ الصَّدَاقَةَ الْقَدِيمَةَ قَدْ ضَاعَتْ. كَانَتْ  
 أَنْ تَشْعُرَ بِالْحِمَاسِ، لَكِنَّهَا أَسْرَتْ فِي نَفْسِهَا أَنَّهَا سَعِيدَةٌ وَمُتَنَّةٌ لِأَنَّ  
 جَلْبَرْتَ تَجَاوَزَ خَيْبَةَ أَمَلِهِ فِيهَا. فَطَالَمَا تَخَوَّفَتْ حَقًّا مِنْ فِكْرَةِ جَرَحِ  
 مَشَاعِرِهِ، تِلْكَ اللَّيْلَةَ، فِي الْحَدِيقَةِ، أBRIL الْمَاضِي، وَمِنْ فِكْرَةِ أَنَّ  
 الْجَرَحَ قَدْ لَا يُشْفَى بِسَهُولَةٍ. وَالْآنَ، فَهِمْتُ أَلَّا مُبَرَّرَ لِقَلْبِهَا. لَقَدْ  
 مَاتَ الرِّجَالُ مِنْ قَبْلِ، وَأَكَلَهُمْ دَوْدُ الْأَرْضِ، لَكِنْ لَيْسَ بِسَبَبِ  
 الْحُبِّ. لَمْ يَكُنْ جَلْبَرْتُ عُرْضَةً لِمَوْتِ مُحَقِّقِ إِذْنِ. كَانَ يَسْتَمْتَعُ بِحَيَاتِهِ،  
 وَكَانَ طَمُوحًا. لَمْ يَغْرُقْ فِي الْيَأْسِ لِأَنَّ امْرَأَةً مَا كَانَتْ وَاضِحَةً  
 وَبَارِدَةً الْمَشَاعِرِ. أَنْصَتْتُ أَنْ إِلَى الْهَزْلِ وَالْمُزَاحِ الْمُتَوَاصِلِينَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ  
 فِيلٍ، وَتَسَاءَلْتُ عَنْ مَوْقِفِهَا مِنْهُ، لَوْ أَنَّهَا فَقَطْ تَصَوَّرَتْ نِظْرَتَهُ، حِينَ  
 أَخْبَرْتَهُ أَنَّهَا لَا يَسْعُهَا الْوَقُوعُ فِي حَبِّهِ.

أَرَادَ كَثِيرُونَ تَعْوِيضَ مَكَانِ جَلْبَرْتَ الْخَالِي. لَكِنْ أَنْ رَفَضْتَهُمْ  
 دُونَ خَوْفٍ أَوْ نَدَمٍ. فَهِيَ لَنْ تُبَدِّلَهُ بِأَحَدٍ إِذَا لَمْ يَظْهَرُ فَارِسُ أَحْلَامِهَا  
 الْحَقِيقِيِّ. هَذَا مَا أَسْرَتْهُ لِنَفْسِهَا، ذَلِكَ الْيَوْمَ الْغَائِمِ، فِي الْمُنْتَزَهِ الْعَاصِفِ.  
 بَغْتَةً، تَحَقَّقَتْ نَبْوءَةُ الْعَمَّةِ جَايَمِسِينَا، وَهَطَلَّ الْمَطْرُ مَدْرَارًا.  
 فَفَتَحَتْ أَنْ مَطْرِيَّتَهَا، وَرَكَضَتْ عَلَى طُولِ الْمُنْحَدَرِ. وَحِينَ انْعَطَفَتْ  
 إِلَى طَرِيقِ الْمِينَاءِ، مَزَّقَ الرِّيحُ الْعَاطِي مَطْرِيَّتَهَا، فَانْقَلَبَتْ رَأْسًا عَلَى  
 عَقَبِ. تَمَسَّكَتْ بِهَا أَنْ فِي يَأْسٍ، قَبْلَ أَنْ تَسْمَعَ صَوْتًا بِقَرْبِهَا يَقُولُ:

- عَذْرًا. هَلْ يُمْكِنُنِي أَنْ أَعْرِضَ عَلَيْكَ مَطْرِيَّتِي؟

رَفَعْتُ أَنْ بَصَرَهَا، فَأَلْفَتْ شَابًّا فَارِعَ الطُّولِ، وَسِيًّا، بَعِينِينَ  
 دَاكِنَتَيْنِ، حَزِينَتَيْنِ، غَامِضَتَيْنِ، وَصَوْتِ عَذْبٍ، رَقِيقٍ. وَقَفَ بَطْلٌ

أحلامها الذي ما كان سيبدو بتلك المثالية لو قد على حسب الطلب،  
قبالتها.

قالت بارتباك:

- شكرا.

قال الغريب:

- لنسرغ نحو ذلك السرادق. يُمكننا الانتظارُ هناك، حتى  
يكفَّ هطولُ المطر. فلا يبدو أنها ستمطر لفترةٍ طويلة.

كانت كلماته عاديةً، لكن نبرته! والابتسامة التي رافقتها! فجأةً،  
شعرت أن بدقات قلبها الغريبة.

انطلقا معاً إلى السرادق، وجلسا يلهثان تحت سقفه المحبب.  
أمسكت أن المطرية المقلوبة ضاحكةً، وقالت:

- حين تنقلب مطريتي رأساً على عقب، فإني أو من بفساد  
الأشياء الجامدة.

التمعت قطرات المطر على شعرها الذي التفت جدائله حول  
رقبتها وجبينها، واحمرت وجنتاها، وأضاءت عيناها الواسعتان.  
نظر رفيقها إليها نظرة إعجابٍ صرّجتها بحمرة الحجل. من عساه  
يكون يا إلهي؟ فعلى ياقة معطفه شعار «ريدموند» الأحمر والأبيض.  
لكنها تدعي معرفة كل طلبة «ريدموند» عدا الجدد، ولم يكن هذا  
الشاب الأنيق من ضمنهم، بالتأكيد.

لاحظ رفيقها ارتباكها، فقال مبتسماً:

- نحنُ رفاقُ جامعَةٍ. أدعى رويال غاردنر، وأنتِ الآنسةُ شيرلي التي قرأتِ بلاغَ تَنيسون على مسامِعِ جمعيّةِ أجباءِ المعرفةِ ذلكَ المساءَ، أليس كذلك؟

- نعم، لكنني لم أقدرُ على تحديدِ انْتِهائِكَ بعد. إلى أيِّ مكانٍ تنسبُ رجاءً؟

- أشعرُ أنّي لا أنتمي لأيِّ مكانٍ بعد. فقد أنهيتُ سنتيَ الجامعيّتين في «ريدmond» منذُ عامين، ثمّ توجّهتُ إلى أوروبا منذُ ذلكَ الحين، والآن، عدتُ لأنهيَ إجازتي في الأدب.  
- أنا أيضًا بسنتي الثالثة.

قال رفيقها وآلافُ المعاني تقفزُ من عينيه الرائعتين:

- نحن رفاقُ فصلٍ إذن. سيعوّضني هذا كلَّ السّنوات التي فاتتني.

انهمرَ المطرُ ساعةً أُخرى، لكنّ الزّمنَ مرَّ سريعًا جدًّا. وحين تفرّقتِ الغيومُ، وأشرقَت شمسُ نوفمبرِ الشّاحبةِ فوقَ الميناءِ وقممِ الصّنوبرِ، سارتُ آن ورفيقها معًا في طريقِ العودَةِ. ولما بلغا بوابَةَ «بيت باتي»، طلبَ إذنَها لزيارتها، فمنحتَه ذلكَ.

دخلتُ آن البيتَ مُتوهّجةً الوجنتينِ، ونبضَ قلبها بقوة. فلم يحظَ راستي، الذي تسلّقَ حجرها وحاولَ لثمها، سوى باستقبالٍ باردٍ. إذ لم تكنُ بقلبها المفتونِ مستعدّةً للانتباهِ إلى قطِّ مقطوعِ الأذنين.

ذلك المساء، وردَ طردُ باسمِ الأَنَسَةِ آنَ شيرلي، كانَ عبارةً  
عنْ عُلْبَةٍ حَوَتْ باقَةَ وُرُودِ أَخَاذَةٍ. فانقَضَتْ فيلَ عَلى البِطَاقَةِ الَّتِي  
سَقَطَتْ مِنَ الباقَةِ، وقرأتِ الاسمَ، والعبارةَ الشاعريَّةَ المُدَوَّنةَ عَلى  
ظَهرِها، وتَعَجَّبَتْ قائِلَةً:

- رويال غاردنر! لم أعلم أنك تعرفين رويال غاردنر يا آن!  
شَرَحْتُ آن الأمرَ في عَجَلَةٍ:

- التقيتهُ والمطرُ يهطلُ، في المنتزه، هذه الظهيرة. انقلبتَ مطرِيتي  
رأسًا عَلى عَقِبِ، فعرضَ عليَّ المُساعدَةَ.

- اوه، وهل كان ذلك مدعاةً لإرسالِ كلِّ هذه الوردِ، مع  
أبياتِ رقيقة؟ أو سببًا لتضرُّجِنَا بالحُمرةِ عَندَ قِراءةِ البِطَاقَةِ؟  
فَضَحَتِكَ قِسماتُ وجهكِ يا آن.

- كفى هُراءَ يا فيل. هل تعرفين السيد غاردنر؟

- التقيتُ شقيقتيه، وأعرفُ عنه الكثير، أعني ما يعلمه الجميعُ  
في «كينغسبورت». إن آلَ غاردنرِ مِن أثريِّ أثرياءِ «البلونوز»  
في «نوبا سكوتيا». وهو رجلٌ وسيمٌ وذكيٌّ، اضطرَّ منذُ  
عامينَ لمُغادرةِ مَقاعدِ الجامِعةِ، والسَّفَرِ مَعَ أمِّهِ العَليَّةِ، لأنَّ  
والدَّه مُتوفٍ. لا بدَّ أَنَّهُ أُصِيبَ بِخِيبَةٍ أَمَلٍ كَبيرةٍ حِينَ اضطرَّ  
إلى هَجْرِ دراسَتِهِ، لكنْ، يُقالُ إنَّه قامَ بِذلكَ عَن طِيبِ خَاطِرِ.  
حسنًا، حسنًا، يا آن. أَشتمُّ رائحةَ الحُبِّ، وأكادُ أحسُّكَ عَليه،  
يعني، ليسَ تمامًا، فروي غاردنر ليسَ جوناس.

قالتُ آن بتعالٍ:

- أيتها المغفلة.

لكنها لم تستطع النوم تلك الليلة، أو الأصح أنها لم تشأ النوم،  
فقد كانت أحلام اليقظة أكثر إغراءً من أحلامه.

مكتبة

[t.me/soramnqraa](https://t.me/soramnqraa)



## ظهورُ كريستين

تميّأت الصّبايا في «بيت باقي» لحضورِ الحفلِ الَّذِي نظّمه طُلابُ السّنةِ الثّالثةِ على شرفِ طلبَةِ السّنةِ الثّانيةِ، في فبراير. نظرتُ آنَ إلى نَفْسِها في مرآةِ الغُرفةِ الزّرقاءِ برُضا طُفوليّ. ارتدتُ فُستانًا جميلًا، كانَ في الأصلِ تُنورةٌ بسيطةٌ مِنَ الحَريرِ الأَصْفَرِ البَاهتِ مَعَ رِداءٍ مِنَ نسيجِ حَريريّ، لكنّ فيلَ أصرّتُ على حَمَلِها مَعها إلى البَيْتِ في عُطلةِ الكريسماس، وتوشّيتهِ بِبِراعِمِ وُروِدِ صَغيرة. ولأنّ أصابعَ فيلِ بارعةٌ، كانتِ النّتيجةُ فُستانًا أَثارَ حَسَدَ جميعِ بناتِ «ريدمونند». فحتّى آلي بون، الّتي تردُّ فساتينُها مِنَ باريس، اعتادتِ النّظَرَ باشتهاءٍ إلى الثّوبِ البديعِ كُلّما اختالتُ فيه آنَ على السّلامِ الكَبيرةِ في «ريدمونند».

حينَ دَخَلتُ فيلَ ورمَقْتُها بِنظرتهاِ المُعجَبةِ، كانتُ آنَ تُجربُ الأثرَ الَّذِي تتركُه زهرةُ الأوركيدِ البيضاءِ في حَصلاتها. فقد أُرسلَ إليها روي غاردنرُ زهورَ الأوركيدِ البيضاءِ بِمُناسبةِ الحفلِ، وكانتُ تعلمُ ألاّ أَحَدَ مِنَ فتياتِ «ريدمونند» سيُحصِلُنَ على مِثلِها تلكَ اللَّيلةِ.

- آن، إِنِّهَا فُرْصَتُكَ لِتُبَدِّلَ وَسَامَتَكَ. فَأَنَا بَوَسْعِي أَنْ أُفُوكِ  
بَرِيقًا فِي تِسْعِ لَيَالٍ عَلَى عَشْرِ، وَهَذَا إِنَّكَ فِي اللَّيْلَةِ الْعَاشِرَةِ  
تُزْهِرِينَ لِتَحْجُبِيَنِي تَمَامًا. كَيْفَ تَقُومِينَ بِذَلِكَ؟

- إِنَّهُ الْفُسْتَانُ يَا عَزِيزَتِي! نَجَاحُهُ مُنْقَطِعُ النَّظِيرِ.

- لَا، لَيْسَ لِلْفُسْتَانِ عِلَاقَةٌ بِذَلِكَ. فِي آخِرِ لَيْلَةٍ أَشَعَّ فِيهَا  
جَمَالُكَ، ارْتَدَيْتِ فُسْتَانَكَ الْقَدِيمَ الْمَصْنُوعَ مِنَ الْفِلَانِيلِ  
الْأَزْرَقِ، الَّذِي خَاطَطَهُ لِكَ السَّيِّدَةِ لِينْد. إِذَا لَمْ تَسْلُبِي رُوي  
قَلْبَهُ وَعَقْلَهُ مِنْ قَبْلِ، فَإِنَّكَ فَاعِلَةٌ اللَّيْلَةَ، دُونَ شُكِّ. لَكِنِّي  
لَا أَحَبُّ زُهْرَةَ الْأُورِكِيدِ عَلَيْكَ يَا آن، وَلَا أَقُولُ هَذَا غَيْرَةً.  
لَا تَلَائِمُكَ زُهْرَةَ الْأُورِكِيدِ، فَحَسَب. إِنِّهَا غَرِيبَةٌ جِدًّا،  
وَاسْتِوَائِيَّةٌ جِدًّا، وَوَقِحَةٌ جِدًّا. لَا تَضْعِيهَا فِي شَعْرِكَ أَيَّا كَانَتْ  
الظُّرُوفُ.

- حَسَنًا، لَنْ أَفْعَلَ. أَعْتَرَفْتُ أَنِّي لَسْتُ شَغُوفَةٌ بِهَا، وَلَا أَظُنُّهَا  
تَلَائِمِي. كَمَا أَنَّ رُوي لَا يَرْسُلُهَا لِي غَالِبًا، فَهُوَ يَعْلَمُ أَنِّي  
أَحَبُّ الزُّهْرَةَ الَّتِي يُمَكِّنِي التَّعَاشِشَ مَعَهَا، بَيْنَمَا تَبْدُو أَزْهَارُ  
الْأُورِكِيدِ رَسْمِيَّةً تَصْلُحُ لِلزِّيَارَةِ فَحَسَب.

- أَرْسَلْتُ لِي جُونَسَ بَرَاعِمَ وَرُودِ زَهْرِيَّةٍ جَمِيلَةٍ، لَكِنَّهُ لَنْ يَأْتِيَ  
هَذَا الْمَسَاءَ. قَالَ إِنَّ عَلَيْهِ إِقَامَةً تَجْمَعُ لِلصَّلَاةِ بِأَحَدِ الْأَحْيَاءِ  
الْفَقِيرَةِ. أَعْتَقِدُ أَنَّهُ لَا يُرِيدُ الْمَجِيءَ. آن، أَخْشَى أَنَّ جُونَسَ لَا  
يُحْبِبُنِي. أُحَاوِلُ الْإِخْتِيَارَ بَيْنَ الْإِسْتِسْلَامِ لِلْمَوْتِ، وَمُواصَلَةِ  
دِرَاسَتِي وَالْحَصُولِ عَلَى الْإِجَازَةِ، وَالتَّحَلِّيِ بِرُوحِ الْمَسْئُولِيَّةِ.

- لا يُمكنك أن تكوني مُفيدةً ومَسْؤولةً في آنٍ واحدٍ يا فيل.  
لذلك يحسُنُ بكِ الاستِسْلامُ للموتِ.  
- أنتِ قاسيةٌ جدًّا يا آن.

- فيل الغبيّة. تعلّمين جيّدًا أنّ جوناس يُحبُّكِ.

- لكنّه لم يعترف لي بحبّه، ولا يُمكنني إجباره على ذلك. ومع  
أنّ الحُبَّ بادٍ عليه فعلاً، فإنّ لغة العيون لا يُمكنُ الوثوقُ بها  
لتطريز الأغطية والمفارش. لا أريدُ الشروعَ في الشغلِ قبل  
إتمامِ خطوبةٍ رسميّة. وسيكونُ ذلك بمثابة تحدٍّ للقدرِ.

- إنّ السيّد بلايك مُتخوِّفٌ من أن يطلبكِ للزواجِ يا فيل. إنّهُ  
فقيرٌ، ولا يستطيعُ توفيرَ مسكنٍ كالمسكنِ الذي عشتِ به.  
تعلّمين أنّ هذا هو السببُ الوحيدُ لصمته الطويلِ.

- أظنُّ ذلك. حسناً، إذا لم يطلبْ يدي، فسأطلبُهُ للزواجِ. هذا  
هُو الحلُّ. سيكونُ الأمرُ على مايرام، فأنا لستُ قلقّةً. بالمناسبة،  
جلبرت بلايث يلتقي كريستين ستوارت باستمرارٍ. أتعلّمين  
ذلك؟

كانت أن تُحاولُ شدَّ قِلادةٍ ذهبيّةٍ صغيرةٍ حولَ رقبتِها. وفجأةً،  
بدأ لها الأمرُ صعباً. فما خطبُ أصابعها؟

قالت دون اكتراث:

- لا علّم لي بالأمرِ، مَنْ تكونُ كريستين ستوارت؟

- شقيقةُ رونالد ستوارت. إنّها تدرّسُ الموسيقى في «كينغ

سبورت». لم ألتقِ بها، لكنّها، كما يقال، فاتنةٌ، وجلبرت مفتونٌ بحبّها. كم غضبتُ عليك حينَ رفضتِ جلبرت يا آن، لكنّ روي غاردنر قدرك. بوسعي رؤية الأمر. كنتِ على حقٍّ في نهاية المطاف.

لم تتصرّج آن بالحُمرة، كدأبها كلّما افترضتِ الفتياتُ أن زواجهما من روي غاردنر أمرٌ مفروغٌ منه. وشعرتُ بالضجرِ دفعةً واحدة. كما بدا لها حديثُ فيل تافها، وصارتِ السهرةُ مملّة. فلکمتُ أذني راستي المسكين.

- ابتعد عن تلك الوِسادةِ حالاً أيّها القِطّ. لم لا تبقى أرضاً؟  
التقطتُ زهورَ الأوركيد، وهبطتُ إلى الدّورِ الأرضي، حيثُ كانتِ العمّةُ جايمسينا تُمسكُ ببعضِ المعاطفِ أمامَ المدفأةِ لتبقيَ على دفيئها. انتظرَ روي غاردنر آن، وهو يُداعِبُ القِطّةَ سارةَ التي لم يعجبها ذلك، فظلتُ تُديرُ ظهرَها له. لكنّ الجميعَ في «بيت باي» كان مُعجباً به. قالتِ العمّةُ جايمسينا التي فتنّتها كياسته ولباقته، ونبراتُ صوته المتوسّلة، إنّه ألطفُ رجلٍ عرفته في حياتها، وأنّ آن محظوظةٌ فعلاً. فجعلتُ ملاحظتها أنّ تتملّمل. كانتُ مُغازلةً روي على قدرٍ من الرّومانسيّة التي ينشدها قلبُ أيّ فتاة، لكنّها تمنّت لو أنّ العمّةُ جايمسينا والفتياتِ الأخرياتِ لم يتعاملنَ مع الأمرِ وكأنّه مفروغٌ منه. وحينَ همّسَ روي بعباراتِ الإطراء، وهو يُساعدُها على ارتداءِ معطفِها، لم تتصرّج خجلاً كالاعتاد، وألفاها صامتةً طيلة مَسيرِهما القصيرِ إلى «ريدموند». بدتُ له شاحبةً قليلاً

حِينَ خَرَجْتُ مِنْ غُرْفَةٍ تَبْدِيلِ مَلَابِسِ الطَّالِبَاتِ، لَكِنَّهَا اسْتَعَادَتْ  
نَضَارَتَهَا وَبَرِيقَهَا بَعْتَةً، وَهُمَا يَلْجَانِ بِهِوَ الاسْتِقْبَالِ، حَيْثُ التَّفْتَتُ  
نَحْوَهُ فِي بَهْجَةٍ، فَمَنْحَهَا ابْتِسَامَةً عَمِيقَةً مُخْمَلِيَّةً، كَمَا تَقُولُ فَيْلٌ. لَكِنَّهَا  
لَمْ تَرَ رُوي فِي الْوَاقِعِ، وَإِنَّمَا انْتَبَهَتْ إِلَى جَلْبَرَتِ الْوَاقِفِ فِي ظِلَالِ  
النَّخِيلِ يَتَحَدَّثُ إِلَى فَتَاةٍ خَمْنَتْ أَتْمَا كَرِيسْتِينَ سْتِيوَارْتِ.

كَانَتْ الْفَتَاةُ جَمِيلَةً جِدًّا، وَطَوِيلَةً، وَذَاتَ عَيْنَيْنِ زَرْقَاوَيْنِ وَاسِعَتَيْنِ  
دَاكِنَتَيْنِ، وَقَسَمَاتٍ عَاجِيَّةٍ، وَشَعْرٍ فَاحِمٍ وَنَاعِمٍ.

أَسْرَتْ أَنْ فِي نَفْسِهَا، «إِنَّهَا تَبْدُو بِمَظْهَرٍ طَالِمًا أَرْدُثُهُ: بَشْرَةٌ  
زَهْرِيَّةٌ، وَعَيْنَانِ لَامِعَتَانِ، وَشَعْرٌ أَسْوَدٌ كَلَوْنِ الْغُرَابِ. إِنَّهَا تَمْلِكُ كُلَّ  
شَيْءٍ، لَكِنِّي لَا أَظُنُّ قَوَامَهَا أَفْضَلَ مِنْ قَوَامِي، كَمَا أَنَّ أَنْفِي أَفْضَلُ  
بِالتَّأَكِيدِ».

شَعُرْتُ أَنْ بَعْضَ الْارْتِيَاكِ إِثْرَ هَذِهِ الْخُلَاصَةِ.

(27)

## أسرار مُتبادلة

حلَّ شهرُ مارسٍ وديعًا كَحَمَلٍ، ذلكَ الشّتاء. وحلّت معه أيامٌ جميلةٌ أعقبتها ساعاتٌ شَفَقٍ ورَدِيٍّ تَبَدَّدَ شيئًا فشيئًا وسَطَّ سماءٍ يُضيئُها القَمَرُ. وخيمَ شَبَحُ امتحاناتِ أبريلَ على أذهانِ فتياتِ «بيتِ باتي» اللّواتي درسنَ بجدٍّ، بما فيهنَّ فيل التي استكانتُ لكتُبها ودفاتِرِها بعنادِها المُعتاد.

- سوفَ أحصلُ على مِنحةٍ جونسونٍ لِدِراسَةِ الرِّياضيّاتِ. بوسعي الحِصُولُ على مِنحةٍ لِدِراسَةِ اللُّغَةِ الإِغريقيّةِ بسُهولةٍ، لكنني أَفضَلُ مِنحةَ الرِّياضيّاتِ لِأُثبِتَ لجوناسِ أنّي ذكيّةٌ جِدًّا. قالتُ آن:

- يُحِبُّ فيكِ جوناسُ عَينيكِ الواسِعَتَينِ العَسليّتينِ، وابتسامَتِكَ، أَكثَرَ مِن ذَهِنِكَ المَخفيِّ خَلْفَ جَدائِلِكَ. قالتُ العمّةُ جايَمسِينا:

- في صباي، لم يكنْ على السّيّداتِ أنْ يَعْلَمَنَّ شيئًا عَنِ الرِّياضيّاتِ. لكنّ الزّمنَ تَغَيَّرَ، ولا أَعْلَمُ إنْ كانَ قَدَ تَغَيَّرَ نَحْوُ الأفضَلِ. هلْ تُجيدِينِ الطَّبْخَ يا فيل؟

- لا، لم أطمح شيئاً في حياتي غير فطيرة الزنجبيل، ولم تكن جيدة. لكن، لو شرعت في تعلم الطهي، ألا تظنين أن ذهني القادر على الفوز بمنحة دراسية، سيكون قادراً على إجادة الطهي أيضاً، يا عمّتي؟

- ربّما. لا أعرّض على دراسة الفتيات، فقد حصلت ابنتي على درجة الماجستير، لكنني لقتها الطهي قبل أن يعلمها الأستاذ الرياضيات، فأجادته أيضاً.

في مُنتصفِ مارس، وردت رسالة من الأنسة باتي سبوفورد، تقول فيها إنها قرّرت، برفقة الأنسة ماريا، البقاء خارج البلاد سنة إضافية. وكتبت أيضاً:

«بوسعك البقاء في «بيت باتي»، الشتاء القادم أيضاً. ستتجول في مصر، لأنني أريد أن أرى أبا الهول قبل موّتي».

ضحكت بريسيلا وقالت:

- تخيلن السيدتين تتجولان في مصر. هل ستواصلان الحياة أثناء النظر إلى أبي الهول؟

قالت ستيللا:

سعدت جداً بالبقاء في «بيت باتي» سنة أخرى. فقد توجّست عودتهما، وضياع عشنا الجميل الصغير، واضطرارنا، نحن الكتاكيت الصغيرة، إلى العودة إلى جحيم السكن الداخلي.

قالت فيل، وهي تُنحي كُتُبها جانباً:

- سأَتَسكَّعُ فِي الْمُنْتَزِهِ، فَحِينَ أَبْلُغُ الشَّمَانِينَ، سَأَكُونُ شَاكِرَةً لِأَنِّي  
خَرَجْتُ لِلتَّنَزُّهِ هَذِهِ اللَّيْلَةَ.

سَأَلْتُهَا آنَ:

- مَاذَا تَعْنِينَ؟

- تَعَالِي مَعِي!، وَسَأُخْبِرُكَ يَا عَزِيزَتِي.

أثناء سيرهما، تركتا نفسيهما لِسِحْرِ الْمَسَاءِ الرَّبِيعِيِّ وَفَتْنَتِهِ، إِذْ  
كَانَ الْمَسَاءُ هَادِئًا، يُلْفَهُ الصَّمْتُ وَالسَّكِينَةُ. سَارَتِ الْفَتَاتَانِ فِي دَرْبٍ  
أَحَاطَتْ بِهِ أَشْجَارُ الصَّنُوبَرِ، فَقَادَهُمَا نَحْوَ مَغِيبِ شَمْسٍ شَتْوِيٍّ أَحْمَرَ.

أَعْلَنْتُ فِيلَ قَائِلَةً:

- لَوْ كُنْتُ أَجِيدُ الْكِتَابَةَ، لَعُدْتُ إِلَى الْبَيْتِ فَوْرًا، وَكَتَبْتُ  
قَصِيدَةً عَنْ كُلِّ هَذَا الْجَمَالِ هُنَا، عَنِ السَّكُونِ الْمُهَيْبِ، وَتِلْكَ  
الْأَشْجَارِ الدَّاكِنَةِ الَّتِي تَبْدُو مِنْهُمْ كَمَكَّةٍ فِي التَّفْكِيرِ.

قَالَتْ آنَ بَرَفِقٍ:

- طَالَمَا كَانَ الْغَابُ أَوَّلَ الْمَعَابِدِ. فَلَيْسَ بِيَسَعِ الْمَرْءِ إِمْسَاكَ نَفْسِهِ  
عَنِ الْخُشُوعِ فِي مَكَانٍ كَهَذَا. أَشْعُرُ بِقُرْبِي مِنَ الرَّبِّ كُلَّمَا  
سَرْتُ بَيْنَ أَشْجَارِ الصَّنُوبَرِ.

- آنَ، أَنَا أَسْعِدُ فَتَاةً فِي الْكُونِ.

- طَلَبَ السَّيِّدُ بِلَايِكَ يَدِكَ إِذْنًا؟

- نَعَمْ.

وَتَثَاءَبْتُ ثَلَاثًا أَثناءَ ذَلِكَ، ثُمَّ أَرْدَفْتُ:



- أوليس الأمرُ فظيعةً؟ لكنني قلتُ «نعم» قبل أن يُنهي طلبه،  
لأنني خَشِيتُ أن يُغيِّرَ رأيه، ويتوقَّف. أنا سعيدةٌ حتى الثَّمَالَةِ.  
لم أصدِّقُ أنَّ جوناَسَ قد يُحِبُّني أنا، العابِثَةُ، الطَّائِشَةُ.

- فيل، لستِ طائِشَةٌ حقًّا. فخلَّفَ مظهرَ العابِثِ المُخْفِينِ أنوثَةً  
ورُوحًا مُخْلِصَةً. لماذا تحجِّبين تلكَ الرُّوحَ؟

- لا أملكُ شيئًا إزاءَ الأمرِ أَيُّهَا المملِكةُ آن. أنتِ على حقٍّ،  
فلستِ عابِثَةً، لكنَّ شيئًا مِنَ الطَّيْشِ يُغْلَفُ قَلْبِي، ولا أَسْتَطِيعُ  
التَّخْلُصَ مِنْهُ. غَيْرَ أنَّ جوناَسَ يَعْرِفُ مَعْدِنِي، وَيُحِبُّني كما أَنَا،  
بَطِيشِي، وبكلِّ شيءٍ، وَأَنَا أَبَادِلُهُ الحُبَّ. لم يفاجئني شيءٌ في  
حياتي مِثْلَ اكتشافي أَنِّي أَحْبَبُهُ. فلم يَدُرْ بِخَلْدِي أَنِّي قَدِ أَقَعُ في  
حُبِّ رَجُلٍ قَبِيحٍ. تخيَّلي أَنِّي سَأَسْتَقَرُّ مَعَ رَجُلٍ وَاحِدٍ قَبِيحٍ،  
وَيُدْعَى جوناَسَ. لكنني سَأَدْعُوهُ جو، فهو اسمٌ لَطِيفٌ، بَيْنَمَا  
لَمْ يَكُنْ بوسعي إِطْلَاقُ كُنْيَةٍ عَلَى ألونزو.

- بالمُناسبة، ماذا عن أليك وألونزو؟

- اوه!، أَخْبَرْتُهُمَا أَثناءَ عَطْلَةِ الكريسماس أَنِّي لَنْ أَتَزَوَّجَ أَيًّا  
مِنْهُمَا. في الحَقِيقَةِ، أَضْحَكُ كُلَّمَا تَذَكَّرْتُ أَنِّي فَكَّرْتُ في الزَّوْاجِ  
مِنْ أَحَدِهِمَا. شعُرا بِأَسَى شَدِيدٍ، حَتَّى بَكَيْتُ مِنْ أَجْلِهِمَا،  
لكنني تَأَكَّدْتُ مِنْ أَنِّي لَنْ أَكُونَ زَوْجَةً إِلَّا لِرَجُلٍ وَاحِدٍ في  
هَذَا العَالَمِ. فَقَدِ اتَّخَذْتُ قَرَارِي لِأَوَّلِ مَرَّةٍ، وَكَانَ الأَمْرُ سِيرًا  
أَيْضًا. سُرِرْتُ لِشعورِي بِالثِّقَةِ، وَعَلِمْتُ أَنَّهَا قَرَارٌ شَخْصِيٌّ،  
وَلَيْسَتْ مَسْؤُولِيَّةَ الأَخْرِينِ.

- أَوَاطِقَةٌ مِنْ أَنَّكَ سَتُثَابِرِينَ عَلَى ذَلِكَ؟

- أَتَعْنِينَ الْمُثَابِرَةَ عَلَى الْقَرَارِ الَّذِي اتَّخَذْتَهُ؟ لَا أَعْلَمُ، لَكِنْ جَوَّ مَنَحْنِي قَاعِدَةً رَائِعَةً مُفَادُهَا أَنَّهُ يَتَوَجَّبُ عَلَيَّ، كُلَّمَا احْتَرْتُ، الْقِيَامَ بِشَيْءٍ سَأْتَمُّ حِينَ أَبْلُغُ الثَّمَانِينَ مِنْ عُمْرِي لَوْ أَسْتَطِيعُ الْقِيَامَ بِهِ. عَلَى كُلِّ حَالٍ، يَتَّخِذُ جَوَّ قَرَارِهِ سَرِيعًا، وَلَنْ يَكُونَ جَيِّدًا جَمْعُ ذِهْنَيْنِ مُتَّقِدَيْنِ تَحْتَ سَقْفٍ وَاحِدٍ.

- مَاذَا سَيَكُونُ رَأْيِي وَالِدَيْكَ؟

- لَنْ يَقُولَ أَبِي الْكَثِيرَ. إِنَّهُ يَرَى أَنِّي أَفْعَلُ الصَّوَابَ دَائِمًا، لَكِنْ أُمِّي سَتَتَحَدَّثُ طَوِيلًا. غَيْرَ أَنَّ الْأُمُورَ، فِي النَّهَايَةِ، سَتَكُونُ عَلَى مَا يُرَامُ.

- سَتُضْطَرِّينَ إِلَى التَّخَلِّيِّ عَنِ أُمُورٍ عَدِيدَةٍ حِينَ تَتَزَوَّجِينَ السَّيِّدَ بِلَايِكَ.

- لَكِنِّي سَأَحْصِلُ عَلَيْهِ، وَلَنْ أَشْتَاقَ أَيَّ شَيْءٍ آخَرَ. سَتَتَزَوَّجُ فِي غُضُونِ سَنَةٍ، فِي يُونِيُو الْمُقْبِلِ. سَيَتَخَرَّجُ جَوَّ مِنْ «سَانْتِ كُولُومْبِيَا» هَذَا الرَّبِيعِ، وَيَتَقَلَّدُ مَسْئُولِيَّةَ كَنِيسَةٍ صَغِيرَةٍ فِي شَارِعِ «بَاتْرَسُون» فِي أَحَدِ الْأَحْيَاءِ الْفَقِيرَةِ. تَحْيَلِينِي أَعِيشُ فِي أَحَدِ الْأَحْيَاءِ الشَّعْبِيَّةِ! لَكِنِّي سَأَذْهَبُ مَعَهُ حَتَّى إِلَى جَبَلِ جَلِيدِي فِي «غَرِينْلَانْد»<sup>(1)</sup>.

(1) أكبر جزيرة في العالم، وهي بلد عضو في مملكة الدنمارك، وعاصمتها نوك. تقع بين منطقة القطب الشمالي والمحيط الأطلسي، شمال شرق كندا.

- أهذه هي الفتاة التي لن تتزوج سوى رجلٍ ثريٍّ؟

- لا تُذكّريني بطيشِ الشّباب! سأعيشُ الفقرَ بسعادةٍ، مثلما عشتُ ثريةً سعيدةً. سترين! سأتعلمُ إجادةَ الطهيِّ وحياسةَ فسائيني. لقد تعلمتُ التسوّقَ منذ قننتُ بيتَ باي، ودرّستُ بمدرسةِ الأحدي صيفًا بأكمله. تقولُ السيّدةُ جايمسينا إنّي سأقضي على مَسيرةِ جوناس المهنيّةِ إذا تزوّجته. أعلمُ أنّي لستُ على قدرٍ كافٍ من الوعيِّ والرّصانةِ، لكنني أملكُ ما هو أفضلُ من ذلك: قدرتي على جعلِ الجميعِ يُحِبّيني. يقولُ رجلٌ يُتأتى في كنيسةِ «بولينغ بروك»، «إذا لم تستطعْ أن تُشعَّ مثلَ فانوسِ كهرَبائيٍّ، فتوهّجِ مثلَ شمعةٍ»، وسأكونُ شمعةً جو المضيئة.

- كم أنت عنيدةٌ، يا فيل! حسنًا، أحبّك إلى درجةٍ عجزي عن تهنّتكِ بعباراتٍ رنانةٍ، لكنني سعيدةٌ لأجلِكِ من كلِّ قلبي.

- أعلمُ! فهذه العيونُ الواسعةُ تفيضُ بمعاني الصّداقةِ الحقّةِ يا آن. سأبدو يومًا ما بنفسِ المظهر. ستزوّجين روي، أليسَ كذلك؟

- عزيزتي فيليبا، لن أقبلَ بأيِّ رجلٍ أو أرفضه قبل أن يطلبَ يدي.

- الجميعُ في «ريدموند» يعلمُ أنّ روي مفتونٌ بك، وأنّكِ أيضًا تُحِبّينه يا آن، أليسَ كذلك؟

- أظنُّ ذلك.

شعرت أن أنه يجدرُ بها التّضرُّجُ حياءً، حين تعترفُ على هذا النحو، لكنّ ذلك لم يحصل. غير أنها تحمّرُ بشدّة حين يتحدثُ أحدهم أمامها عن جلبرت بلايث، أو كريستين ستوارت. لم يعد جلبرت بلايث وكريستين ستوارت يعينان لها شيئاً، لا شيء إطلاقاً. ولم تعد تُحاول إدراك سرّ تضرُّجها كلّما ذكّر اسمُ جلبرت أمامها. أمّا روي، فتحبه بجنونٍ، طبعاً. إذ كيف لها مقاومة تلك العيون الدّاكنة، وذلك الصّوت المُستعطف؟ ألم تحسّها نصفُ فتيات «ريدmond» عليه؟ والقصيدة الرّائعة التي أرسلها إليها يوم ذكرى ميلادها مُرفقةً بباقة البنفسج، والتي حفظتُ آن كلماتها عن ظهر قلب! كانت قصيدةً فريدةً من نوعها. فمع أنّها لا تُضاهي أشعارَ كيتس أو شيكسبير، إلّا أنّها تستحقّ النشرَ بإحدى المجلّات. فقد كانت باسمها، وليس باسم لورا أو بياتريس أو عذراء أثينا، وإنّما باسمها، آن شيرلي. قالت أبياتها في إيقاعٍ جميلٍ إنّ عينيها مثل نُجومِ الصّباح، وإنّ وجنتيها سرقتا حُمّرتها من إشراقِ الشّمسِ، بينما ضاهى لونُ شفّتها لونَ وُردِ الجنّة، وكان ذلك شاعريّاً إلى أبعدِ الحُدود. لم يحلم جلبرت بكتابة قصيدةٍ حتّى عن حاجبيها، لكنّه كان قادراً على فهمِ النكات، عكس روي الذي قالت له ذات مرّة دُعاةً، فلم يدرك مغزاها. وتذكّرت فقهاتها صُحبة جلبرت من أثر الدُّعاةِ نفسها، تلك التي لم تُحرك لروي ساكناً، وتساءلتُ عمّا إذا كانت الحياةُ مع رجلٍ لا يمتلكُ حسّ الدُّعاةِ مملّةً بمرورِ الزّمن. لكن، مَنْ يطلبُ من بطلِ سوداويٍّ وغامضٍ إدراكَ طبيعةِ الأشياءِ المُضحكة؟ سيكون الأمرُ حتماً ضرباً من المغالاة.

(28)

## ذاتِ مَسَاءٍ فِي يُونِيُو

تَسَاءَلْتُ أَنْ «كَيْفَ سَيَبْدُو الْعَيْشُ فِي عَالَمٍ تَكُونُ كُلُّ شَهْوَرِهِ  
شَهْرَ يُونِيُو»، وَهِيَ تَعْبُرُ بَسْتَانَ الْكُرُومِ، حَيْثُ تَتَضَوَّعُ رَوَائِحُ  
التَّوَابِلِ، وَتَصْعَدُ السَّلَامُ الَّتِي جَلَسْتُ عَلَيْهَا مَارِيَلَا بِرَفَقَةِ السَّيِّدَةِ  
لِينْدَا، تَتَحَدَّثَانِ عَنِ جَنَازَةِ السَّيِّدَةِ سَامْسُونِ كُوتْسِ الَّتِي حَضَرَتَاهَا،  
ذَلِكَ الْيَوْمَ، بَيْنَمَا جَلَسْتُ دُورًا بَيْنَهُمَا، تُرَاجِعُ دُرُوسَهَا، وَجَلَسَ  
دَايْفِي عَلَى الْعُشْبِ، مَتَجَهِّمًا وَكَثِيْبًا. تَنْهَدْتُ مَارِيَلَا قَائِلَةً:

- لَكِنَّكَ سَتَمَلِّينَ ذَلِكَ.

- رَبِّمَا، لَكِنِّي أَشْعُرُ فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ أَنَّ الصَّجَرَ لَنْ يَتَابَنِي قَبْلَ  
زَمَنِ طَوِيلٍ، خَاصَّةً إِذَا كَانَتْ كُلُّ الْآيَامِ بِجَمَالِ هَذَا الْيَوْمِ.  
الْجَمِيعُ يَحِبُّ شَهْرَ يُونِيُو. لِمَاذَا تَبْدُو سَحْتُكَ حَزِينَةً كَأَيَّامِ  
نُوفَمْبَرٍ، بَيْنَمَا أَنْتَ فِي شَهْرِ تَفْتُحِ الْبَرَاعِمِ يَا دَايْفِي؟

قَالَ الْمُتَشَائِمُ الصَّغِيرُ:

- أَتَعْبَتَنِي الْحَيَاةُ، وَسِئْمَتُهَا.

- يَا إِلَهِي!، بَسْنَ الْعَاشِرَةَ؟ هَذَا أَمْرٌ حَزِينٌ.

قَالَ دَايْفِي:

- لستُ أمزح.

ونطقَ الكلمةَ بصُعوبَةٍ:

- لقد خارتُ قواي.

جلستُ آنَ حذوه، وسألته:

- لماذا؟

- لأنَّ المدرّسةَ الجديدةَ التي تُعوّضُ السيّدَ هولمز أثناءَ مرّضه، فرضتُ عليّ إنجازَ عشرِ عمليّاتٍ جمعٍ، سأستغرقُ كاملَ يومٍ الغدِ في إنجازها كي تكونَ جاهزةً يومَ الاثنين. وليسَ عدلاً أنْ أدرّسَ يومَ السّبت. قال ميلتي بولتر إنّه لن يُنجزها، لكنّ ماريلا قالتُ إنّي مُضطرٌّ لذلك. لا أحبُّ الأنسةَ كارسون كثيراً.

قالتُ ماريلا بحزم:

- لا تتحدّثُ عن مُدرّستك على هذا النّحو، يا دايفي كايث! الأنسةُ كارسون لطيفةٌ جدّاً، وجديّةٌ أيضاً.

ضحكتُ آن، وقالتُ:

- لا يبدو الأمرُ مُمتعاً. أحبُّ النّاسَ الذينَ بهم شيءٌ من الجنون، وأعرفُ عن الأنسةِ كارسون أكثرَ منك. فقد رأيتها في الكنيسةِ ليلةَ أمس، وهي ذاتُ عينيّن لا تُظهِرانِ نفسَ القدرِ من الجديّةِ دائماً. والآن، يا دايفي، استجمعِ شجاعتك، وغداً أمرٌ آخرٌ. سأساعدك على إنجازِ عمليّاتِ الجمعِ بكلِّ

مَا أوتيتُ مِنْ جُهدٍ. لا تُضِعْ هذه اللَّحظةَ الجميلةَ في القَلْبِ  
على تمارينِ الرِّياضيَّاتِ.

- حسناً، لَنْ أفعل. إذا ساعدتني على حلِّ تمارينِ الجُمعِ،  
فسأنتهي منها قبلَ مُرافقةِ ميلتي إلى صيدِ الأسماكِ. تمنيتُ لو  
صارتُ جنازةَ السيِّدةِ آتوسا غداً، وليسَ اليومَ. فقد أردتُ  
حُضورَها لأنَّ ميلتي ادَّعى أنَّ أمَّه قالتُ إنَّ السيِّدةَ آتوسا  
ستنهضُ من نعشِها وتتفوهُ بأشياءٍ ساحرةٍ أمامَ الناسِ الذينَ  
سيحضرونَ دفنها. لكنَّ ماريلا نفَتَ ذلكَ.

قالتِ السيِّدةُ ليند بوقارٍ:

- رقدتُ آتوسا المسكينةُ في نعشِها بِسلامٍ. لمَ أرَ أسارىَها  
مُنفرجةً من قَبْلِ. حسناً، لمَ تُذرفُ دُموعُ غزيرةً بشأنِها، تلكَ  
العجوزِ البائسةِ. وإنَّا امتنَّ آلُ إيشا رايتس للتخلُّصِ منها،  
ولا يُمكنني لو مُهمهم على ذلكَ.

قالتُ آن:

- إنَّه أمرٌ مروِّعٌ أن تُغادرَ الحياةَ دونَ تركِ أحدٍ يحزنُ على فراقِكَ.  
قالتِ السيِّدةُ ليند:

- لمَ يُحبُّ آتوسا أحدٌ غيرَ والديها. هذا مُؤكَّد، ولا حتَّى  
زوجها. كانتُ رابعَ زوجاته، فقد كان مِزواجاً، ولمَ يُعمرُ  
غيرَ سنواتٍ قليلةٍ بعدَ زواجِها. قالَ الطَّبيبُ إنَّه ماتَ بسببِ  
التُّخمةِ، لكنِّي أوكدُ أنَّه ماتَ بسببِ لسانِ آتوسا اللاذعِ. يا

للمسكينة!، طالما عرفت كل شيء حول جيرانها، لكنها لم تعرف نفسها جيداً، قطّ. حسناً، لقد رحلت على أي حال، وأظن زفاف ديانا محطتنا القادمة.

تنهدت آن، وهي تنظر إلى النور المتوهج في غرفة ديانا من خلال فرجة في الغابة المسحورة.

- من المضحك والمروع في آن واحد أن نرى ديانا تتزوج.  
قالت السيدة ليند بتعاطف:

- لا أرى ما المريع في زواجها، فهي تُبلي البلاء الحسن. زيادةً على أن فريد رايت يملك ضيعةً طيبةً، وهو شابٌ مثاليٌّ.

- ليس كذلك الشاب الهمجّي الخبيث الذي أرادت ديانا الزواج منه من قبل. فريدٌ طيبٌ جداً.

- هكذا تسير الأمور. أتريدين أن تتزوج ديانا رجلاً شريراً؟  
أو أن تتزوجيه أنتِ مثلاً؟

- اوه!، لا، لا أودُّ الزواج من رجلٍ مكرٍ، لكنني أريده من النوع الذي يحمل بعض المكر ولا يُظهره، لأن فريدٌ طيبٌ أكثر من اللزوم.

قالت ماريلا:

- أَرَجُو أن تتحلّي ببعض الحكمة يوماً.

تحدّثت ماريلا بمرارة، وشعرت بخيبة أمل. فهي تعلم أن آن رفضت جلبرت بلايث، وأن الجميع في «أفونلي» يتحدّث عن الأمر



الَّذِي تَسْرَبَ بِطَرِيقَةٍ غَامِضَةً. رُبَّمَا حَمَنَ تشارلي سلون الأمر، ونَشَرَهُ  
عَلَى الْمَلَأِ كَحَقِيقَةٍ، أَوْ رُبَّمَا أَفْشَتْ ديانا الحِكَايَةَ لِفَرِيدِ الَّذِي لَمْ يَسْتَطِعْ  
أَنْ يَكْتُمَ الْأَمْرَ.

على كُلِّ حَالٍ، صار الخبرُ معلومًا، ولمْ تُعَدِّ السَّيِّدَةُ بلايْث تَسْأَلُ  
أَنْ عَنِ أَخْبَارِ جَلْبِرت، وَإِنَّمَا صَارَتْ تُقَابِلُهَا بِرُودِ. تَأَلَّمْتُ أَنْ، الَّتِي  
طالما أَحَبَّتْ وَالِدَةَ جَلْبِرت الودودة، مِنَ الْأَمْرِ، خِيفَةَ. لَمْ تَقُلْ ماريلا  
شَيْئًا، لَكِنَّ السَّيِّدَةَ لِينْدَ أزعجتْ أَنْ كَثِيرًا بِسَبَبِ الْأَمْرِ، حَتَّى نَقَلْتُ  
والدَّةُ مودي سبورجون ماكفيرسون إِلَيْهَا إِشَاعَةً تُفِيدُ أَنْ لَأَنْ خَلِيلًا  
آخَرَ مِنَ الْجَامِعَةِ، ثَرِيًّا وَوَسِيمًا وَطَيِّبًا فِي أَنْ وَاحِدٍ. لَزِمَتْ السَّيِّدَةُ لِينْدَ  
الصَّمْتِ بَعْدَ ذَلِكَ، رَغْمَ أَنَّهَا مَا زَالَتْ تَتَمَنَّى لَوْ أَنَّ أَنْ قَبِلْتُ بِجَلْبِرت.  
فَالثَّرَاءُ أَمْرٌ جَيِّدٌ، لَكِنَّ، حَتَّى السَّيِّدَةُ رايْتشل ذات التَّفْكِيرِ السَّلِيمِ،  
لَا تُعَدُّهُ أَمْرًا أَساسِيًّا. وَلَوْ كَانَتْ أَنْ تُحِبُّ ذَلِكَ الوَسِيمَ المَجْهُولَ  
أَكْثَرَ مِنْ جَلْبِرت، لما كان هناك ما يُقَالُ، لَكِنَّ السَّيِّدَةَ رايْتشل تُحْشَى  
عَلَى أَنْ مِنَ الوُقُوعِ فِي خَطِئِ الزَّوْاجِ مِنْ أَجْلِ المَالِ. أَمَّا ماريلا، فَلَمْ  
تُحْشَ شَيْئًا، لِأَنَّهَا تَعْرِفُ أَنْ جَيِّدًا، لَكِنَّهَا شَعُرَتْ أَنْ خَطْبًا مَا أَلَمْ بِسَيْرِ  
الأُمُورِ الطَّبِيعِيِّ.

قَالَتِ السَّيِّدَةُ رايْتشل بِكَابَةِ:

- مَا قُدَّرَ سَيَحْدُثُ. لَكِنِّي لَنْ أُسْتَطِيعَ قُبُولَ مَا سَيَحْدُثُ لَأَنْ،  
إِذَا لَمْ يَتَدَخَّلِ القَدْرُ.

تَنَهَّدَتِ السَّيِّدَةُ رايْتشل. فَقَدْ حَشِيَتْ أَلَّا يَتَدَخَّلَ القَدْرُ، وَلَمْ  
تَكُنْ تَجْرُؤُ عَلَى التَّدَخُّلِ بِنَفْسِهَا.

تجولت آن حتى بلغت الغابة المسكونة بالذكريات، وأحاطت بها نباتات السرخس، أسفل شجرة الصنوبر الكبيرة، حيث اعتادت الجلوس برفقة جلبرت، في مواسم الصيف الماضية. أما هذا الصيف، فقد عاد إلى عمله بالجريدة، حين أغلقت الجامعة أبوابها، وصارت «آفونلي» مملّة دونه. لم يرأسها قط، واشتاق أن إلى رسائله التي لم تأت أبدا. لكن روي يكتب إليها مرتين في الأسبوع، وكانت رسائله الرائعة جديرة بالنشر في سيرة ذاتية. وحين قرأتها آن، أحست أنها تحبه أكثر من ذي قبل، لكن قلبها لم ينبض تلك النبضة الموجهة السريعة كما فعل يوم سلمتها السيدة هيرام سلون ظرفا معنوناً بخط جلبرت الداكن المستقيم. ركضت آن إلى البيت، وفتحت الظرف بلهفة، لتجد نسخة مرقونة من تقرير إحدى الجمعيات بالكلية، لا أكثر ولا أقل. فضربت بالورقة عرض الحائط، وجلست تكتب رسالة رقيقة لروي.

لم يعد يفصلهم عن زفاف ديانا سوى خمسة أيام. فغمرت أشغال الحبز والطهي البيت الرمادي في «أوركارد سلوب» استعداداً للمأدبة العشاء الضخمة التي ستقام. وكما تم الاتفاق على ذلك منذ كانوا في الثانية عشرة من عمرهم، ستقوم آن بدور إشبينة ديانا، ويلعب جلبرت دور الإشبين. استمتعت آن بجميع التحضيرات المتنوعة، لكن فؤادها كان يحمل ألماً طفيفاً لأنها ستفقد صديقها القديمة بشكلٍ ما. فمسكن ديانا الجديد على بُعد ميلين من «غرين غايلز»، ولن تتواصل رفقتهما القديمة الدائمة. نظرت آن إلى أنوار بيت ديانا

الَّتِي لَنْ تُشَعَّ فِي أَمْسِيَاتِ الصَّيْفِ مُجَدِّدًا، وَتَرْقُرُقُ دَمْعَتَانِ غَلِيظَتَانِ  
مُوجَعَتَانِ فِي عَيْنَيْهَا الرَّمَادِيَّتَيْنِ، وَأَسْرَّتْ فِي نَفْسِهَا: «اوه، مِنْ الْمُؤَلَمِ  
أَنْ يَكْبُرَ الْمَرْءُ، وَيَتَزَوَّجَ، وَمَنْ ثَمَّ يَتَغَيَّرُ».

(29)

## زَفَافُ دِيَانَا

قالت آن، وهي تزين باقة ديانا بشريطٍ أبيض، في غرفتها بأوركارد  
سلوب:

- الورودُ الحقيقيةُ الوحيدةُ هي الورودُ زهريةُ اللون، وهي  
زهورُ الحبِّ والإخلاص.

وقفت ديانا قلقةً في منتصفِ الغرفة، وجرت خلفها فستانُ  
الزَّفافِ الأبيضِ الطويلِ، والطَّرحةُ التي تلفُ جدائلها السوداءً  
مثل نُدْفِ الثَّلج. وقد وضعتُ آن الطَّرحةَ تنفيذًا لاتِّفاقِ شاعريِّ  
قديمٍ بينهما.

ضحكتُ آن:

- مثلما تخيلتُك من قبل، حين حزنتُ لزواجك الوشيكِ  
وفراقنا. أنت عروسُ أحلامي يا ديانا، وأنا إشيبتُك. وقلبي  
ليس مفطورًا تمامًا، ولا أبغضُ فريد.

- لن نفرقُ يا آن، فلن أذهبَ بعيدًا. سنحبُّ بعضنا بعضًا أكثر  
من ذي قبل. طالما حافظنا على قسَمِ الصِّداقةِ التي أقسمنا  
عليها منذُ زمنٍ بعيدٍ، أليس كذلك؟

- نعم، حافظنا عليها بإخلاص، فظلت صداقةً رائعةً، يا ديانا. لم نفسدها يوماً بخصومةٍ، أو ببرودةِ المشاعر، أو حتى بكلمةٍ مؤذيةٍ، وأرجو أن تستمرّ، إلى الأبد. لكنّ دوامَ الحالِ مِنَ المحال. ستهتمّين بأمورٍ أخرى، وتترُكيني جانبا. لكنّ، تلك هي الحياةُ، كما تقول السيّدة رايثشل. بالمناسبة، لقد أهدتكِ أحدَ الحفّتها الجميلة، وقالت لي إنّها ستمنحني واحداً حين أتزوِّج.

انتحبتُ ديانا:

- أسوأ شيءٍ في زفافِك هو أنّي لن أكونَ إشبينتك.

قالتُ آن، وهي تنظرُ من خلالِ النّافذةِ إلى البراعِمِ البيضاءِ والزّهريّةِ المُفتّحةِ في أسفلِ البُستان:

- سأكونُ إشبينة فيل، يونيو المُقبل، حين تُزفُّ إلى السيّد بلايك، ثمّ أتوقّفُ نهائياً عن القيامِ بهذا الدّور، فالمثل، كما تعرفين، يقول: «كوني إشبينة ثلاثَ مرّاتٍ، ولن تصبِحِي عروّساً أبداً». ها قد حلّ ركبُ القسِّ يا ديانا.

شهقتُ ديانا، وشحبتُ فجأةً، ثمّ ارتجفتُ:

- اوه!، أعصابي مشدودةٌ، لن أتحمّل يا آن، سيغمي عليّ، أعلم ذلك.

- لو أُغميَ عليكِ، فسأجرّك حتى برميلِ المطرِ وأطرُحكِ هناك. هيّا، انشرحي يا عزيزتي! ليس الزّواجُ بهذا السّوء.

انظري كم أنا هادئة!، واستجمعي شجاعتك!

- انتظري حتى يمينَ دورك يا آنسة آن. اوه!، آن، أسمعُ خطواتِ أبي قادمًا إلى الدور العلويِّ. هاتي باقتي! هل طرحتي على ما يرام؟ هل أبدو شاحبة؟

- تبتدين جميلةً. عزيزتي دي، امنحيني القبلة الأخيرة. فلن تُقبّلني ديانا باري مجددًا.

- ستقبّلك ديانا رايت إذن. ها هي أمي تُنادي. تعالي!

هبطتُ آن إلى الردهة مُتأبّطة ذراعَ جلبرت، حسب العادة القديمة البسيطة المنتشرة في ذلك الزمن. كانا قد التقيا على قمة السّلام لأول مرة منذ عودتهما من «كينغسبورت»، لأنّ جلبرت لم يصل سوى ذلك اليوم. فصافحها بلباقة. وكان يبدو على ما يرام، رغم أنّ آن وجدته نحيفًا. لم يكن شاحبًا، فقد بدت وجنتاه مُحمرّتين حين أقبلتُ عليه آن في فستانها الأبيض الناعم، وقد زينتُ زنابق الوادي شعرها. دخلا الردهة المكتظة معًا، فسرتُ همهمات الإعجاب بين الحاضرين. وهمستِ السيّدة رايتشل لماريلا قائلةً:

- إنهما ثنائيٌّ رائع.

تمشى فريدُ ذو السّحنة المحمّرة وحده، ثمّ حلّت ديانا مُتأبّطة ذراع أبيها. لم يغم عليها، ولم يعكّر شيءٌ صفو الحفل. فقد أقيمتِ المأدبة، وبعدها الحفلة السّاهرة، التي، في أعقابها، رحل فريدُ وديانا إلى بيتها الجديد، ورافق جلبرت آن إلى «غرين غايلز».

تلك الليلة، استعادًا شيئًا من صداقتها القديمة. وكم كان  
السَّيرُ في ذلك الطريقِ المألوفِ برفقةِ جلبرتِ مُجدِّداً لطيفاً!  
سكنَ اللَّيْلُ سُكوناً رهيباً تلتقطُ فيه الأسماعُ همسَ الوُرودِ وهي  
تفتتحُ، وضحكاتِ الأُفحوانِ، وهزيمَ العُشبِ، وكلَّ الأصواتِ  
العذبةِ في مزيجٍ واحد. وأشعَّ جمالُ القمرِ في أرجاءِ العالمِ.  
سألَ جلبرتَ، وهما يعبرانِ الجسرَ فوقَ بحيرةِ المياهِ البرّاقةِ التي  
غرقتُ بثلاثِ القمرِ الذهبيَّةِ في مياهِها:

- ألا نتجوّلُ قليلاً على دربِ العشاقِ قبلِ عودتِكَ إلى البيتِ؟  
وافقتُ آن فوراً، فقد كانَ دربُ العشاقِ مثلِ دربِ في خرافةِ  
خياليَّةِ، بقعةَ برّاقةٍ غامضةً، يملؤها سحرُ القمرِ. في الماضي، كانَ  
السَّيرُ بصُحبةِ جلبرتِ في دربِ العشاقِ أمراً خطراً، لكنَّ روي  
وكريستين جعلاهُ آمناً تماماً. فكَّرتُ آن في كريستين كثيراً، وهي  
تحدّثُ إلى جلبرتِ هذه الليلة. فقد التقَّتها مراراً قبلَ مغادرتِها  
«كينغسبورت»، وكانت لطيفةً جدّاً تجاهها، كما كانت كريستين  
لطيفةً أيضاً، وكانا ثنائياً ودوداً، لكنَّ لقاءهما لم يرقَّ أبداً إلى مرتبةِ  
الصداقة. فقد كانَ بادياً للعيانِ أنَّ كريستين شخصٌ لا ترتاحُ له  
النفسُ بيسر.

سألها جلبرت:

- هل ستظلين في آفونلي الصَّيفِ بأكمله؟

- لا، سأسافرُ غرباً، إلى طريقِ الوادي، الأسبوعَ المُقبِلِ. تُريدُني

استر هايثورن أن أدرّس مكانها طيلة يوليو وأغسطس. لديهم فترة دراسية صيفية في تلك المدرسة، واستر ليست على ما يُرام. لذلك سأعوّضها. لا أكثرث فعلاً، فقد صرْتُ أشعرُ أنني غريبةٌ في «آفونلي». أشعرُ بالأسفِ، لكنّها الحقيقة. فمن المريع رؤية عددِ الأطفال الذين صاروا شباباً وشاباتٍ على مدى السنتين الأخيرتين. لقد صار نصفُ تلاميذي راشدين. كم أشعرُ بتقدّمي في السنّ حين أجدهم حيثُ كنّا، أنا وأنت ورفاقنا القدامى!

ضحكتُ آن، وتنهّدت. فقد شعرت أنها تقدّمت في السنّ، وصارت ناضجةً وحكيمةً. أسرّت في نفسها حينها إلى الأيام الخوالي حين كانت الحياة غشاوةً زهريةً من الأملِ والوهمِ، وكان بها شيءٌ لا يمكنُ وصفه اختفى إلى الأبد. والآن، أين راح كلُّ ذلك الحلمِ والبهاء؟

قال جلبرت في سُروِد:

- هكذا هي الحياة.

وتساءلتُ آن عمّا إذا كان يفكّرُ بكريستين. لكنّه أسرّ في نفسه «اوّه، ستمسي «آفونلي» موحشةٌ دون ديانا».



(30)

## غرامُ السيِّدةِ سكينر

ترجّلتُ آنَ عن القطارِ في محطةِ طريقِ الوادي، وأجالتِ النَّظَرَ حولها لترى مَنْ الَّذي حضرَ لِيستقبِلَها. فمن المفترض أن تجدَ الأنسةَ جانيت سويت، لكنّها لم ترَ أحدًا يُطابقُ أوصافَ السيِّدةِ التي تحدّثتُ عنها رسالةُ استر. كان الشَّخصُ الوحيدُ الَّذي رآته سيِّدةٌ مُسنَّةٌ قدّرتُ آنَ وزنّها بمئتي رطلٍ، تجلسُ داخلَ العربةِ، وقد تراصّتُ أكياسُ البريدِ حولها. كان وجهُها المستديرُ، والأحمرُّ كقمرِ ليالي الحصادِ، دُونَ ملامح. ووضعتُ فُستانًا ضيقًا مِنَ الكشميرِ الأسودِ، مرّتُ عشرُ سنواتٍ على طِرازِهِ، وقبّعةٌ مغبرَّةٌ مِنَ القشِّ الأسودِ، تحفُّ بِها شرائطُ صفراءُ، وأربطةٌ سوداءُ. وفجأةً، نادَتْ على آن:

- أنتِ، هُناك. هل أنتِ المُدرّسةُ الجديدةُ في طريقِ الوادي؟  
- أجل.

- حسنًا، هذا ما حَمَّنته. إذ تشتهرُ منطقةُ «طريقِ الوادي» بمدرّساتِها الجميلاتِ، مثلما تُعرفُ «ميللرزفيل» بالقبيحات. طلبتُ مِنِّي جانيت سويت اصطحبكِ هذا الصَّبَاحَ، لكنَّ عربتي تضيقُ بأكياسِ البريدِ، وحجمي أكبرُ من توماس كثيرًا.

انتظري قليلاً يا أنستي حتى أرفع هذه الأكياس وأحشرك  
بينها! لا يبعد بيتُ جانيت سوى ميلين. سيحملُ أجيرُ جيرانها  
أمتعتك هذه الليلة. وأنا أدعى سكينر، إميليا سكينر.

حشرتُ آن في نهاية المطاف. وأمرتِ السيِّدةُ سكينر الفرسَ

قائلةً:

- إلى الأمام أيتها السوداء. إنها رحلتي الأولى على طريق  
البريد. أراد توماس عزق الأرض حول حبات اللفت،  
فطلب مني المجيء بدلاً عنه. لذلك، تناولتُ وجبة خفيفةً،  
وانطلقتُ إلى هنا. لقد أعجبني الأمر، ووجدته غير مُمل.  
فأنا، غالباً، أجلس وأفكر، ولا أفعل شيئاً غير الجلوس بقيّة  
الوقت. إلى الأمام أيتها الفرس السوداء. أريدُ العودة باكراً،  
لأن توماس سيشعر بالوحدة في غيابي. أتعلمين، لم يمرَّ على  
زواجنا الكثير.

قالتُ آن بكياسة:

- اوه!

- شهرٌ واحدٌ فحسب. لكن توماس غازلني طويلاً، وكان  
ذلك شاعرياً حقاً.

حاولتُ آن تخيلُ شاعرية السيِّدة سكينر، لكنها عجزت عن  
ذلك، فقالتُ مُجدداً:

- اوه!

- نعم. أترين، تودد رجلٌ آخر إليّ. هيا أيتها الفرس! بقيتُ  
أرملةً زمنًا طويلًا، حتى أيسَ الناسُ من زواجي ثانية. لكن،  
حين سافرتُ ابنتي، المدرّسةُ مثلكِ، غربًا، لتدرّس، شعرتُ  
بالوحدة، ولم أعد ضدّ الفكرة. في ذلك الوقت، تودد إليّ  
توماس، والرجلُ الآخر أيضًا: وليام اوباديا سيمن. لم أقوَ  
على حسمِ أمري بشأنها. فقد كان وليام ثريًا، وله مسكنٌ  
لائق. لذلك كان الخيارَ الأفضلَ بلا مُنازع. اركضي أيتها  
الفرسُ السوداء!

- لم تتروّجيه إذن؟

- حسناً، أتعلمين؟، لم يُجَبني.

اتّسعتُ عينا آن، ونظرتُ إليها، فلم تجدُ أيّ مَسحةٍ من الدُّعابةِ  
على سحنةِ السيّدة التي لم تكنِ تجدُ في قصّتها شيئاً مُضحكاً.

- ظلّ أرملاً ثلاثَ سنواتٍ، وتولّت شقيقتهُ العنايةَ به، ثمّ  
تزوّجت، فبحثَ عمّن تعني بشؤونِ بيته. إنّه بيتٌ جميل.  
تحركي أيتها الفرسُ! أمّا توماس، فكان فقيراً، ولا شيءَ  
يُمكنُ أن يُقال عن بيته سوى إنّ سقفه لا يقطرُ أيّامَ الصّحو.  
لكنني أحببته، ولم أهتمّ بويليام. لذلك فكّرتُ طويلًا، وقلتُ  
لنفسي: «سارّة كرو»، فلقبي الأوّل هو كرو، «بوسعك  
الزّواج من الرجل الثري، لكنك لن تحيي سعيده. إذ لا يحلُّ  
التّفاهمُ بين زوجين دونَ شيءٍ من الحُبّ. ومن الأجدِر أن  
ترتبطي بتوماس، لأنّه يحبُّك ومُحبّينّه». تحركي أيتها الفرسُ

السوداء! إذن أخبرتُ توماس أنني اخترته. ولم أجرؤ طيلة  
تحضيرات الزفاف، على المرور أمام منزل وليام خشيّة أن  
تجذبني رؤية منزله الفخم إلى دوامة الشكِّ مجدداً. لكنني لا  
أفكر فيه الآن قطُّ، وأشعرُ بالراحة والسعادة مع توماس. إلى  
الأمام أيتها الفرس!

سألتها آن:

- كيف تقبلُ ويليام أوباديا الأمر؟

- اوه!، استاء قليلاً، ثم طلب للزواج سيّدة عانسٍ نحيفةً من  
«ميللرزفيل»، وأظنها قبلتُ به فوراً. ستكون خيرَ خلفٍ  
لزوجته. في الواقع، لم يرغب ويليام في الزواج منها، لكنه  
فعل نزولاً عند رغبة أبيه، وكان يأمل أن ترفضه، لكنّها  
قبلت. كانت سيّدة بيتٍ جيّدة، لكنّها كانت بخيلةً جدّاً، فقد  
اعتمرتُ القبعة نفسها طيلة ثمانية عشرة عام. وحين حصلتُ  
على قبعة جديدة، التقاها ويليام على الطريق، فلم يعرفها.  
إلى الأمام أيتها الفرس! لقد فرزتُ بجلدي. ولو تزوّجته  
لصرتُ تعيّسةً جدّاً مثل قريبتَي جاين آن البائسة. إذ تزوّجتُ  
جاين رجلاً ثرياً لا تُحبه، ولم تكن حياتها سهلة. زارتني  
الأسبوع الماضي وقالت «سارة سكينر، أنا أغبطك. أفضلُ  
العيش في كوخٍ صغيرٍ على قارعة الطريق مع رجلٍ أحبّه، على  
العيش في البيت الضخم الذي أملكه». لم يكن زوج جاين  
آن سيئاً أيضاً، لكنه كان مُتناقضاً، حتّى أنه يرتدي معطف

الفروِ في يومٍ شديدِ الحرارة. وكنتُ إذا أردتُ منه القيامَ بأمرٍ ما، أطلبُ منه عكسَ ذلكِ فحَسَب. لكنَّ غِيَابَ الحُبِّ عَن حياتِهما لم يجعلها سعيدةً قطّ. إلى الأمامِ أيتها الفرس! انظري إلى بيتِ جانيتِ في المنحدرِ! إيتها تدعوه «وايسايد». أليس فاتنا؟ أظنك ستسرين بالتخلصِ من أكياسِ البريدِ المكتظةِ حولك.

- نعم، لكنني استمتعتُ كثيرًا أثناءَ الرحلةِ برفقتك.

قالتِ السيِّدةُ سكينرُ مزهوءةً:

- انتظري حتى أخبرَ توماسَ بذلكِ! كم يُعجبه أن أنالَ بعضَ الإطراءِ! إلى الأمامِ أيتها الفرس! حسنًا، لقد وصلنا. أرجو أن يكون الأمرُ على ما يُرامُ في المدرسةِ يا آنسة. هناك طريقٌ مختصرةٌ إليها عبرَ البحيرةِ، خلفَ بيتِ جانيتِ. انتبهي جيّدًا إذا اتخذتِ ذلكَ الطريقِ، لأنك إذا وقعتِ في الوحلِ الأسودِ فسوف يجذبك إلى القاعِ، وينقطعُ خبرُك إلى يومِ القيامةِ، تمامًا مثلَ بقرةِ آدمَ بالمر. إلى الأمامِ أيتها الفرسُ السوداء!

(31)

## من آن إلى فيليبيا

من آن شيرلي إلى فيليبيا جورردون،  
تحيةً طيبةً،

«عزيزتي، آن الأوان لأكتب لك. ها قد عدتُ مُدرّسةً ريفيّةً في  
«طريق الوادي»، وأقيمُ في «وايسايد»، بيتِ الأنسةِ جانيتِ سويت.  
جانيتِ صديقةٌ عزيزةٌ وجميلة، وتبدو طويلةً القامة. لها شعرٌ بُنيٌّ  
مُجعدٌ تتخلّله خُصلةٌ رماديّةٌ، وسحنةٌ مُشرقةٌ، ووجنتان مُتورّدتان،  
وعينان لطيفتان واسعتان، وزرقاوان كزهرة لا تنساني<sup>(1)</sup>. زيادةً على  
ذلك، فهي إحدى الطاهيات اللواتي لا يتورّعن عن نسفِ صحّةِ  
معدتك طالما يُقدّمُن لك أشهى الأَطعمةِ الدّسمةِ.

أحبّها، ومُحِبّني، ربّما لأنّها كانت تملكُ شقيقةً تُدعى آن، ماتتُ  
في سنٍّ مُبكّرة. فحين لمستُ بقدميِّ باحةً منزليها، قالتُ لي «سررتُ  
بلقائك. لكنك لا تبدين كما توقّعتُك. كنت واثقةً من أنكِ سمراء،  
فأختي آن كانت سمراء، أمّا أنتِ فحمراء الشعر».

(1) علماء النبات يطلقون على هذه الزهرة تسمية «ميوسوتيس» والبعض يسميها «أذن  
الفأر».

طيلة دقائق، ظننتُ أنّي لن أعجبَ بجانيت كما توقّعت. ثم  
تذكّرتُ أنّي يجبُ أن أتحمّلَ ببعض الحكمة، وألا أقسو على من ناداني  
بحمراء الشعر. فربّما لا تعرف جانيت كلمة كستنائيّ.

«وايسايد» بيتٌ صغيرٌ أبيض، وجميلٌ، يقعُ في أحضان المنحدر.  
وبين الطريق والبيت يقعُ بستانٌ وحديقةٌ زهورٍ متداخلان. اكتسى  
الدربُ المؤدّي إلى البابِ بقوَقعاتِ صَدَفِ البَحْرِ، وزحفتُ، في  
الشرفةِ الأمامية، نبتةٌ مُتسلّقةٌ بلغت حتى السقف. أمّا عُرفتي، فهي  
عبارةٌ عن رُكنٍ نظيفٍ بجانبِ الرّدهة، بالكاد تسعني برفقة السّرير.  
وعلى رأسِ سريري، صورةٌ للشاعر الإسكتلندي روبي بورنز واقفاً  
قربَ رمس هايلاند ماري، وخلفه صفصافةٌ ضخمة. انتابتنِي  
كوابيسٌ مزعجةٌ، بسببِ الكآبةِ المفرطة التي عكستها قسماُت وجه  
روبي. تخيلِي أنّي، في ليلتي الأولى، حلمتُ بنفسي شخصاً عاجزاً عن  
الضحك.

الرّدهةُ صغيرةٌ ونظيفة، تظلُّ صفصافةٌ عملاقةٌ نافذتها الوحيدة،  
فتغرقُ في ظلالٍ واسعة. وعلى الأرائكِ وسائد جميلة، وعلى الأرضيةِ  
زرابيٌ بهيجةٌ، وفوق منضدةٍ دائريةٍ رُتبت مجموعةٌ من الكتبِ بعناية،  
بينما زَيْنَ رفُّ المدفأةِ بمزهرياتِ نباتاتٍ مجفّفةٍ، علّقتُ بينها صوراً  
لخمسةِ توابيتٍ تخصُّ والدَ جانيت، وأمّها، وأخاها، وأختها آن،  
ورجلاً أجيراً قضى نحبه هنا. لو أصابني الجنونُ، فاعلمي عبر هذه  
الرّسالة، أنّ تلك التّوابيتَ كانتِ السّبب.

لكنّ الجوّ جميل، كما سبقَ وأخبرْتُك. ومن أجلِ موقفي هذا،

تُحِبُّنِي جَانِيتُ، بَيْنَمَا تَبْغُضُ اسْتِرَ الْمَسْكِينَةَ لِأَنَّهَا قَالَتْ إِنَّ الْكَثِيرَ مِنْ  
الظَّلَالِ غَيْرُ صَحِيٍّ، وَاعْتَرَضْتُ عَلَى النَّوْمِ فِي سَرِيرٍ مِنَ الرَّيشِ. أَمَّا  
أَنَا فَأُحِبُّ الْحَشَايَا الْمَصْنُوعَةَ مِنَ الرَّيشِ. قَالَتْ جَانِيتُ إِنَّهَا سَعِيدَةٌ  
بِرُؤْيَتِي أَقْتَاتُ، لِأَنَّهَا خَشِيتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ الْآنَسَةِ هَايْثُورِنَ الَّتِي لَا  
تَأْكُلُ غَيْرَ الْفَوَاكِهِ وَلَا تَشْرَبُ غَيْرَ الْمَاءِ السَّاخِنِ عَلَى مَائِدَةِ الْإِفْطَارِ،  
وَحَاوَلْتُ ثَنِي جَانِيتَ عَنْ قَلِي الطَّعَامِ. اسْتِرَ فِتَاةٌ طَيِّبَةٌ، لَكِنَّهَا تَتَّبِعُ  
الْكَثِيرَ مِنَ الْبِدْعِ، وَلَا تَمْلِكُ خِيَالًا وَاسِعًا، وَمَعْدَتُهَا عَلِيلَةٌ شَيْئًا مَا.

أَخْبَرْتَنِي جَانِيتُ أَنَّهُ بَوْسَعِي اسْتِغْلَالُ الْبُهْوِ إِذَا زَارَنِي أَحَدُ  
الْفِتْيَةِ. لَا أَظُنُّنِي سَاحِظِي بِالْعَدِيدِ مِنَ الزِّيَارَاتِ. فَلَمْ أَرِ رَجُلًا شَابًا  
وَاحِدًا فِي «طَرِيقِ الْوَادِي» بَعْدُ، مَا عَدَا أَجِيرَ الْجِيرَانِ ذِي الْقَامَةِ  
الطَّوِيلَةِ وَالْجَسْمِ النَّحِيفِ، سَامَ تُولِيْفِرَ. أَتَى ذَاتَ مَسَاءٍ، مُؤَخَّرًا،  
وَجَلَسَ سَاعَةً عَلَى سِيَاحِ الْحَدِيقَةِ، قُرْبَ الشَّرْفَةِ الْأَمَامِيَّةِ، حَيْثُ كُنَّا  
أَنَا وَجَانِيتُ نَسْتَعْمَلُ بِالْتَّطْرِيْزِ. وَلَمْ يَجْرُؤْ إِلَّا عَلَى بَعْضِ الْمَلَاخِظَاتِ مِنْ  
قَبِيلِ «تَفْضَلِي قِطْعَةً مِنْ حَلْوَى النَّعْنَاعِ أَنْسَتِي! إِنَّهَا جَيِّدَةٌ لِلزَّكَامِ».

لَكِنْ، يَبْدُو أَنَّ هُنَاكَ قِصَّةَ حُبِّ تُنْسَجُ هُنَا. وَكَأَنَّ قَدْرِي مَرْتَبُطٌ  
بِقِصَصِ حُبِّ الْكِبَارِ. فَطَالَمَا قَالَ السَّيِّدُ أَيْرَفِينِغَ وَحَرْمُهُ إِنِّي سَبَبُ  
زَوَاجِهِمَا. وَأَظُنُّ حَقًّا أَنَّ لُودُوفِيكَ سَبَبٌ مَا كَانَ سَيَخْطُو خَطْوَةً إِلَى  
الْأَمَامِ، وَيَطْلُبُ يَدَ ثِيُودُورَا دَاكْسَ، لَوْ لَمْ أَسَاعِدْهُمَا.

لَكِنِّي مُجَرَّدُ مُشَاهِدَةٍ فِي قِصَّةِ الْحُبِّ هَذِهِ. لَقَدْ حَاوَلْتُ الْمُسَاعَدَةَ  
مِنْ قَبْلِ، لَكِنِّي فَشِلْتُ فَشَلًّا ذَرِيعًا. لَنْ أَتَدْخُلُ ثَانِيَةً. سَأَخْبِرُكَ كُلَّ  
شَيْءٍ حِينَ نَلْتَقِي».



## آن تحتسي الشاي مع السيدة دوغلاس

طلبتُ جانيت من آن مُرافقتها إلى الكنيسة، مساءً أول خميسٍ منذ حلولها بطريق الوادي. أشبهتُ جانيت وردةً متفتحةً وهي تتجهزُ لحضورِ اجتماعِ الصلاة. ارتدتُ فُستانًا من الموصلين الأزرقِ الشاحبِ، وقبعةً من القشِّ الأبيضِ، تزيّنها بعضُ الورودِ، وثلاثُ ريشاتٍ من ريشِ النعام. ذهلتُ آن قليلاً. ثم علمت فيما بعد أن جانيت تبرّجت لسببٍ ما، سببٍ أقدم من هذا العالم.

كانت اجتماعاتُ الصلاة في «طريق الوادي» نسويةً إلى حدِّ ما. إذ يتألفُ الحضورُ من اثنتي وثلاثين سيّدةً، وشابّين يافعين، ورجلٍ وحيدٍ، زيادةً على القسّ. فألفتُ آن نفسها تتفرّسُ هذا الرّجل. لم يكن وسيماً ولا شابّاً. كانت ساقاه طويلتين، وجالبتين للانتباه، لأنّه اضطرَّ إلى ضمّهما تحتَ مقعده من فرطِ الطّول. أمّا يدها فكانتا ضخمتين، واحتاج شعره إلى الحلاقة، وشارباه إلى التّشذيب. لكنّ آن أعجبت بملامحه، إذ بدا لطيفاً، ورفيقاً، ونزيهاً، كما عكس وجهه أمرا آخر لم تستطعُ آن وصفه. وخلصت أخيراً إلى القول إنّ هذا الرّجل تألم كثيراً، لكنّه ناضل بكلِّ قوّته، وإنّ كلّ ذلك ترك أثراً على

قسماته. فقد حملت ملامحه شيئاً من التجلّد والصبر أو ما إلى أنه من طينة الذين يتحملون أقصى الصعاب.

حين انتهى الاجتماع، اقترب ذلك الرجل من جانيت، وقال:

- هل يمكنني مرافقتك إلى البيت يا جانيت؟

قالت آن لرفيقاتها في «بيت باتي» فيما بعد:

- تأبّطت جانيت ذراعَه على استحياءٍ، كأنّها في سنّ السادسة عشرة، وقالت: «آنسة شيرلي، دعيني أقدم لك السيّد دوغلاس». فأوماً السيّد دوغلاس، وقال: «راقبتك أثناء الاجتماع يا آنسة، وقلت لنفسِي يا لك من فتاةٍ جميلةٍ ولطيفةٍ!». .

لو تفوّه أشخاص آخرون بهذا الكلام، لأزعج الأمرُ أن بشدّة، لكنّ نبرة السيّد دوغلاس أشعرتها أنّ كلامه مجردُ إطراءٍ لطيفٍ وحقّيقِيّ. فابتسمت نحوه بامتنانٍ، وسارت خلفها باحترامٍ، في الطّريق الذي أناره ضوءُ القمر.

كان لجانيت خليلٌ إذن! ابتهجتْ آن. ستغدو جانيت زوجةً مثاليّةً، ومُنشِرحَةً، ومقتصدةً، وملكة الطّاهيات. فمن الظلم أن تظلّ مَنْ كانت في مثلِ مواصفاتها عانسا.

قالت لها جانيت في الغد:

- طلبَ مني جون دوغلاس اصطحابك للقاء والدته التي تلازم الفراش أغلب الوقت، ولا تغادر البيت أبداً. لكنّها

تحبُّ الرَّفْقَةَ الطَّيِّبَةَ، وتودُّ دومًا لقاءَ كُلِّ مَنْ تُقِيمُ مَعِي. هل  
بوسعك زيارتها هذا المساء؟

وافقتُ آن، لكنَّ السَّيِّدَ دوغلاس دعاها فيها بعدُ نيابةً عن أمِّه  
لتناولِ الشَّاي مساءَ السَّبتِ.

سألتُ آن حين غادرتا البيتَ:

- لمَ لمَ تضعي فستانك البنفسجيَّ الجميل؟

كان يومًا حارًّا، بينما بدت جانيت المسكينة كأنها مُحَمَّرَةٌ في الفرنِ  
من جرَّاء فستانها الكشمير الأسود.

- أخشى أن تُعدَّه العجوزُ دوغلاس غيرَ ملائمٍ، وضربًا من  
الطَّيش، كما أنَّ جون يحبُّ هذا الفستان.

تقعُ ضيعةُ العجوزِ دوغلاس في أعلى قِمَّةِ تَلَّةٍ تسكنها الرِّياحُ،  
على مسافةٍ نصفِ ميلٍ من «وايسايد». كان البيتُ ضخمًا ومريحًا،  
ومحاطًا ببساتينِ الكُروم، وانتشرت خلفه مخازنُ ضخمةٌ للحبوب.  
فأوحى كلُّ شيءٍ بالرِّخاء. وفكرتُ آن أنَّ ملامحَ السَّيِّدِ دوغلاس  
التي عكست صبره وجَلَدَه، لا علاقة لها بأيِّ شيءٍ من الدَّيونِ والفاقة.  
استقبلها جون دوغلاس عند البابِ، وقادهما إلى قاعةِ الجلوسِ،  
حيث استوتُ أمُّه على إحدى الأرائكِ.

توقَّعتُ آن أن تجدَ السَّيِّدَةَ دوغلاس نحيفةً وفائقةَ الطَّولِ مثل  
ابنِها. في المقابل، كانت سيِّدَةً بالغةَ الصَّغرِ، لها وجنتان وورديتان  
ناعمتان، وعينان زرقاوان، وفمٌّ كثغر الرُّضيع. وضعتُ فُستَانًا

جميلًا من الحرير الأسود، وشالًا أبيض على كتفيها، وعلت شعرها الأبيض قبعةً بهيئةً، فبدت كدميةٍ مُسنَّة.

- قالت بصوتٍ عذبٍ:

- أهلا يا عزيزتي جانيت. سررتُ بلقائك مُجددا. وهذه حتما مدرستنا الجديدة. سعيدةٌ بمعرفتك. لقد أطال ابني في مديحك حتى شعرت بالغيرة، وأنا واثقةٌ من أن جانيت انتابها نفسُ الشعور أيضا.

تضرّجتُ جانيت، وردّت أن بكياسةٍ، واتخذتُ الجميعُ مجالسهم، وشرعوا يتحدّثون. لم يكن الأمرُ سهلا، حتى بالنسبة إلى آن. ولم يرتح أحدٌ منهم، عدا السيّدة دوغلاس التي لم تجد أيّ صعوبةٍ في الحديث. طلبتُ من جانيت، التي استجابت لطلبها، أن تجلس بجانبها، وداعبتُ يديها بين الفينة والأخرى. فضلتُ تبتسم في قلبي، بينما جلس جون دوغلاس دون أيّ ابتسامة. ثم طلبتُ منها سكّب الشاي. فتضرّجتُ جانيت بلون الحُمرة، لكنّها أذعنت.

كبت أن إلى ستيلا واصفةً تلك المأدبة:

«تناولنا لحمَ لسانٍ باردٍ ودجاجًا، وفراولةً، وفطيرةَ ليمونٍ، وكعكةَ شوكلاتة، وكعكًا بالزبيب، وكثيرًا من أنواع الكعك الأخرى. ومع أنّي أكلتُ أكثرَ من طاقتي، تنهدتُ السيّدة دوغلاس، وقالتُ إنّها تخشى أنّها لم توفّق في إيجاد ما يفتح شهيتي، وأضافت:

- أخشى أنّ طعام جانيت أفسد شهيتك لأيّ طعامٍ آخر. طبعًا، لا أحد يسعى إلى منافستها في «طريق الوادي» كلّها.

ألا تتناولين قطعةً أخرى من الكعكةِ آنسة شيرلي؟ لم تأكلي شيئاً.

في الحقيقة يا ستيتلا، أكلت شيئاً من لحم اللسان، وقطعةً من الدجاج، وقطعةً من الفطيرة، و شيئاً من كعكةِ الشوكولاتة.

بعد احتساءِ الشاي، ابتسمتِ السيِّدةُ دوغلاس، وطلبتُ من جون أن يصحبَ جانيت إلى الحديقة، ويقطفَ لها بعضَ الورود،  
قائلة:

- ستؤنسني الآنسةُ شيرلي في الأثناء.

ثم استقرتُ في أريكتها، وتنهَّدت مضيضةً:

- صرتُ عجوزاً هزيلةً يا آنسة شيرلي. لقد تألّمتُ لأكثرِ من  
عشرين سنة. عشرون سنة وأنا أموتُ كلَّ يومٍ قليلاً.

قالتُ آن مُتعاطفةً:

- هذا مؤلم.

- مرّت ليالٍ كثيرةً ظنّوا فيها أنّي لن أعيشَ حتّى الفجر. لا  
أحد يعلم ما الذي حدثَ معي، لكنّ الأمرَ لن يدومَ طويلاً،  
وستنتهي رحلتي الطويلةُ المُضنيةُ قريباً يا آنسة شيرلي. لكنني  
أشعرُ بارتياحٍ كبيرٍ لأنّ جون سيحصلُ على زوجةٍ طيبةٍ  
تعني به بعدَ رحيلِ أمّه، إنّها راحةٌ كبيرةٌ يا آنسة شيرلي.

- جانيت سيِّدةٌ رائعة.

وافقتها السيِّدةُ دوغلاس:

- رائعةٌ، ولطيفةُ الطَّبَاعِ، وربُّةُ بيتٍ ممتازةٌ، ليس كما كنتُ أبداً.  
ولن تتيح لي صحَّتي أيَّ فُرصةٍ أخرى لأكونَ مثلها. أنا مُمتنةٌ  
أنَّ جون قام بالاختيارِ الأنسب. أرجو أن يمسي سعيداً، بل  
أنا واثقةٌ من ذلك. إنَّه ابني الوحيدُ يا آنسة شيرلي، وسعادتهُ  
قطعةٌ من قلبي.

قالت آن بغباءٍ:

- طبعاً.

هذه أوَّل مرّةٍ في حياتها، تكون فيها غيبيةً، لكنّها لم تستطع إدراكَ  
السَّبب وراء ذلك. فلم يكن لديها ما تقولُ لهذه العجوزِ الحُلوةِ  
المبتسمةِ التي لوحتُ لهما بيدها في لطفٍ حين غادرتا، وهي تقول:

- تعالِي، وزوريني مجدداً في أقرب وقتٍ يا عزيزتي جانيت!  
أنت لا تأتين كثيراً، لكنّ جون سيأتي بك يوماً ما إلى هنا  
لتبقي كامل حياتك.

استرقتُ آن النَظَرَ إلى جون دوغلاس، بينما كانت أمُّه تتحدّث،  
فوجدته مُرتاعاً كرجلٍ تعرّض للتعذيب طويلاً، ووجهٌ إليه جلاذوه  
الضربة القاصمة. فوثقتُ من مرضه، واستعجلتُ جانيت الخجلةَ  
بالرحيل. وحين صارتا على الطّريق قالت لها جانيت:

- أليستِ السيِّدةُ دوغلاس لطيفةً حقاً؟

ردّتُ آن شاردةً الذَّهنِ، وهي تتساءل عن سرِّ ملامح جون  
دوغلاس:

- ممم...-

قالت جانيت:

- لقد تألّمت كثيراً. إنّها تتعرّض لأزماتٍ رهيبية، وجون قلقٌ بشأنها، ويخشى التّغيب عن البيتِ مخافةً أن تتعرّض لأزمةٍ وهي بمفردها، وليس لديها أحد لينقذها غير الخادمة.

(33)

## حيرة جون دوغلاس

بعد ثلاثة أيام، عادت أن من المدرسة، فوجدت جانيت تنتحب. ولأنها لم تكن ممن يبكون كثيراً، فقد ارتعدت أن حالما رأتها، وصاحت في حيرة:

- ما الخطب؟

تأوهت جانيت:

- لقد بلغت الأربعين اليوم.

- حسنا، كنت على وشك بلوغ الأربعين ليلة أمس، ولم يؤمك الأمر.

- لكن... لكن جون دوغلاس لن يطلب يدي.

- اوه!، سيفعل. امنحيه بعض الوقت فحسب يا جانيت!

قالت جانيت بتهكم مرير:

- الوقت! لقد حصل على عشرين سنة. كم من الوقت يريد؟

- هل ظل جون دوغلاس يتودد إليك عشرين سنة؟

- أجل، ولم يذكر شيئاً عن الزواج خلالها. ولا أظنه يفعل الآن.



لَمْ أَخْبِرْ أَحَدًا بِالْأَمْرِ، لَكِنِّي أَحْتَاجُ أَحَدًا أَفْضِيَ إِلَيْهِ، وَإِلَّا  
جُنِنْتُ. شَرَعَ جُون دُوغْلَاسَ فِي الْخُرُوجِ مَعِي مُنْذَ عِشْرِينَ  
سَنَةً، قَبْلَ مَوْتِ أُمِّي. حَسَنًا، ظَلَّ يَرُوحُ وَيَجِيءُ، وَلَمْ يَنْبَسْ  
بِبِنْتِ شَفَةِ. ثُمَّ اشْتَغَلْتُ فِي الْأَغْطِيَةِ الصُّوفِيَّةِ وَأَشْيَاءَ أُخْرَى،  
لَكِنَّهُ لَمْ يَذْكَرْ شَيْئًا عَنِ الزَّوْاجِ، وَوَأَصَلَ ذَهَابَهُ وَغَدَوَهُ. وَلَمْ  
يَكُنْ بِيَدِي شَيْءٌ أَفْعَلُهُ. وَفِي السَّنَةِ الثَّامِنَةِ لَخُرُوجِنَا مَعًا،  
تَوَقَّيْتُ أُمِّي. فَظَنَنْتُ حِينَئِذٍ أَنَّهُ سَيُفَاتِحُنِي فِي الْأَمْرِ، خَاصَّةً  
وَقَدْ صَرْتُ وَحِيدَةً فِي هَذَا الْعَالَمِ. لَا أَنْكُرُ أَنَّهُ كَانَ لَطِيفًا حَقًّا،  
وَأَنَّهُ قَامَ بِهَا فِي وَسْعِهِ مِنْ أَجْلِي، لَكِنَّهُ لَمْ يُفَاتِحُنِي فِي مَوْضُوعِ  
الزَّوْاجِ أَبَدًا. وَتَوَأَصَلَ الْأَمْرُ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ مُنْذَ ذَلِكَ الْوَقْتِ.

## تكلّم جون دوغلاس أخيراً

لم تفقدِ آن الأملِ في حدوثِ أمرٍ ما، لكنّ ذلك لم يحصل. فقد ظلّ جون دوغلاس يأتي ليأخذَ جانباً في إحدى التزهات، أو يرافِقها إلى البيتِ عائدينِ من اجتماعِ الصّلاة، كما كان يفعل طيلةَ عشرينَ عاماً، وكما كان مُفترَضاً أن يفعل طيلةَ عشرينَ أخرى.

أوشك الصّيفُ على النّهاية، بينما ظلّت آن تُدرّس، وتكتبُ الرّسائلَ، وتُذاكِرُ قليلاً. وكان ذهابُها إلى المدرسةِ وغدوّها منها رائِقين، لأنّها اتّخذتْ دوماً الطّريقَ الَّذي يمرُّ عبرَ المُستنقعِ. وكم كان المكانُ جميلاً، وتربتهُ النّاعمةُ أَسرّة!

لكنّ الحياةَ في «طريقِ الوادي» بدتْ لأنّ رتبيةً نوعاً ما. ولم يُبدّدْ مللها سوى حدثٍ وحيد. فهي لم ترَ صامويل، صاحبَ حلوى النعناعِ مُنذ تلك اللّيلة، وحدث أن التقته مرّةً، صدفةً، في الطّريق. لكنّه ظهرَ في أحدِ أيّامِ أغسطسِ الدّافئةِ، وجلس بوقارٍ على المقعدِ القديمِ في الشّرفة، مُرتدياً ملباسَ العملِ المعتادةِ المُتكوّنة من بنطلونٍ وقميصٍ من الجينز الأزرق، وقبّعةً باليةً من القشّ. ووضعَ في فمه قشّةً واصلَ مَضغها، بينما كان ينظرُ برصانةٍ إلى آن. فوضعتْ آن

كتابها جانبًا، وتناولت شرف الطاولة التي كانت تشتغل عليها. إذ لا سبيل إلى الحديث مع سام بالنسبة إليها. غير أنه، وبعد صمتٍ طويلٍ، نطق بغتة:

- سأنصرف.

ولوح بقشته في اتجاه المنزل المجاور.

قالت آن بكياسة:

- حقا؟

- نعم

- إلى أين ستذهب الآن؟

- حسنًا، أفكر في الاستقلال، وثمة بيتٌ يلائمني في «ميلر - زفيل»، لكنني إذا استأجرته، سيتعين عليّ الحصول على زوجة.

- أظن ذلك.

- نعم.

ران صمتٌ آخر طويل. ثم انتزع سام القشة من فمه أخيرًا وقال:

- هل تأخذيني؟

شهقت آن:

- ما.. ماذا؟ هل تعني أن أتزوج منك؟

- نعم.

مكتبة  
t.me/soramnqraa

- كيف ذلك؟ بالكاد أعرفك.

- ستتعرفين بي بعد الزواج.

استجمعت أن بقايا كرامتها، وقالت:

- لن أتزوجك، حتمًا.

- حسنًا، أنا أعمل بجدّ، ولديّ رصيدٌ من المالِ في المصرف.

قالت أن محاولة إخفاء غضبها:

- صار الموقفُ سخيفًا. لا تُحدّثني في الأمرِ مجددًا! من زرع

هذه الفكرة في ذهنك؟

- أنتِ جميلةٌ، ونشيطةٌ. وأنا لا أحبُّ النساءِ الكسولات. فكّري

بالأمر! سأصرفُ الآن، فعليّ حلبُ البقرات.

تعرّضتُ أوهاُم أن بشأنِ الخطوبةِ لضرباتٍ مُوجعةٍ طيلة

السنواتِ الأخيرة، ولم يتبقَّ منها الكثير. لذلك أضحكها اقتراح

سام، ولم تتألّم كثيرًا. وفي الليلِ قلّدتُ كلامَ سام المسكينِ أمّامَ

جانيت وتضاحكتنا من أعماقِ قلوبنا.

وذاتَ ظهيرةٍ يومٍ من آخرِ أيامِ أن في «طريقِ الوادي»، قدِمَ

«أليك وارد» على متني عربيته الى «وايسايد»، وكان جادًا في طلبِ

جانيت:

- إنهم يحتاجونك بأقصى سرعةٍ في بيتِ دوغلاس. أظنّ أن

السيدةَ دوغلاس تلفظُ أنفاسها أخيرًا، بعدما تظاهرتُ

بذلك عشرين عامًا.

التقطت جانيت قبعتها بسرعة، فسألت آن إذا ما صارت صحتُ  
السيدة دوغلاس أسوأ من ذي قبل.

قال أليك برصانة:

- وذلك ما يجعل الأمر جدّياً. فقد كانت في الماضي تصرّخ،  
وتُلقي بنفسها حيثما اتفق، لكنها صارت اليوم ترقد في  
سكون، وهذا يعني أنها مريضة حقاً.

قالت آن مُستغربةً:

- أنت لا تُحبّ السيدة دوغلاس؟

أجاب أليك بغموضٍ:

- أحبُّ القِطَطَ الحقيقيّة، ولا أحبّ النساء اللّاتي يُشبهن القِطَطَ.

عادت جانيت إلى البيت عند الغروب، وقالت:

- توفّيت السيدة دوغلاس. لفظت أنفاسها الأخيرة ما إن

وصلت إلى هناك، ولم تُكلمني سوى مرّة واحدة، قائلةً:

«ستزوّجين جون الآن.»، وقد آلمني ذلك كثيراً، يا آن.

(35)

## السنة الأخيرة في ريدموند

قالت فيل مسرورة، وهي تجلس على إحدى حقائقها:

- ها قد عدنا، بعد أن استمتعنا بحمام الشمس، وشحننا طاقتنا.

أليس رائعاً أن نرى «بيت باتي» القديم، والعمّة، والقط،

مجدداً؟ لقد فقدت راستي قطعةً أخرى من أذنه، أليس كذلك؟

قالت آن بإخلاص، وهي تقتعد حقيبتها، بينما كان راستي

يتلوى في حُضنها مُرحباً بها:

- راستي أجمل قط في العالم، حتى دون أذنين.

سألت فيل:

- ألسنت سعيدةً بعودتنا يا عمّتي؟

قالت العمّة جايمسنا مُتذمّرة، وهي تنظرُ إلى الحقائق التي

تُحيطُ بالفتيات:

- أجل، لكنني أرجو أن تُقمنَ بترتيبِ أغراضِكِ أولاً. بوسعِكِ

التحدّثُ فيما بعد. فحين كنتُ طفلةً، كان شعارِي: قومي

بواجبكِ أولاً ثمّ العبي.

- اوه، لقد عكس جيلنا شعارك تمامًا، يا عمّتي. صار شعارنا: استمتعي باللعب، ثم شمري عن ساعدك. ستقومين بواجبك على أفضل وجه إذا حصلتِ على قدرٍ من اللعب أولاً.

قالت العمّة جايمسينا، وهي تلتقط القطّ جوزيف وُعدّة حياكتها:

- لو رُمتِ الزّواج من قسّ، فعليك التّخلّص من عباراتٍ مثل: شمري عن ساعدك.

تأوّهت فيل:

- لماذا؟ أمن المفترض أن تتحدّث زوجة القسّ لغةً خاصّة؟ لن يمكنني ذلك. فالجميع يتكلّم العاميّة في «شارع باترسون»، وكلامهم خالٍ من التّعابير المجازيّة، وإذا لم أنح نحوهم، فسيظنّونني متكبّرةً ومُتغظّرةً.

سألتها بريسيلا وهي تُطعم القطّة سارة:

- هل أخبرتِ عائلتكِ؟

أومات فيل.

- كيف تقبلوا الأمر؟

- اوه!، غضبتُ أمّي كثيرًا، لكنني صمدتُ مثل صخرة. بينما كان أبي أكثر هدوءًا، بما أنّ والده كان قسًا. وبعدما استعادتُ أمّي هدوءها، جلبتُ جو إلى «ماونت هولي»، فتحابّا. لكنّها

لَمْ تَكْفَ عَنْ الْحَدِيثِ عَمَّا أَمَلْتَهُ لِي، فِي كُلِّ مُحَادَثَةٍ مَعَهُ. لَمْ تَكُنْ  
عُطَلْتِي مَفْرُوشَةً بِالْوَرُودِ، لَكِنِّي انْتَصَرْتُ، وَحَصَلْتُ عَلَى  
جَوْ. وَلَا شَيْءَ آخَرَ يَهُمُّ.

قَالَتِ السَّيِّدَةُ جَايْمَسِينَا بَغْمُوضٍ:

- بِالنَّسْبَةِ إِلَيْكَ.

- وَبِالنَّسْبَةِ إِلَى جَوْ، أَيْضًا. أَنْتِ لَا تَتَوَقَّفِينَ عَنْ إِدَاءِ شَفَقَتِكَ  
عَلَيْهِ. لِمَاذَا؟ لِمَاذَا لَا تَغْبِطِينَهُ بَدَلًا مِنْ ذَلِكَ؟ فَحِينَ يَتَزَوَّجَنِي،  
سَيَحْصُلُ عَلَى الذِّكَاةِ، وَالْجَمَالِ، وَمَعَهُمَا قَلْبِي الذَّهَبِيُّ.

- مِنْ حُسْنِ الْحِظِّ أَنَّنَا نَفْهَمُكَ جَيِّدًا. أَرْجُو أَلَّا تَتَحَدَّثِي هَكَذَا  
أَمَامَ الْغُرَبَاءِ. مَاذَا سَيَقُولُونَ عَنْكَ؟

- اوه!، لَا يَهْمُنِي. لَا أُرِيدُ أَنْ أَعْرِفَ رَأْيَ الْآخَرِينَ بِي. أَعْرِفُ  
أَنَّهُ سَيَكُونُ مُرِيعًا. وَلَا أَظُنُّ بَيْرَنْزَ جَادًا فِي صَلَاتِهِ أَيْضًا.

قَالَتِ السَّيِّدَةُ جَايْمَسِينَا بِصِرَاحَةٍ:

- أَجْرُؤُ عَلَى الْقَوْلِ إِنَّنَا جَمِيعًا نَصَلِّي مِنْ أَجْلِ أُمُورٍ لَا نُرِيدُهَا  
فِعْلًا. وَلَا أَظُنُّ صَلَوَاتِنَا هَذِهِ تَرْقَى إِلَى السَّمَاءِ. فَقَدْ اعْتَدْتُ  
الصَّلَاةَ كِي أَقْوَى عَلَى الْغُفْرَانِ لِأَحَدِ الْأَشْخَاصِ، لَكِنِّي  
أَعْلَمُ فِي قَرَارَةِ نَفْسِي أَنِّي لَا أُرِيدُ أَنْ أُسَاحِجَهُ حَقًّا. وَقَدْ سَاحَتْهَا  
أَخِيرًا، دُونَ حَاجَتِي إِلَى الدُّعَاءِ.

قَالَتْ سَتِيلًا:

- لَا أَتَصَوَّرُكَ حَقُودَةً أَبَدًا.



- اه!، كنتُ كذلك. لكنني عرفتُ معَ مُرورِ السنين، ألا طائل  
من الحقدِ.

قالتُ آن:

- هذا يذكّرني بجون وجانيت.

وانبرتُ لترويَ لهنّ القصة.

قالتُ فيل:

- والآن، اروي لنا ذلك المشهدَ الشاعريّ الذي لمحتِ إليه في  
رسالتك.

قامتُ آن بتقليدِ طلبِ سام الزوّاجِ منها، فانفجرتُ الفتياتُ  
ضاحكاتٍ، ورسمتِ العمّةُ جايمسينا شبحَ ابتسامَةٍ، ونهرتها قائلةً:

- من سوءِ الذوقِ أن تسخري من الراغبين في الزوّاجِ منك،  
لكنّ ذلك ما كنتُ أفعله دوماً.

قالتُ فيل:

- حدّثينا عن عُشاقِك يا عمّة. لا بُدّ أن الكثيرَ منهم كانوا حولك.

- لم يصبِحُوا من الماضي بعد، فثمّة ثلاثة أراملٍ في مدينتنا  
ما زالوا مُتيممين بي. يا أطفال!، لا تُفكّرُن أن كلّ قصصِ  
العشقِ لكنّ وحدكنّ.

- ألا تُبدو كلمةُ أراملٍ غيرَ شاعريّة؟

- حسناً، لا، لكنّ الشبابَ ليسوا دوماً شاعريين. ولم يكنِ الكثيرُ  
من عُشاقِي شاعريين أيضاً، وقد اعتدتُ أن أسخرَ منهم

بشدة. فجيم إلود، مثلا، لا يعي ما يحدث حوله، وهو في حالة دائمة من أحلام اليقظة، ولم ينتبه لقولي «لا» سوى بعد مرور سنة كاملة. وبعد زواجه، سقطت زوجته من العربة في طريق عودتها من الكنيسة، فلم يلحظ اختفاءها. أما دان ونستون صاحب العلم الغزير، فهو يعلم كل شيء عن هذا العالم، وكل شيء عن العالم الذي يليه أيضا. وقد كان بوسعه الإجابة عن أي سؤال، حتى لو تعلق بموعد يوم القيامة. غير أن ميلتون إدواردز، كان لطيفا حقا، وكنت مُعجبة به، لكنني لم أتزوج منه، أولا، لأنه يحتاج أسبوعا كاملا ليروي دُعابة، وثانيا، لأنه لم يطلب يدي أبدا. وكان هوراشيوريف أفضلهم، لكن عيبه أنه حين يروي قصة، يُزوّقها حتى تُغطي عليها الزخرفة تماما. ولم أستطع، إلى اليوم، معرفة ما إذا كان يكذب، أو يبالغ في إطلاق العنان لمخيلته.

- ماذا عن الآخرين يا عمّة؟

- اذهبي ووظبي أمتعتك! الآخرون كانوا فقط مدعاة للضحك. دعيني أحترم ذكراهم! ثمّة في غرفتك باقة زهورٍ وردت منذ ساعةٍ يا آن.

بعد أسبوعٍ من الاستقرار في «بيت باتي»، دخلت الفتيات في دوامة الدروس، فقد كانت هذه سنتهم الأخيرة في «ريدموند»، وكان عليهن السعي إلى التخرج بتفوق. كرّست آن نفسها لدراسة الأنجليزية، وتفرغت بريسيل لدراسة الأدب الكلاسيكي، بينما

انصبَّ اهتمامُ فيليبا على الرياضيات. كنَّ يشعرُن بالإرهاقِ أحيانًا، وتُثبِّطُ عزائمهن أحيانًا أخرى. وذاتَ ليلةٍ مُمطرةٍ من لياليِ نوفمبر، صعدتُ ستيلا إلى الغُرفةِ الزرقاءِ حيثُ ألفتُ آن جالسةً على الأرضِ وَسَطَ دائرةٍ مُضيئةٍ طَبَعَهَا الفانوسُ الموجودُ إلى جوارِها، وحوَّلها غابَةٌ من الأوراقِ المُشوَّشةِ.

- ماذا تفعلين بحقِّ السماء؟

- أقرأ قصصًا قديمةً من إنتاجِ نادينا الأدبيِّ، لأنِّي احتجتُ إلى شيءٍ مُبهجٍ. فقد درستُ حتَّى صارَ العالمُ رماديًّا في نظري. ومن ثمَّ، أتيتُ إلى هنا واستخرجتُ هذه الكتاباتِ من صُنْدُوقي. إنَّها مزيجٌ من الدُّموعِ والتراجيديا تارةً، ومدعاةٌ للضحكِ طَورًا.

قالتُ ستيلا، وهي تُلقِي بنفسِها على الأريكةِ:

- أنا أيضًا فقدتُ عزيمتي. فلا شيءَ يستحقُّ، مادامتُ كلُّ أفكارِي مُستعادةً. ما الفائدةُ من الحياةِ يا آن؟

- عزيزتي، يتأبنا هذا الشعورُ لأننا مُرهقتان، وبسببِ الطَّقسِ أيضًا. فليلٌ ممطرٌ كهذا، يأتي بعدَ مُضيِّ يومِ شاقٍّ، قادرٌ على سحقِ أيِّ منَّا. أتعلِّمين أنَّه يوجدُ على الأرضِ ما يستحقُّ الحياةَ!

- اوه!، أظنُّ ذلك، لكنِّي لا أستطيعُ إقناعَ نفسي الآن.

- فكِّري فحسبُ بالأرواحِ العظيمةِ والنبيلةِ التي عاشتُ، واشتغلتُ في هذا العالمِ! أليسَ جديرًا بنا أن نرثَ ما حصلوا

ودرّسوا؟ ألا يحسُنُ بنا أن نشارك الناس أفكارهم؟ وكلُّ  
الأرواحِ النّبيلةِ التي ستعيشُ في المستقبل؟ ألا تستحقُّ أن  
ندرسَ بجدٍّ ونُمهّدَ الطريقَ لأجلها؟

- عقلي يتفقُ معك تمامًا يا آن، لكنّ روحي حزينةٌ ومغمّمة.  
فطالما كدّرتِ اللَّيالي الممطرةُ صفوي.

- أحبُّ المطرَ في بعضِ اللَّيالي، وأحبُّ التّمُدّدَ في فراشي،  
والإنصاتَ إلى قطراتها تدقُّ السّقفَ، وتسيلُ عبر أشجارِ  
الصنوبر.

قالت ستيلّا:

- أحبُّها حين تبقى فوق السّقف، لكنّها لا تفعلُ ذلك دومًا.  
وبسببها أمضيتُ ليلةً مُريعةً في إحدى البيوتِ الرّيفيّةِ،  
الصّيفَ الماضي. فقد قطر الماءُ من السّقف، وطقطقت قطراتُ  
المطرِ على فراشي. ولم يكن الأمرُ شاعرِيًا البتّة، إنّما اضطررت  
إلى النهوضِ وسَطَ اللَّيلِ لدفعِ الفراشِ العتيقِ الذي يزن طنًا  
تقريبًا، بعيدًا عن السّيلِ. لكنّ الطقطقةَ تواصلتُ كاملَ اللَّيلِ  
حتى دمّرتُ أعصابي. ليست لديك أيّ فكرةٍ عن صوتِ  
سُقوطِ قطرةٍ ضخمةٍ من المطرِ على الأرضيّةِ العاريّةِ، ليلا.  
إنّها تُشبه خطواتِ شبحٍ أو شيئًا من هذا القبيل. ما الذي  
يضحكُ يا آن؟

- هذه الحكاياتُ مميتةٌ، كما تقولُ فيل، لأنّ الذين لقوا حتفهم  
داخلها كُثُر. فكم من البطلاتِ الجميلاتِ الرّائعاتِ اللّواتي

لَمْ نُلْبِسْهُنَّ سِوَى الْحَرِيرِ، وَالْمَخْمَلِ، وَالْمَجُوهَرَاتِ، كَانَ لَدِينَا!  
هذه إحدى قصصِ جاين أندروز، التي تُصوِّرُ البطلةَ نائمةً  
في ثوبِ نومِها الحريريِّ الأبيضِ الموشى باللآلئِ.

قالت ستيلًا:

- واصلي! فقد أيقنتُ أنّ الحياةَ تستحقُّ أن تُعاشَ ما دام يملؤها  
الضحكُ.

- هذه إحدى القصصِ التي كتبتها. ترتادُ بطلتها حفلاً راقصاً  
«حيثُ يغمُرهنَّ بريقُ الماسِ من رؤوسهنَّ حتّى أخصِصَ  
أقدامهنَّ. ما الذي بقيَ لهنَّ غيرَ الجمالِ والثيابِ الرّفيعَةِ؟ لا  
يقودهنَّ المجدُ إلّا نحوَ قبورهنَّ. ولن يعرفنَّ مصيراً سوى  
القتلِ أو الموتِ بأفئدةٍ مُحطّمةٍ. لا سبيلَ إلى الفرارِ».

- دعيني أقرأ شيئاً من قصصِك.

- حسناً، هذه رائعتي الأدبية. لاحظن جمالَ عناوينها: «أجدائي».  
كم ذرفتُ دمعاً وأنا أكتبُها!، كما ذرفتُ الأخبارِ أنهاراً من  
الدمعِ حين قرأتها على مسامعهنَّ، حتّى أنّ والدَةَ جاين  
أندروز نهرتها بسببِ كمّ المناذيلِ الهائلِ الذي وضعته في سلّةِ  
غسيلِ ذاك الأسبوعِ. إنّها حكايةٌ حول مغامراتِ زوجةِ قسّ  
من الكنيسةِ الميثوديةِ. وقد أنميّتها إلى الكنيسةِ الميثوديةِ<sup>(1)</sup>

(1) طائفةٌ مسيحيّةٌ بروتستانتيةٌ، ظهرت في القرنِ الثامن عشر في بريطانيا، على يد جون  
ويزلي، وانتشرت لاحقاً عن طريق الأنشطة التبشيرية في المستعمراتِ البريطانيّة،  
ووصلت حتّى الولاياتِ المتّحدة الأمريكيّة.

لأنه كان عليها الترحال. دفنت المسكينة طفلاً في كل مكان زارته. كان لديها تسعة انتشرت قبورهم في رُبوع البلاد، من «نيوفاوندلاند» إلى «فانكوفر». لقد وصفت الأطفال، وصورت أسرة موتهم، وكتبت كل التفاصيل عن قبورهم وشواهدها. ومع أنني خطتُ لدفن الأطفال التسعة، جفت قريحة أفكارِي المرعبة، بمجرد تخلصي من الطفل الثامن، فتركتُ الطفل التاسع على قيد الحياة، ليعيش عاجزاً، ودون أي أمل.

بينما انهمكتُ ستيلا في قراءة «أجدائي»، ضاحكةً عند كل مقطع تراجيديٍّ، وانغمسَ راستي في نزم عميقٍ فوق إحدى قصص جاين أندروز، ألقت أن نظرةً على المخطوطات الأخرى، وتذكرت أيامها بنادي القصة بمدرسة آفونلي، حيث ألف أعضاء هذه المخطوطات جالسين أسفل الأشجار على مقربةٍ من الجدول. كم كانوا مُستمعين! واستعادتُ الشعورَ بأشعة الشمس الجميلة أيام الصيف تلك. لا يضاهاي مجدُ الإغريق، وعظمة الرومان، عبقرية تلك القصص المرعبة والمسلية التي كُتبت في النادي الأدبي. عثرتُ آن على مخطوطة مكتوبة على ورقٍ مُعدٍّ للتغليف، فغمرتُ عينيها الرماديتين موجةً من الضحك حين تذكرتُ مكان تأليفها وزمانه. لقد كتبتها يوم سقطتُ من أعلى سقفٍ قن البطِّ بمنزل كوب في «طريق توري».

ألقتُ آن نظرةً على المخطوطة، وقرأتها باهتمامٍ شديد. كانت

مُحَادِثَةً قَصِيرَةً بَيْنَ الْكَوَاكِبِ وَحَبَّاتِ الْجَلْبَانَ الحُلُوَّةِ، وَالْعَصَافِيرِ  
الْبَرِّيَّةِ، وَمَلَائِكِ الحَدِيقَةِ الحَارِسِ. وَبَعْدَمَا أتمَّتْ قِرَاءَتَهَا، جَلَسَتْ  
أَرْضًا، وَحَدَّقَتْ إِلَى الفِضَاءِ، وَحِينَهَا انصرفتْ سَتِيلًا سَوَّتْ أَوْرَاقَ  
المَخْطُوطَةِ المُجَعَّدَةِ، وَقَالَتْ بِحِزْمٍ:  
- سَأَفْعَلُ ذَلِكَ.

(36)

## زيارة آل غاردنر

قالت فيل:

- هذه رسالة لك تحملُ طابعًا بريديًا من الهندِ يا عمّة جيمسي،  
وثلاثُ رسائلَ لستيلا، واثنانَ لبريس، وواحدةٌ لي من جو.  
ولا رسائلَ لك يا آن، سوى نشرةٍ إدارية.

لم ينتبه أحدٌ لتورّدِ وجنتي آن، وهي تتسلمُ الرسالةَ التي ألقْتُ  
بِها إليها فيل، دونِ اِكتراث. لكن بعد مُضيِّ بضعةِ دقائق، رفعتُ فيل  
بصرَها فألفتُ سَحْنَةَ آن مَقْلُوبَةً.

- عزيزتي، ماذا حدث؟

قالت آن، مُحاولَةً أن تبدوَ بمظهرٍ من تَعَوَّدتْ على قبولِ الصّحفِ

بقصصِها:

- وافقتُ صحيفةً «صديق الشّباب» على نشرِ قصّةٍ صغيرةٍ  
أرسلتها إليهم منذ أسبوعين.

- آن شيرلي، هذا رائعٌ! متى ينشرونها؟ هل دفعوا لك لقاءها؟

قالت آن، وقد استعادتْ ذكرياتِ قصّتها «توبة ايفريل»:

- نعم، أرسلوا شيكًا بعشرةِ دولاراتٍ، وكتبَ الناشرُ أنّه يودُّ



رؤية المزيد من عملي، وسيرى منه الكثير هذا السيد. فهذه ليست سوى قصة قديمة وجدتها في الصندوق، فأعدت كتابتها، وأرسلتها، لكنني لم أظن أنها ستقبل لأنها لا تحتوي على حبكة.

- ماذا ستفعلين بال عشرة دولارات يا آن؟ لنذهب إلى المدينة ونشرب حتى الثمالة.

قالت آن منسرحة:

- سأستمتع بتبذيرها. فهي ليست مالا قدرًا على كل حال، ولا تُشبه الشيك الذي حصلت عليه لقاء قصة الخميرة، وأنفقته في اقتناء بعض الثياب التي مقتها كلما ارتديتها.

قالت بريسيلا:

- لدينا كاتبة حقيقية في «بيت باتي».

وقالت العمّة جايمسنا بوقار:

- إنها مسؤولة جسيمة.

وافقتها بريس في رصانة أيضًا:

- إنها كذلك بالتأكيد. يمكننا دومًا الاعتماد على المؤلفين، وبوسع آن وصفنا جميعًا في كتاباتها.

قالت العمّة جايمسنا بحزم:

- عانيت أن القدرة على الكتابة في الصحف مسؤولة جسيمة. وأرجو أن تنجح آن في ذلك. اعتادت ابنتي كتابة القصص

قَبْلَ سَفَرِهَا، لَكِنَّ اهْتِمَامَهَا فَرَّتْ، الْآنَ. كَانَ شَعَارُهَا دَوْمًا:  
«لَا تَكْتُبِي سَطْرًا وَاحِدًا تَحْجِلِينَ مِنْ تِلَاوَتِهِ يَوْمَ جَنَازَتِكَ».  
تَبَنَّى ذَاكَ الشَّعَارَ يَا آنَ إِذَا أَرَدْتَ خَوْضَ غِمَارِ الْأَدَبِ، مَعَ  
أَنَّ إِلِزَابِيثَ طَالَمَا ضَحِكَتْ كُلَّمَا تَفَوَّهَتْ بِهِ. كَانَتْ كَثِيرَةً  
الضَّحِكِ، حَتَّى أَنِّي لَا أَعْلَمُ كَيْفَ اتَّخَذْتُ قَرَارَهَا بِأَنْ تُصْبِحَ  
مُبَشِّرَةً. أَنَا مَمْتَنَّةٌ لِأَنَّهَا قَامَتْ بِذَلِكَ، فَقَدْ صَلَّيْتُ مِنْ أَجْلِهَا،  
لَكِنِّي تَمَنَيْتُ لَوْ أَنَّهَا لَمْ تَفْعَلْ.

انفجرت الضحكات، فاستغربت العمّة جايمسمينا من قهقهة  
الصبايا المستهترات التي ترددت حولها.

برقت عينا آن كامل اليوم، وأزهرت طموحاتها الأدبية،  
وأينعت في ذهنها، ورافقتها نشوتها إلى حفلة جيني كوبر، ولم يُخمد  
أيُّ حدثٍ جُدوةً أمالها، حتّى وإن كان هذا الحدثُ ظهورَ جلبرت  
وكريستين يمسيان أمامها. لكنّ ذلك لم يمنعها من مُلاحظة مشية  
كريستين المضطربة، ففكرت فيها بازدراء:

- أظنّ أنّ جلبرت لا ينظرُ إلى شيءٍ سوى ملامحها، فهذا دأبُ  
الرجال.

قال روي الذي سار برفقته:

- هل ستكونين موجودةً في البيت، مساء السبت؟

- نعم.

فقال بهدوء:

- لأن أمي وأخواتي سيُزرنكِ هناك.

سرتُ في جسدِ آن موجهةٌ مِنَ التآثرِ، لكنّها لم تكن راقئةً تماماً. فهي لم تلتقِ أحداً من أسرة روي قطُّ، كما أنّها أدركت مغزى جملته القطعيّة نوعاً ما، فانتابتها قشعريّةً، وقالت ببرودٍ:

- يسرّني لقاءُهنّ.

وتساءلتُ إذ ما سرّها ذلك فعلا، لكنّه أمرٌ ضروريٌّ وعليها القيامُ به. ألن يبدو الأمرُ مثل امتحانٍ عسيرٍ؟ لقد تناهى إلى سمعها ما قيل حول رأي آل غاردنر في غرامياتِ ابنهم وأخيهم. ولا بدّ أنّ روي مارسَ عليهن ضغطاً للقبولِ بهذه الزيارة. كما أنّها تعرف أنّ هذه الزيارة تهدفُ إلى تقييمها واختبارها. فمادمن قد قبلنَ بزيارتها، فإنّهن يعدّنها مُرشحةً للانتماءِ إليهنّ. وأسرتُ في نفسها:

- سأبدو طبيعيّةً، ولن أحاولُ منحهنّ انطباعاً جيّداً.

لكنّها احتارت في اختيارِ الفستانِ الذي سترتديه مساءً السّبت، وتساءلتُ عمّا إذا كانتُ تسريحةُ الشّعْرِ العالِي الجديدة ستلائمها أفضلَ من القديمة، وهكذا فسدتُ نزهةُ اليومِ تماماً بالنسبة إليها. وفي المساء، قرّرتُ ارتداءَ فستانها البنيّ يومَ السّبتِ، والمحافظةُ على تسريحةِ شعرها المعتادة.

ظهيرةُ الجُمعة، لم يكنْ على الفتياتِ حضورُ دروسٍ في «ريدموند». استغلّتُ ستيلا الفرصةَ لتكتبَ مقالاً لصالحِ جمعيّةِ أحبّاءِ المعرفة، فجلستُ إلى مكتبٍ مكتظٍّ بالوثائقِ والأوراقِ، وقد تناثرتْ بعضُ المخطوطاتِ على الأرضيّةِ من حولها، فطالما أقسمتُ

أنها لا تستطيع كتابة أي شيء إلا إذا نثرت من حولها كل ورقة أتمت كتابتها. وفي الأثناء، تربعت أن، بشعرها الأشعث من أثر السير في الريح، على الأرضية، وداعبت القطة سارة بعظم ترقوة، بينما جلس كل من جوزيف وراستي في حضنها. وفي البيت، انتشرت رائحة دافئة محببة، هي رائحة طبخ بريسيلا التي قدمت إليهن ملفوفة في مئزر المطبخ الواسع، وقد لطخ الدقيق أنفها، لتعرض الكعكة التي انتهت منها على العمّة جايمسينا.

في هذه اللحظة الميمونة، طُرق الباب. فلم تُعرنه انتباهًا، إلا فيل التي نهضت وفتحته، متوقعة أن يكون الطارق فتى التسليم الذي جاء يسلمها قبعة اقتنتها هذا الصباح. وعلى عتبة الباب، وقفت السيّدة غاردنر برفقة بناتها.

تصارعت أن مع قدميها لتنهض، طاردة القطين من حضنها. أما بريسيلا التي كان عليها اجتياز كامل الغرفة لتبلغ المطبخ، فقد خيرت إخفاء كعكة الشوكولاتة أسفل وسادة على الأريكة، ثم هرولت إلى الدور العلوي. ولممت ستيلا مخطوطها بسرعة محمومة. وحدهما العمّة جايمسينا وفيل ظلّتا هادئتين، وبفضلهما جلس الجميع في راحة تامّة. هبطت بريسيلا، وقد نزع المئزر، وأزالت لطحّة الدقيق. ولممت ستيلا شتاتها، وأنقذت فيل الموقف بحديثها الشيق.

كانت السيّدة غاردنر فارعة الطول، ونحيفة، وبالغة الأناقة، وعلى ملاحظتها علامات مودّة زائفة. أمّا ألين غاردنر، فنسخة شابة

من أمّها، لا تنقُصها سوى تلك المسحةِ مِنَ المَوَدَّةِ. وطالما حاولتُ أن تبدوَ لطيفةً، لكنّها لم تنجحِ سوى في ظهورِها بمنظرِ المُتسلّطةِ. في المقابلِ كانت دوروثي غاردنر رشيقةً وظريفةً، لكنّها تبدو مثل وكد، وقد استقبلتها آن بحرارةٍ لأنّها تعرفُ أنّها شقيقةُ روي المفضّلةُ. وكان بالإمكان أن تكون نُسخةً طبق الأصلِ من روي لولا عيناها السّوداوان الحلماتان المختلفتان عن عينيهِ العسلِيّتين الخبيثتين. مضتِ السّهرةُ رائقةً بسبب لطافةِ دورثي وفيل، ولم يعكّر صفوها سوى بعضُ الإجهادِ، وحدثين غيرَ متوقّعين. فقد شرعَ راستي وجوزيف في لعبةِ المطاردةِ، وقفزا إلى فستانِ السّيّدةِ غاردنر الحريريّ، فحدّجتها بنظرةٍ من لم يرَ قطّاً في حياتِهِ، واضطّرتْ آن إلى الاعتذارِ بضحكةٍ مختنقةٍ.

قالتِ السّيّدةُ غاردنر بتعجّبٍ:

- أمولعةٌ بالقِططِ؟

لم تكنْ آن مُولعةً بالقِططِ، رَغْم تعلقِها براستي، لكنّ نبرةَ السّيّدةِ غاردنر أزعجتها كثيراً. وتذكّرتْ أنّ السّيّدةَ بلايث كانتْ شغوفةً جدًّا بالقِططِ، وكان زوجها يسمحُ لها بتربيةِ الكثيرِ منها. فقالتْ بخبثٍ:

- إنّها حيواناتٌ رائعةٌ، أليس كذلك؟

قالتِ السّيّدةُ غاردنر:

- لم أحبّها يوماً.

قالت دوروثي:

- أنا أحبُّها. إنَّها لطيفةٌ وأنايَّةٌ في آنٍ واحدٍ. لكنَّ الكلابَ ليست أنانيَّةً، وهي طيِّبةٌ أكثرَ مِنَ اللُّزومِ، لذلك لا تُشعُرني بالراحة. أمَّا القِططُ، فطبعُها أقربُ إلى طبعِ الإنسانِ.

قالت أَلين:

- لديكِ كلبانِ خزفيَّانِ رائِعانِ هُناك. هل بوسعي التَّطَلُّعُ إليهما عن كَثَبٍ؟

واجتازتِ العُرْفَةَ بِاتِّجاهِ المدفئةِ، فصارتُ دون وعيٍ منها سببَ الحادثِ المُوالي. فقد تناولتِ الكلبَ مأجوجَ، وجلستُ على الوسادةِ التي تُخفي كعكةَ بريسيلا. تبادلتُ آن وبريسيلا نظراتٍ حزينةً، لكنَّهما لا تستطِيعان شيئاً. فظَلَّت أَلين جالسةً على الوسادةِ، تتحدَّثُ عن الكلابِ الخزفيَّةِ، حتَّى أزيفتُ لحظةَ الرَّحيلِ.

تأخرتُ دوروثي في مجلسها لتمسكُ براحةِ آن، وتهمسَ لها:

- أعلم جيداً أننا سنصبحُ صديقتين. لقد أخبرني روي كلَّ شيءٍ عنك، فأنا الوحيدةُ من بين أفرادِ العائلةِ التي يخبرُها بكلِّ شيءٍ. لا أحدَ يُفضي بسرِّه إلى ماما أو أَلين. لا بُدَّ أنكن تمضين أوقاتاً سعيدةً هنا يا بنات. ألا تسمحن لي بزيارتكن، ومقاسمتكن المرح؟

ردَّت آن بعفويَّة:

- تعالي متى شئت!

وكانت شاكراً لأن إحدى شقيقات روي لطيفةٌ ومُحِبَّةٌ. لكنّها  
لن تحبّ ألين، ولن تُحبّها ألين أيضاً، رغم أنها قد تكسبُ قلبَ السيِّدةِ  
غاردنر. عموماً، تنفّستُ آن الصُّعداءَ حين انتهى الاختبارُ العسيرُ.  
قالت بريسيلا:

- ضاعتِ الكعكةُ، وتلفتِ الوسادةُ أيضاً. لا تقلن لي مجدداً إنَّ  
يومَ الجمعةِ يومٌ حظّي.  
قالتِ العمّةُ جايمسينا:

- من يُعلنُ قدومه يومَ السَّبْتِ لا يجدرُ به المجيءُ يومَ الجمعةِ.  
قالت فيل:

- أظنه خطأً روي. فهذا الفتى لا يتحمّلُ مسؤوليّةَ ما يُحدّث به  
آن. أين هي الآن؟

صعدتُ آن إلى الدّورِ العلويِّ. وانتابتها رغبةٌ مُلحّةٌ في العويلِ،  
لكنّها رسمتُ على وجهها ضحكةً بدلاً من ذلك. لقد كان راستي  
وجوزيف شقيينِ جدّاً، وكانت دوروثي لطيفةً جدّاً.

(37)

## التخرُّجُ مِنَ الْجَامِعَةِ

تدمرت فيل:

- أتمنى أن أموت، أو أن يحل مساء الغد.

قالت آن هادئة:

- إذا طالت حياتك ستتحقق أميبتاك.

- من السهل أن تحافظي على هدوئك، فأنت مرتاحة مع الفلسفة،  
أما أنا فلا. وحين أفكر بامتحان الغد يعتريني الذبول. ماذا  
سيقول عني جو لو أخفقت؟

- لن تحفقي. كيف كان اختبار اللغة اليونانية اليوم؟

- لا أدري. ربها كان جيِّداً، وربها سيئاً لدرجة تجعل هوميروس  
يتقلب في لحده. لقد درست، وفكرت، حتى صرت عاجزة  
عن إبداء أي رأي. كم سأكون شاكرة حين تنتهي كل هذه  
التحقيقات.

- تحقيقات؟ الكلمة ليست في محلها.

- أليس لي الحق في اختلاقي لفظ جديد؟



- الكلمات لا تُخْتَلَقُ، وإنَّما تنمو.

- لا يهم. أتطلّع إلى مياهٍ لا يعكّرُ الامتحانُ صفوها. أيتها البنات، هل تُدرِكن أنّ حياتنا في «ريدموند» على وشكِ النهاية؟

قالت آن بأسفٍ:

- لا أصدّق، كأنّي البارحة وصلتُ إلى هنا، وظللتُ وحيدةً برفقةِ بريس بين حشودِ طُلابِ السّنةِ الأولى في «ريدموند». وها نحن الآن نجتازُ امتحاناتِ التّخرُّجِ.

قالت فيل:

- هل صرنا أكثرَ حكمةً ممّا كنّا عليه عندَ حلولنا ريدموند؟

قالت العمّةُ جايمسينا بقسوةٍ:

- لا تتصرّفي كأنك كنتِ تملكين بعضها.

قالت فيل بتوسّلٍ:

- اه!، يا عمّتي جايمسينا!، ألم نكنُ فتياتٍ طيّباتٍ طيلةَ السّنواتِ الثلاثِ الماضيةِ؟

فأكّدتِ العمّةُ جايمسينا كلامها قائلةً، دون أن تقتصدَ في

عباراتِ الإطراءِ:

- كتتنّ الأربعةَ الأشدّ طيبةً وحناناً من كلّ اللّواتي حللن الجامعة. لكنني أخشى أنّه ينقُصُكنّ الحسُّ السّليم. والخبرةُ وحدها قادرةٌ على إكسابكنّ ذلك، فهو شيءٌ لا تعلّمنا إياه

الجامعة. لقد درستنّ بها أربع سنواتٍ، أمّا أنا فلم أرتدّها يوماً، ومع ذلك أفوقكنّ معرفةً يا فتيات.

فاقتبستُ ستيلا قائلةً:

«أشياءٌ كثيرةٌ لا تخضعُ للقواعد،

والمعرفةُ المقدّسةُ هنا وهناك

ليست حِكراً على الجامعة.

وكم من أمرٍ لا تعلّمنا إياه المدرسة.»

فسألتِ العمّةُ جايمسينا:

- هل تعلّمتنّ شيئاً في «ريدmond» غير اللّغاتِ الميّتة، والهندسة، وما إلى ذلك؟

احتجّتْ آن:

- اوه، بلى. لقد تعلّمنا حقيقةً ما أخبرنا به البروفيسور وودلاي: «الدّعابةُ هي بهارُ الوجود. اضحكُ من أخطائك، ولكن تعلّم منها. تنذّر بمتاعبك، ولكن استمدّ منها قوّتك. تهكّم من مصاعبك، ولكن تغلب عليها». أليس كلّ هذا جديراً بالدّرسِ يا عمّتي؟

- أجل يا عزيزتي. لكن حين تتعلّمين السّخريةَ من الأمورِ الجديرة بالضحك، وليس من الأمور التي لا تتحمّل ذلك، ستصيرين أكثر حكمةً.

همستُ بريسيلا:

- ما الذي خرجت به من دروسِ ريدموند يا آن؟

ردت أن ببطءٍ:

- تعلمت أن أعد كل عقبة صغيرة أمامي نوعاً من الدعابة،  
وكل صعوبة كبرى إيداناً بالنصر. ففي المحصلة، هذا ما  
جنيته من «ريدموند».

قالت بريسيلا:

- استرجعتُ للتو قولاً أخرى للبروفيسور وودلاي تعبر عما  
جنيته من «ريدموند». أتذكرين قوله: «كل ما في العالم لنا  
لو فتحنا أعيننا جيداً لنراه، وقلوبنا لنحبه، وأيدينا لنقطف  
ثماره، وكذلك كل ما في الرجال والنساء، والفن، والأدب،  
وكل ما يجعلنا سعداء ومعترفين بالجميل». هذا ما أعتقد أنني  
تعلمت في «ريدموند» يا آن.

قالت العمّة جايمسينا:

- ما فهمته من كلامكما هو أن أربع سنواتٍ في الجامعة تعوّض  
المرء خبرةً عشرين سنةً في الحياة. وهذا ما يفسر إقبال  
الشباب على الجامعة. لكنه أمرٌ لم أحسم فيه إلى اليوم.

- ماذا يحدث للناس الذين لا يتمتعون بنباهة طبيعية يا عمّة؟

- لن تعلمهم الجامعة، ولا حتى الحياة. ولو عمّروا مائة سنة،  
فلن يتعلموا شيئاً. إنه ليس خطأهم، وإنما هو سوء حظهم،  
يا للمساكين! لذلك يتعيّن علينا، نحن الذين حظينا بشيءٍ

مِن النَّبَاهَةِ، أَنْ نَشْكُرَ الرَّبَّ عَلَى هَذِهِ النِّعْمَةِ.

سَأَلْتُ فِيلَ:

- هل بوسعك تعريفُ النَّبَاهَةِ رجاءً؟

- لا، لا أستطيعُ أيتها الشَّابَّة. لكنَّ كلَّ من يملكُ قَدْرًا مِنْهَا

يَعْلَمُ كُنْهَهَا، أَمَا مَنْ حُرِّمَهَا فَلَنْ يَسْتَطِيعَ مَعْرِفَةَ سِرِّهَا. فلا

حَاجَةٌ لَنَا إِلَى تَعْرِيفِهَا، إِذَنْ. مَكْتَبَةُ سِرِّ مِنْ قَرَأَ

مَرَّتْ أَيَّامُ الْعَمَلِ الْمُضْنِيِّ، وَانْتَهَتْ فِتْرَةُ الْإِمْتِحَانَاتِ. تَحَصَّلْتُ

أَنْ عَلَى تَقْدِيرِ مَشْرِفٍ فِي الْإِنْجِلِيزِيَّةِ، وَحَصَلْتُ بِرِيسِيَلَا عَلَى نَفْسِ

الْمُلَاحِظَةِ فِي الْأَدَبِ الْكِلَاسِيكِيِّ، بَيْنَمَا نَالَتْهَا فِيلُ فِي الرِّيَاضِيَّاتِ. أَمَا

سِتِيلَا، فَكَانَتْ نَتَائِجُهَا مَرْضِيَّةً. وَحَانَ مَوْعِدُ حَفْلِ التَّخْرُجِ.

قَالَتْ أَنْ، وَهِيَ تَتَنَاوَلُ بَاقَةَ زَهْوَرِ الْبِنْفَسِجِ الَّتِي أَرْسَلَهَا رُوِي،

وَتَحَدِّقُ بِهَا:

- هَذَا مَا سَمَّيْتُهُ مِنْ قَبْلِ لِحْظَةٍ مَفْصِلِيَّةً.

ثُمَّ نَظَرْتُ صَوْبَ عَلْبَةٍ أُخْرَى عَلَى الْمِنْضَدَةِ، مَلِيئَةٌ بِزَنَابِقِ الْوَادِي

الطَّازِجَةِ الْمُعْطَّرَةِ مِثْلَ تِلْكَ الَّتِي تُزْهِرُ فِي «غَرِينِ غَايْبِلِز» حِينَ يَحُلُّ

الصَّيْفُ فِي «آفُونِي». وَإِلَى جَانِبِهَا، كَانَ ثَمَّةَ بَطَاقَةٍ تَهْنِئَةٍ مِنْ جَلْبَرْتِ

بَلَايْتِ.

تَسَاءَلْتُ أَنْ عَنِ سَبَبِ إِرْسَالِ جَلْبَرْتِ هَذِهِ الْبَاقَةَ. فَهِيَ لَمْ تَرَهُ

كَثِيرًا طِيلَةَ الشِّتَاءِ الْمَاضِي، إِذْ حَلَّ مَرَّةً وَاحِدَةً بَيْتِ بَاتِي، ذَاتَ جُمُعَةٍ،

إِبَّانَ أَعْيَادِ الْمِيَلَادِ، وَلَمْ يَلْتَقِيَا كَثِيرًا بَعْدَ ذَلِكَ. عَلِمْتُ أَنَّهُ يَدْرُسُ بِجَدِّ

ليحصلَ على تقديرٍ مُشرَّفٍ وعلى جائزةٍ «كوبر»، وأنَّه لم يشاركُ كثيرًا في الأنشطةِ الاجتماعيَّةِ بريدموند. وباستثناء ذلك، مرَّ شتاءُ آن، بهيجًا، التقت أثناءه آل غاردنر مرَّاتٍ عديدةً، ووطَّدتَ علاقتها بدوروثي، وانتظرَ الطلابُ إعلانَ خطوبتها من روي، وانتظرته آن بدورها. لكن، قبل أن تغادرَ «بيت باقي» نحو حفلِ التَّخرُّجِ، رَمَتْ بزُهورِ روي جانبًا، ووضعتُ زهورَ جلبرت مكانها. هي لا تعرفُ لصنيعها سببًا، لكنَّ أيامَ الصِّداقةِ والأحلامِ القَدِيمَةِ في آفونلي تبدو قَرِيبَةً جِدًّا مِنْهَا. لقد حلمت برفقةِ جلبرت بيومٍ تخرَّجِهما. وها قد حلَّ اليومُ الموعودُ، ولن يكونَ لزهورِ روي موضعٌ فيه، لأنَّ باقَةَ رفيقها القديم، وحدها، هي التي تنتمي إلى الأحلامِ والأُمْنِيَّاتِ التي تشاركاها.

طالما شدَّها يومُ التَّخرُّجِ، وأغواها لسنواتٍ عديدةً، لكنَّه ولى دون أن يتركَ في ذاكرتها شيئًا عن تلك اللَّحظةِ المُميِّزةِ الباهرةِ التي تسلَّمتَ فيها شهادةَ تخرُّجها بامتيازٍ، من يد عميد ريدموند، ولا عن بريقِ عينيَّ جلبرت حينَ لمحَ زنابقه، أو نظرةِ روي الحزينَةِ حينَ التقاها. لم يبقَ شيءٌ في ذاكرتها، بما في ذلك لحظةَ تلقِّيها تهاني أَلين غاردنر الحارَّةِ أو تمنِّيَّاتِ دوروثي اللطيفة، لكنَّ ما بقي مطبوعًا هو تلك اللَّحظةُ غيرَ المنتظرةِ التي أفسدتَ ذلك اليومَ الموعودَ، وتركتَ به شيئًا من مرارةٍ لا تُنسى.

انخرطَ خريجو قسمِ الآدابِ في الرِّقصِ تلكَ اللَّيلةِ. وحين أخذتُ آن تتجملُّ للحفلِ، وضعتُ أقرأطَ اللؤلؤِ التي اعتادتُ

وضَعَهَا جَانِبًا، وَتَنَاوَلَتْ الْعُلْبَةَ الصَّغِيرَةَ الَّتِي وَصَلَتْ «غَرِينِ غَايِلِز»  
ذَاتَ كَرِيْسِمَاس. كَانَتْ قِلَادَةٌ مَذْهَبَةٌ يَتَدَلَّى مِنْهَا قَلْبٌ زَهْرِيٌّ صَغِيرٌ  
مِنَ الْعَاجِ، دَاخِلُهَا، وَعَلَى الْبَطَاقَةِ الْمُصَاحِبَةِ كُتِبَ: «مَعَ أَطْيَبِ تَمَنِّيَاتِ  
صَدِيقِكَ الْقَدِيمِ، جَلْبَرْت». فِي الْحَقِيقَةِ، كَتَبَتْ أَنَّ رِسَالَةَ شُكْرِ إِلَى  
جَلْبَرْتِ بَعْدَ أَنْ حَاوَلَ إِرْضَاءَهَا بِقَلْبٍ وَرَدِيٍّ جَمِيلٍ، لَكِنَّهَا لَمْ يَسْبُقْ  
أَنْ وَضَعَتْ الْقِلَادَةَ. وَهِيَ قَدْ عَلَّقَتْهَا هَذِهِ اللَّيْلَةَ فِي رَقَبَتِهَا الْعَاجِيَّةِ مَعَ  
ابْتِسَامَةٍ حَالِمَةٍ.

سَارَتْ إِلَى «رِيدْمُونْد» بِرَفْقَةِ فَيْلٍ، وَوَلَاذَتْ بِالصَّمْتِ، بَيْنَمَا  
تُرْتَثِرُ فَيْلٌ فِي أُمُورٍ عَدِيدَةٍ، قَبْلَ أَنْ تَقُولَ فَجَاءَةً:  
- سَمِعْتُ أَنَّ جَلْبَرْتَ بَلَائِثَ وَكَرِيْسْتِينَ سِتِيوَارْتِ سَيُعْلَنَانِ  
خَطُوبَتَهُمَا الْيَوْمَ، مَبَاشَرَةً إِثْرَ حَفْلِ التَّخْرُجِ. هَلْ سَمِعْتَ شَيْئًا  
عَنْ ذَلِكَ؟

- لَا.

- أَظَنَّ الْخَبَرَ صَحِيحًا.

لَمْ تَنْبَسِ أَنَّ بَيْنَتِ شَفَةَ، وَشَعَرَتْ بِسَحْنَتِهَا تَلْتَهَبُ فِي الظَّلَامِ،  
فَدَسَّتْ يَدَهَا أَسْفَلَ رَقَبَةِ فِسْتَانِهَا وَشَدَّتْ عَلَى الْقِلَادَةِ حَتَّى انْتَزَعَتْهَا،  
ثُمَّ أَلْقَتْ بِهَا فِي جَيْبِهَا، وَقَدْ ارْتَجَفَتْ يَدَاهَا، وَأَحْرَقَتْ دَمْعَةً مَكْتُومَةً  
عَيْنَيْهَا.

لَكِنَّهَا بَدَتْ مُبْتَهَجَةً جَدًّا تِلْكَ اللَّيْلَةَ، وَاعْتَذَرَتْ عَنِ الرَّقْصِ  
مَعَ جَلْبَرْتِ، وَلَمْ تَضَاهِيهَا أَيُّ مِنَ الْفَتَيَاتِ فِي التَّعْلِيْقِ عَنْ أَحْدَاثِ  
ذَلِكَ الْيَوْمِ، حِينَ جَلَسْنَ، فِيمَا بَعْدَ، فِي «بَيْتِ بَاتِي».

قالتِ العمّةُ جايمسينا:

- أتى مودي سبورجون ماكفرسون الليلة، بعد مغادرتكن، إذ لا علم له بباليه التّخرّج. على هذا الولدِ ربطُ أذنيه بشريطٍ مطاطيّ كي لا تخرُجا. لقد جرّب أحدَ خلّاني ذلك، بعد أن أشرت عليه به، وتحسّنت حالته كثيرا. لقد عمل بنصيحتي، لكنّه لم يغفر لي أبدا.

تشاءبت بريسيلًا وقالتُ:

- مودي سبورجون جدّي جدّا. وهو يهتمُّ بأمرٍ أكثرَ خطرًا من أذنيه. سوف يُصبح قَسًا، أتعلمين؟

قالتِ العمّةُ جايمسينا:

- حسنًا، أظنّ أنّ الرّبَّ لا ينظرُ إلى أذني الإنسان.

(38)

## فجر زائف

قالت آن، وهي تنحني على العلبه التي كانت تملؤها بأغطية  
السيدة راشيل ليتد:

- أتخيلين أنني سأكون بآفونلي بعد أسبوع. يا لها من فكرة  
عذبة! لكنني سأغادرُ «بيت باتي» إلى الأبد، بعد أسبوعٍ أيضاً.  
ويا لها من فكرة مُروعة!

قالت فيل:

- هل سيردّد الصدى شبح ضحكاتنا في أحلام الأنسة باتي،  
والآنسة ماريّا؟

كانت الأنسة باتي، والأنسة ماريّا، في تلك الأثناء، في طريق  
العودة إلى البيت، بعد رحلتها حول العالم. وقد كتبت الأنسة باتي  
إلى آن:

«سنعودُ في الأسبوع الثاني من أيار. أتوقّع ألا يسعنا «بيت باتي»  
بعد جولتنا في معبد الملوك في الكرنك<sup>(1)</sup>، لكنني لم أحبّ العيش في

(1) تجتمع هائل من أطلال المعابد وأماكن الصلاة والأعمدة الضخمة ومبانٍ أخرى. يقع  
على بعد 3 كم من الأقصر في مصر.



بيوتٍ ضخمةٍ قطّ، وسأسعدُ بالعودةِ إلى البيتِ مُجدداً. حين تشرعين في السفر في سنٍّ متقدّمةٍ، ستُحسِنين استغلاله، لأنّه لم يتبقَّ لك الكثيرُ من الوقت. أخشى ألاّ تبتهج ماريا بهذا القدرِ مجدداً».

قالت آن، وهي تجلُّ بصرها في أنحاءِ الغرفةِ الزرقاءِ، غرفتها الجميلةِ حيثُ قضتُ سنواتٍ سعيدةً:

- سأتركُ هنا كلَّ أحلامي ورغباتي، وأخلفها ورائي للقاطنِ الجديد.

جثتُ آن عند نافذتها لتُصليّ، ثمّ انحنتُ عليها لتشهدَ غروبَ الشمسِ خلفَ أشجارِ الصنوبر، واستمعتُ لمطرِ الخريفِ وهو ينهمرُ عليها، واستقبلتُ عصافيرَ الربيعِ على عتبتها. تساءلتُ عمّا إذا كانتِ الأحلامُ القديمةُ تسكنُ الغرفَ مثلَ الأشباحِ، وعمّا إذا ما ترك المرءُ في الغرفةِ التي عرفَ فيها الفرحةَ، والألمَ، والضحكَ، والبكاءَ، شيئاً منه خفياً وغيرَ ملموسٍ، وعمّا إذا بقيَ ذلكَ الشّيءُ بعدهِ مثلَ ذكرى صاخبةٍ؟

قالتُ فيل:

- أعتقدُ أنّ الغرفةَ التي يحلمُ فيها المرءُ، ويحزنُ، ويسعدُ، ويحيا، ترتبطُ بهذه الأشياءِ، وتكوّنُ شخصيّةً خاصّةً بها. أنا على يقينٍ أنّي لو عدتُ إلى هذه الغرفةِ بعدَ خمسينَ سنةٍ من الآن، فستقولُ لي، «آن يا عزيزتي كمّ من لحظاتٍ رائعةٍ أمضيناها معاً هنا. لن أنسى تلكَ الأحاديثِ، والدّعاباتِ، والحفلاتِ». اه، يا إلهي! سأتزوَّجُ من جو في حزيران، وأعرفُ أنّي سأصيرُ

سعيدة جدًا، لكنني الآن أشعر أنني أريد الحياة في «ريدموند»،  
إلى الأبد.

اعترفت آن قائلةً:

- فقدت صوابي الآن، وصرت أتمنى حدوث ذلك فعلا. فمهما  
سعدنا بحياتنا اللاحقة، فلن نعرف ذات البهجة، ولا الحياة  
المترفة التي عشناها هنا. لقد انتهى كل شيء إلى الأبد يا فيل.  
سألتها فيل حين دخل القطّ المدلل إلى الغرفة:

- ماذا ستفعلين براستي؟

قالت العمّة جايمسينا، وهي تتبع راستي:

- سأحمله برفقة جوزيف والقطّة سارة إلى البيت. فمن العار  
أن نفرّق بين هذه القطط، بعدما تعلّمت العيش معاً. إنه  
درس قاسٍ للقطط والبشر.

قالت آن متحسرةً:

- يُجزّني فراق راستي. لكن، لا جدوى من حملي إلى «غرين  
غايبلز»، فماريلا تبغض القطط، ودافني سيعبثُ به. زيادةً  
على أنني لن أمكثُ مطوّلاً بالبيت. فقد عُرض عليّ منصبُ  
مديرة معهد «سامر سايد».

مكتبة

t.me/soramnqraa

سألتها فيل:

- هل ستقبلين بالعرض؟

تصرّجتُ آن وهي تُجيبها:

- لم... لم ألتخذ قرارى بعد.

أومات فيل مُتفهمة. بالطبع، لن تستقرّ آن على رأي حتى يتكلم روي. لكنّه سيفعل قريباً دون شكّ، مثلما أنّه لا شكّ في أنّ آن ستجيبُ «بنعم» حين يقولُ «هل تقبلين رجاء؟».

نظرتُ آن إلى المسألة بشيءٍ من الرضا واللامبالاة. فهي متبمة بروي. لكنّ هذا الحبّ، في الحقيقة، لم يكن يشبه ما تخيلته سابقاً. وطالما تساءلت متضايقةً إذا ما كان ثمة شيءٌ في الحياة يُشبه ما يتخيلهُ المرءُ عنه. أحسّت أنّ كأنّ خيبة أمل الصبا في الماسة القديمة تتكرّر، ذات الخيبة التي شعرتُ بها حين رأيتُ بريقاً بارداً بدلاً من البهاء الأرجواني البديع الذي توقّعتّه. قالت حينها: «ليست هذه فكرتي عن المأس». لكنّ روي شابٌّ فاتنٌ، وسيغرفان السعادة معاً، حتى لو افتقدت حياتهما مذاقاً خاصاً لا يسعها تعريفه. وحين أتى روي تلك الليلة، وطلب من آن السير في المنتزه، كان كلُّ من في «بيت باتي» يعرف ما الذي أتى من أجله، واعتقدن جميعاً أنّهن يعلمن جواب أنّ مسبقاً.

قالت العمة جايمسينا:

- أنّ محظوظةٌ جداً.

وقالت ستيتلا، وهي تهزُّ كتفيها:

- أظنّ ذلك. روي فتى طيبٌ، وما إلى ذلك، لكنّه لا يملك شيئاً مُميّزاً.

أَبْتَهَا الْعَمَّةُ جَائِمِسِينَا:

- ملاحظتك أساسها الغيرة يا ستيلما ماينارد.

- رُبِّمَا، لكنني لا أشعرُ بالغيرة، فأنا أحبُّ أن، ويُعجِبُنِي روي.

ويقول الجميعُ إنَّهما يليقانِ ببعضهما، وحتى السيِّدة غاردنر  
صارتُ تراها ظريفة، ويبدو الأمرُ كأننا في الجنة، لكنَّ  
الشُّكوكَ تساورني. إلامَ خلصتِ يا عمَّة؟

طلبَ روي يدَ آن في ظلِّ السُّرادقِ الصَّغيرِ، في ضفَّةِ الميناءِ،  
حيثُ سبقَ أن التقيا أوَّلَ مرَّةٍ، في ذلك اليومِ الماطرِ. بدأ اختياره  
لذلك المكانِ رومانسيًّا جدًّا في عينيَّ آن. وانتقى عباراتِ خطابٍ  
طلبَ يدها للزَّواجِ بعنايةٍ فائقةٍ، فبدتُ كأنَّها منقولةٌ عن كتاب.  
وكان المزاجُ العامُّ مثاليًّا وجادًا. فلم يكنْ من شكٍّ أن روي عنيَّ  
كلَّ كلماته، ولم تُشكَلْ أيُّ منها نشارًا يُفسدُ تناغمَ حديثه. وشعرتُ  
أنَّه كان يجدرُ بالرجفةِ أن تتأبَّها من رأسها حتى أخمضَ قدميها.  
لكنَّ ذلك لم يحدث، وظلَّت باردةً بشكلٍ فظيع. وحين سكتَ روي  
بانظارٍ ردِّها، انفرجتُ شفَتَا آن لتُطلقا سراحَ كلمةِ «نعم» المحتومة،  
فألقت نفسها ترتجفُ كأنَّها على شفاهاوية. وعاشت لحظةً باهرةً  
من لحظاتِ التَّوويرِ التي تختزلُ خبرةَ السنينِ دُفعةً واحدةً. فجذبتُ  
يدها من يد روي وصرختُ بحدَّة:

- لا يسعُنِي الزَّواجُ مِنكَ. لا أستطيع. لا أستطيع.

شحبَ وجهُ روي، واضطربَ كثيرًا. كان واثقًا من نفسه إلى

حدِّ يُؤاخِذُ عليه، وتلعثمُ قائلاً:

- ماذا تعنين؟

- أعني أنّه لا يسعني الزّواج منك. ظننتُ أنّي أستطيع. لكنني لا أستطيع.

سألها روي بهدوءٍ هذه المرّة:

- لماذا؟

- لأنّي... لا أحبّك بهذا القدر.

صارَ وجهُ روي قرمزياً، وقال ببطءٍ:

- تسليّتِ بي طيلةَ عامينِ إذن؟

شهقتُ آن:

- لا، أبداً.

كيف كان بوسعها أن تشرحَ له الأمر. لا يمكنُها ذلك، فبعضُ الأمور غير قابلةٍ للتفسير.

- ظننتُ بصدقِ أنّي أحبّك، لكن، تبينَ لي الآن أنّي لا...

قال روي بمرارةٍ:

- لقد دمّرتِ حياتي.

توسّلتُ آن في بؤسٍ:

- المغفرة!

دارَ روي على عَقبيته، وظلَّ يُحدِّقُ صوبَ البحر. حافظ وجهه

على شحوبه حينَ التفتَ صوبَ آن، وقال:

- ألا تمنحيني بعض الأمل؟

أومأت آن برأسها نفيًا، فقال:

- الوداعُ إذن. لا أصدّق الأمر! لا أصدّق أنّكِ لستِ المرأةَ التي عرفتِ! لا طائلَ من العتاب! أنتِ المرأةُ الوحيدةُ التي أحببتِ. شكرًا لك على منحي صداقتكِ على الأقل. الوداعُ يا آن.

تلجلجتُ آن:

- الوداع.

حينَ رحَل روي، جَلستُ برهةً في السُّرادقِ، تُشاهدُ قَطراتِ الندى تتساقطُ ناحيةَ الميناء. أزيْتُ لحظةً الخزي والهوان، وغرقتُ بينَ أمواجها، لكنّها شعرتُ في خضمِّ ذلك أنّها استردتُ حرّيتها.

تسلّلتُ إلى منزلٍ باقٍ عند الغسقِ، ولاذتُ بغرفتها. لكنّ فيل كانت هُناك، تجلسُ حذو النافذة. تضرّجتُ آن وقالت:

- انتظري حتى أقصّ عليك كلَّ شيء. طلبَ روي يدي، فرفضته.

- رفضته؟

- نعم.

- آن شيرلي، هل أنتِ في كاملٍ وعيكِ؟

- أظنّ ذلك. اوه، فيل، لا تُوبّخيني! أنتِ لا تفهمين.

- طبعًا، لا أفهم. شجّعتِ روي غاردنر سنتين، والآن تقولين

إِنَّكَ رَفَضْتِ طَلْبَهُ. كُنْتِ، إِذْنِ، تُغْوِينَهُ وَتَغَازِلِينَهُ فَحَسِبَ.  
أَنْ، لَا أَصَدِّقُ أَنَّكَ فَعَلْتِ ذَلِكَ!

- لَمْ أَغَازِلْهُ. ظَنَنْتُ بِصَدَقِ أُنِّي أَحْبَبُهُ، حَتَّى آخِرِ لِحْظَةٍ، ثُمَّ،  
حَسَنًا، أَدْرَكْتُ فَقَطُ أَنَّهُ لَا يَسْعُنِي أَنْ أُتْرَوْجَهُ قَطًّا.

قَالَتْ فَيْلٌ بِقِسْوَةٍ:

- أَعْتَقَدُ أَنَّ مَالَهُ أَغْوَاكِ، ثُمَّ وَخَزَكِ ضَمِيرُكَ، وَمَنْعَكَ عَنِ ذَلِكَ.  
- لَا، لَمْ أَفَكَّرْ بِمَالِهِ قَطًّا. أَوْهَ! لَا يُمَكِّنُنِي شَرْحُ الْأَمْرِ لَهُ أَوْ لَكَ.  
- حَسَنًا، مِنَ الْعَيْبِ طَبَعًا أَنْ تَفْعَلِي هَذَا بَرُوي. إِنَّهُ وَسِيمٌ،  
وَذَكِيٌّ، وَثَرِيٌّ، وَلَطِيفٌ. مَاذَا تَرِيدِينَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ؟

- أُرِيدُ رَجُلًا يَنْتَمِي إِلَيَّ وَإِلَى حَيَاتِي. لَمْ يَلِجْ رُوي حَيَاتِي، وَإِنَّمَا  
سَحَرَنِي بِدَايَةِ بُوَسَامَتِهِ، وَكَلِمَاتِهِ الْمَعْسُولَةِ، ثُمَّ ظَنَنْتُ أُنِّي أَحْبَبَهُ  
لَأَنَّهُ يَشْبَهُ فَارِسَ أَحْلَامِي.

قَالَتْ فَيْلٌ:

- أَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَقْرَأُ لِي قَرَارًا، لَكِنَّكَ أَسْوَأُ مِنِّي حَالًا.  
اِحْتَجَّتْ أَنْ قَائِلَةٌ:

- أَعْرِفُ مَا أُرِيدُ، لَكِنَّ الْمَشْكَلَةَ أَنَّ ذَهْنِي لَا يَسْتَقِرُّ عَلَى حَالٍ.  
- حَسَنًا، لَا جُدُوى مِنَ الْكَلَامِ مَعَكَ.

- لَا طَائِلَ مِنْ ذَلِكَ يَا فَيْلُ! أَشْعُرُ بِسُوءٍ كَبِيرٍ. لَنْ أَسْتَطِيعَ  
التَّفْكِيرَ فِي أَيَّامِ رَيْدَمُونْدٍ دُونَ تَذْكَرِ خَزِي هَذِهِ اللَّيْلَةَ. صَارَ  
رُوي يَبْغِضُنِي، وَأَنْتِ تَبْغِضِينِنِي، وَأَنَا أَمَقْتُ نَفْسِي.

أشفقتُ فيلَ عليها، وقالت:

- عزيزتي البائسة. تعالِي إلى هُنا لأواسِيكِ. فأنا آخرُ مَنْ يُحُقُّ لَهُ  
أن يُعَاتِبَكَ، لأنِّي كنتُ سأتزوَّجُ من أليكِ أو ألونزو لو لم التقي  
جو. اوه يا آن!، الأمورُ مُتشابِكَةٌ ومعقَّدةٌ في الحياة الواقعيَّة،  
وليست واضحةً ودقيقةً مثل حياة أبطال الروايات.

انتحبتُ آن، وقالت:

- أرجو ألا يعرضَ عليَّ أحدُهم الزَّواجَ، ما حييت.  
قالَتْها وهي تعني كلَّ كلماتها.



(39)

## حكايات الزواج

طيلة الأسابيع الأولى التي تلت عودتها إلى «غرين غايلز»، شعرت أن الحياة قست عليها، وأدارت لها ظهرها. فقد افتقدت الرفقة الرائقة في «بيت باتي»، واستحالت كل الأحلام الرائعة التي استمتعت بها طيلة الشتاء الماضي، غباراً منشوراً، ولم تبق قادرة على الحلم مجدداً في خضم مزاجها المتعكر. واكتشفت أن وحدة دون أحلام تفقد كل رونقها.

لم تر روي ثانية، منذ فراقهما المؤلم في سردق المنتزه، لكن دوروثي زارتها قبل أن تغادر «كينغسبورت».

قالت دوروثي:

- يُحزني أنك لن تتزوجي روي. فكم أردت أن تكوني شقيقتي. لكنك على حق. ستموتين ضجراً برفقته. أنا أحبه لأنه فتى لطيف، لكنه مُمل قليلاً.

- لن يفسد هذا صداقتنا، أليس كذلك يا دوروثي؟

- لا، طبعاً. لا يمكنني خسارتك. وطالما لن تكوني شقيقتي، فإني أنوي الاحتفاظ بك كصديقة. لا تشغلي بالك بروي.

إنه تعيسُ الآن، لكنّه سيَتَخَطَّى الأمرَ كعادته.

- اوه!، كعادته؟ هل تخطى أمراً كهذا من قبل؟

قالتُ دوروثي بصراحة:

- نعم، مرّتين قبل ذلك. وشكا إليّ حُزنه في كلتا المناسبتين.

لم ترفضه الفتاتان، لكنهما أخبرتاه بخطوبتهما إلى شخصين

آخرين. حين التقاك، طبعاً، أخبرني أنّه لم يُحِبَّ فعلاً من قبل،

وأنّ العلاقتين السابقتين كانتا أحلامَ صبا. لكن، لا تقلقي!

قرّرت أن ألا تقلقي. وامتزج في مشاعرها الارتياح والاستياء.

كانت واثقة أنّها الوحيدة التي أحبّها روي في حياته. واعتقد روي

ذلك، دون شك. لكنّ ما يريحها هو شعورها بأنّها لم تُفسد حياته.

لا بدّ أن آلهة أخرى سبقتها في حياة روي الذي كان يحتاج دوماً أن

يتعبّد إحداهن، لكنّ الحياة أيقظته من أوهامه التي وجدتها آن واهية

تماماً.

هبطت آن من غرفتها مساءً عودتها إلى البيت، وقد علتُ حُيّاها

موجةً من الحُزن:

- ما الذي أصاب شجرةً تُفّاحِ ملكة الثلج يا ماريلا؟

- اوه!، كنتُ أعلمُ أنّ ذلك سيؤمك. أنا أيضاً حزينة، فقد ألفتُ

وجودَ هذه الشجرة منذ صباي، لكنّ عواصف شهر مارس

حطّمتها، فتعفّنت حتى النُخاع.

- سأشتاق رؤيتها كثيراً، وستبدو الغرفة التي تعلو الشرفة

مُختلفةً دونها، وسأشعرُ بالضِّياعِ كلِّما أُطلتُ من نافذتها،  
زيادةً على أنها المرَّةُ الأولى التي أعودُ فيها إلى «غرين غايلز»  
ولا أجدُ ديانا بانتظارِي.

قالتِ السيِّدةُ ليند بنبرةٍ ذاتِ مَعزى:

- لديانا أمورٌ أخرى تهتمُّ بها الآن.

جلستُ آن على سلامِ الشَّرْفَةِ، حيثُ انعكستُ شمسُ المساءِ  
على ضَفيرتها الذهبيَّة، وقالتُ:

- حسنا، حدِّثيني عن أخبارِ «آفونلي».

قالتِ السيِّدةُ ليند:

- لا توجد أخبارٌ غير تلك التي أوردناها في رسائِلنا إليك.  
أظن أنك لم تسمعي أن سيمون فلتشر قد أصيب بكسرٍ في  
ساقه الأسبوع الماضي. إنه أمرٌ جليلٌ بالنسبة إلى عائلته.

قالتُ ماريلا:

- إنه ينحدرُ من أسرةٍ مُتزمَّةة.

- مُتزمَّةة؟ طبعًا. لقد اعتادتُ أمُّه جمعنا في الكنيسةِ لتُخبرنا عن  
آثامِ أبنائِها، وتطلبَ مِنَّا الدَّعاءَ لهم، فقد انقلبوا إلى مجانين.

- لم تُخبري آن عن جاين؟

- اوه!، جاين، حسنا، عادتِ الأسبوعَ الفارطُ من الغربِ،  
وتستعدُّ للزواجِ من مليونيرٍ من «وينياغ». تأكّدي أنّ السيِّدة  
هارمون نشرتِ الخبرَ بسرعةٍ فائقة.

قالت آن من أعماقها:

- يا لجاين العزيزة!، أنا سعيدة من أجلها، فهي تستحق كل مباحج الحياة.

- اوه!، لا شيء لي ضد جاين، فهي طيبة كفاية، لكنها لا تنتمي إلى طبقة الأثرياء، وستدركين ألا شيء يُميز ذلك الرجل غير ماله. ومع أن السيّدة هارمون تقول إنه سيّد أنجليزيٌّ أثرى في ميدان المناجم، فإني أظنُّ أنه سيظهر من اليانكي في نهاية المطاف. لا بدّ أنه يملك أموالاً طائلة، فقد غمر جاين بالمجوهرات، لكنّ خاتم الخطوبة الذي اتخذ شكل ماسة كبيرة لم يناسب يد جاين السمينّة.

لم تستطع السيّدة ليند إخفاء المرارة في نبرتها. فهذا هي جاين اندروز، ذات الجمال العاديّ تُخطبُ إلى مليونير، بينما لم يهتم أحدٌ بأن، فقيراً كان أو ثريّاً. زيادةً على أن تبجّح السيّدة هارمون لا يُطاق. تساءلت ماريلا:

- كيف أبلى جلبرت بلايث في الجامعة؟ رأيتُه حين عودته الأسبوع الفارط، وكان على درجة من الشحوب والهزال حتى أنّي لم أتعرفه، للوهلة الأولى.  
ردّت آن:

- درسَ بجدّ طيلة الشتاء الماضي. أتعلمين أنه تخرّج بتفوّق وحصل على جائزة «كوبر» التي حُجبت خمس سنواتٍ قبل

ذلك. أعتقدُ أنّ ذلك ما يفسّر إرهابه. في الحقيقة، أصابنا  
الإرهابُ جميعاً.

قالتِ السيّدة ليند:

- لقد تخرّجتِ من الجامعةِ على أيّ حالٍ، ولنُ تعرفَ جاين  
أندروز ذلكَ المصيرَ أبداً.

بعد بضعةِ أيّامٍ، ذهبتُ آن لزيارةِ جاين، لكنّها وجدتها في  
زيارةٍ إلى شارلوت تاون، «لتنهيَ أشغالَ الحياكة»، كما قالتِ السيّدةُ  
هارمون بكلِّ فخرٍ، «فأيُّ خياطةٍ من «آفونلي» لنُ تليقَ بمقامِ جاين  
في ظروفها الرّاهنة».

قالتُ آن:

- تناهتُ إليّ أخبارٌ طيبةٌ عن جاين.

أوماتِ السيّدةُ هارمون قائلةً:

- أجل، أبلتُ جاين بلاءً حسناً، رغمَ عدمِ حصولها على إجازةٍ  
من الجامعة. إنّ السيّدَ انغليز يملكُ الملايينَ، وسيُسافرانِ إلى  
أوروبا في شهرِ العسل، وعندَ عودتهما، سيَعيشانِ في قصرٍ من  
المزمرِ في «وينباغ». لكنّ جاين ستواجهُ مُشكلةً واحدةً: فهي  
تُجيدُ الطبخَ، لكنّ زوجها لنُ يسمَحَ لها بذلكَ، وسيستأجرُ،  
لشدةِ ثرائه، مَنْ يطبخُ له طعامه. سيكونَ لهما طاهٍ، وخادِمَتانِ،  
وسائقٌ، وشخصٌ يقومُ بكلِّ الأعمال. لكنّ ماذا عنكِ يا آن؟  
لم أسمعُ أنّكِ ستزوّجينَ بعدَ ذهابكِ إلى الجامعةِ.

ضحكتُ آن، وقالت:

- اوه!، سأصيرُ عانسًا، فلم أستطعِ العُثورَ على زوجٍ يُلائمُنِي.  
كانت كلماتُ آن لثيمةً، لأنّها أرادتُ، عَن قَصْدٍ، تذكيرَ السّيِّدةِ  
أندروز بأنّها لم تصرُ عانسًا لأنّها لم تحضُلْ على أيِّ فرصةٍ للزواجِ  
فحسب. لكنّ السّيِّدةَ هارمون عجلتْ بردّ الصّاعِ صاعين:

- الفتياتُ المميّزاتُ يُتركنَ جانبًا عُمومًا. وما هذا الذي  
أسمعه عن خطوبةِ جلبرت بلايث والآنسةِ ستيوارت؟ قال  
لي تشارلي سلون إنّها فاتنة. أهَي فاتنةٌ حقًا؟  
قررتُ أن مواصلةً صراعِها مع السّيِّدة هارون.

- مادامتُ جاين غائبةً، فلا أظنّ أنّه بوسعي البقاءُ أكثرَ هذا  
الصّباح. سأزورُكّ حين تعودُ إلى البيت.

قالتِ السّيِّدةُ هارمون بانسيابٍ:

- جاين ليستُ مُتكبِّرةً، وتريدُ أن تظلَّ على علاقةٍ برفيقاتِها  
القُدّامى. سيُسعدُها لقاءُكّ حتّى.

حلَّ ركبُ المليونير، خطيبِ جاين، في أواخرِ مايو، وتزوَّجَا في  
جوٍّ مِنَ الأُبّهة. ولم تُخفِ السّيِّدةُ ليندُ غِبَطَتَها، بسببِ حِقْدِها المَعهودِ،  
عندما اكتشفتُ أنّ السّيِّدَ انقليسَ قصيرُ القامةِ، ونحيلٌ، وشاحبٌ،  
وتجاوزَ الأربعينَ من عُمره. ولم تدخُرْ جهدًا في استعراضِ كلِّ  
مساوئِهِ.

قالتِ السّيِّدةُ رايتشل بوقارٍ:

- لَنْ يَمْنَحَهُ كُلُّ مَا يَمْلِكُهُ مِنْ ذَهَبٍ ذَلِكَ الْبَرِيقَ الْمَطْلُوبَ.  
قالت آن:

- يبدو لطيفاً وطيب القلب. وأنا واثقة من أن جاين هي كل حياتِه.

## مكتبة

t.me/soramnqraa

قالت السيِّدة رايتشل:

- اعمم!

تقرّر زواج فيل جوردون الأسبوع الموالي، فذهبت آن إلى «بولينغ بروك» لتكون إشبينة العروس. كانت فيل عروساً بهيئة الطلعة، وكان القسّ جو مُتألّقاً من السعادة، حتّى نبيّ الناس سحتته العاديّة.  
قالت فيل:

- سندهبُ في نُزهةٍ للعُشاقِ إلى أرضِ «إيفنجلينا»<sup>(1)</sup>، وبعد ذلك سنستقرّ في «شارع باترسون». صحيحٌ أنّ أمّي لا يُعجبها الأمر، وتعتقد أنّ على جو أن يتخذَ كنيسةً في مكانٍ لائقٍ، لكنّ وجودَ جو في أحياءِ «باترسون» الفقيرة سيجعلها تتفتّحُ مثل وَرْدَةٍ. اوه، يا آن، يفيضُ قلبي سعادةً.

طالماً كانت آن مسرورةً بسعادةِ أصدقائها، لكنّ سعادة الآخرين من حولك تجعلك تشعرُ قليلاً بالوحدة. وذلك ما حدث فعلاً عند عودتها إلى «آفونلي».

(1) منطقةٌ طبيعيّةٌ خلّابةٌ في نونفا سكوتيا، بكندا.

هذه المرّة، أشعت ديانا بذلك الألق الذي يعتريني كلّ أمّ يرفُدُ إلى جانبها طفلها البكر. نظرتُ آن إلى الأمّ الشابة برهبة لم يسبق أن شعرتُ بها نحو ديانا من قبل. هل يمكنُ أن تكونَ هذه السيّدة الشاحبة، بعينها المليئتين نشوةً، هي ذاتها ديانا الصّغيرة ذاتُ الجدائلِ السّوداءِ والوجنتينِ الزّهريتينِ، التي طالما لعبتُ معها في صباهما البعيد؟

قالت ديانا بفخرٍ:

- أليسَ وسيماً؟

كان الطّفُلُ البدينُ يشبهُ فريدَ تماماً، فكان مُدوّراً وأحمر. ولم يكنُ بوسعِ آن أن تقولَ إنّها تجدهُ وسيماً، لكنّها أقسمتُ أنّه كان حُلّواً، وأنّ النّاسَ لن يُمسِكوا أنفُسَهُم عن لثمه وتقيله.

قالت ديانا:

- قبل ولادته، رغبتُ في طفلةٍ، كي أدعوها آن. لكنّ، الآن وقد حلَّ ركبُ فريدِ الصّغيرِ، فلن أبادلُه بمليونِ طفلةٍ.

قالت السيّدةُ آن مبتهجةً:

- كلّ طفلٍ هو الأفضلُ والأجملُ. ولو قدَّرَ مجيءُ الطّفلةِ آن لانتابتكِ نفسُ المشاعرِ نحوها.

زارتِ السيّدةُ آن «آفونلي» أوّل مرّةٍ منذُ رحيلها عنها. فكانتُ لطيفةً ومُبتهجةً للغاية. ورحبتُ رفيقاتها بعودتها بجذلٍ وانتشاء. فمع أنّ لزوجته القسّ الحاليّ شأنًا عظيمًا، فلم تكن شخصًا ترتاح له الأنفُسُ بسهولة.



تنهّدت ديانا، وقالت:

- لا أطيعُ صبرًا لرؤيته ينطق، وأتحرّقُ شوقًا لسماعِ كلمةِ «ماما». ستكون ذكراه الأولى عني طيبة. أمّا أنا فأول ما أذكرُ من أمّي كان لطمها لي من أجلِ أمرٍ ما قمتُ به. أنا واثقةٌ أنّي كنتُ أستحقُّ ذلك، وطالما كانت أمّي أمّا حنونًا، وأنا أحبُّها حبًّا جمًّا، لكنني تمنيتُ لو أن ذكراي الأولى عنها كانتُ الطف.

قالتِ السيّدة آلان:

- لي ذكرى واحدةٌ من أمّي، وهي لعمري أعذبُ ذكرياتي. كنتُ بسنّ الخامسة، وقد سُمح لي يومها بمرافقةِ شقيقتي إلى المدرسة. وفي طريقِ العودةِ إلى البيت، رافقتُ أختاي بمجموعتين مختلفتين، وظننتُ كلُّ واحدةٍ منهما أنّي مع الأخرى. بينما انطلقتُ برفقةِ صبيّةٍ صغيرةٍ شاركتها اللعبَ في وقتِ الرّاحة، وذهبتُ إلى بيتها القريبِ من المدرسة، حيث شرعنا في صنعِ كرياتٍ من الطّين. كنّا نستمتعُ بأوقاتنا حين قدّمتُ أختي الكبرى لاهثةً، وتتميزُ غضبًا، وصاحتُ بي، «أنت أيتها الطّفلةُ الشّقيّةُ»، ثمّ سحبتُ يدي، وجرّنتني معها قائلةً: «هيا بنا إلى البيت الآن. أمّي غاضبةٌ جدًّا. ستشبعك ضربًا مبرّحًا.» لكنني لم أشجعُ أبدًا. فقد ملأ الرّعبُ والخوفُ قلبي الصّغير، وأصابتنني تلك الرّحلةُ إلى البيتِ ببؤسٍ شديد. لم أقصدُ القيامَ بعملٍ شقيّ، وإنّما طلبتُ منّي فيمي كامرون

مرافقتها إلى البيت، ولم أكن أعلم أنني أتيت خطأً يستحق العقاب. حين بلغنا البيت، جرّني شقيقتي إلى المطبخ حيث جلست أمي قرب المدفأة، في العتمة. ارتجفت قدماي إلى درجة عجزني عن الوقوف بثبات. لكنّ أمي احتملتني بين ذراعيها، دون كلمة توبيخ أو تقرّيع واحدة، ولثمتني، وضمّنتني إلى صدرها، وقالت في رقّة: «كنت أخاف ضياعك يا عزيزتي». ذلك اليوم، لمحت الحبّ يترقرق في عينيها حين نظرت نحوي. لم توبّخني أو تؤاخذني على صنيعي، وأخبرتني أنّه لا يمكنني الذهاب إلى أيّ مكانٍ دون استئذان. ثمّ ما لبثت أن توفّيت بعد أيام. تلك هي ذكراي الوحيدة عنها.

أليست رائعة؟

اشتدّ شعورُ آن بالوحدة عند عودتها إلى البيت، عبر طريقي «بيرش باث» و«ويلومير». فهي لم تجتزّهما منذ أشهرٍ كثيرة. وكانت الليلة داكنةً، والهواء ثقيلًا، ونمت أشجارُ البتولة على جانبي الطريق كثيرا، فتغيّر المشهدُ بأكمله. تآقت آن إلى نهاية الصيف، وإلى عودتها إلى عملها. فربّما لن تكون الحياة حينها بمثل هذا الفراغ. تنهدت آن قائلةً:

- خبرتُ هذا العالم، حتى عرفتُ أنّه لم يعد يرفل في حُلّة الحبّ الزاهية.

فأراحتها فكرةُ خلوّ العالم من قصصِ الحبّ.

(40)

## يَوْمُ الْحِسَابِ

عادَ آلُ إيرفينغ إلى قصرِ الصّدى لقضاءِ الصّيفِ، وأمضتْ آن به ثلاثةَ أسابيعَ رائقةً في شهرِ يوليو. لم تتغيّرْ الأنسةُ لافندر كثيرًا، وصارتْ شارلوت سيّدةً بالغةً، لكنّها حافظتْ على تعلّقها بآن، وقالتْ لها بصراحةٍ:

- في نهايةِ المطافِ، يا آنسةُ شيرلي، لم أجدْ من يُضاهيكِ في «بوسطن».

اقتربَ بول من سنِّ الرّشدِ، وصار في السّادسةَ عشرةَ من عمّره. فحلقتْ خُصلاته الكِسْتِنائيةُ، وصار مولعًا بكرةِ القدم، أكثرَ من شغفه بالقصصِ الخياليّة. لكنّ علاقته بمدرّسته الأولى ظلّت قائّمة. فالأرواحُ الطيبة لا تتغيّرُ مع مرورِ الزمن.

عادتْ آن إلى «غرين غايلز» ذاتَ ليلةٍ مُمطرةٍ وداكنةٍ من ليالي حزيران. وكانت إحدى أعنى عواصفِ الصّيفِ تُعربدُ في البحر. وما إن حلَّ ركبُ آن حتّى تهاطلتْ أولى قطراتِ المطرِ على زُجاجِ النّوافذ.

سألتها ماريلا:

- هل كان بول ذاك الذي رافقك إلى البيت؟ لم لم تستبقه لبيت هنا؟ فالليلة عاصفة.

- سيبلغ قصر الصدى قبل أن يصبح المطر غزيرا. على كل حال، لقد أراد العودة إلى هناك الليلة. كانت زيارتي راقية، لكني مسرورة برويتكم مجددا. فمهما اتجه المرء شرقا أو غربا، يبقى البيت أفضل الأماكن. دايفي، هل ازددت نموا هذه الأيام؟ قال دايفي بكل فخر:

- نموت نصف بوصة منذ رحيلك، وصرت بطول ميلتي بولتر. أنا سعيد بذلك. سيتوقف عن ادعائه بأنه أوفر طولا. أن، هل تعلمين أن جلبرت بلايث يُحتضر؟

تسمرت أن صامته، وهي تنظر إلى دايفي. صار وجهها شاحبا جدا، فظنت ماريلا أنها ستغيب عن الوعي.

قالت السيدة رايتشل حانقة:

- امسك لسانك يا دايفي! أن، أفيقي! لم ننو إخبارك فجأة، هكذا.

تساءلت أن بصوت غريب:

- هل هذا صحيح؟

قالت السيدة ليند:

- جلبرت مريض. أصيب بحمى التيفويد بعد رحيلك إلى قصر الصدى. ألم تسمعي بذلك؟

رَدَّ الصَّوْتُ الغَرِيبُ:

- لا.

- ساءت حالته مُنذ البِدَايَةِ، وقال الطَّيِّبُ إِنَّهُ مُنْهَكٌ تَمَامًا.  
جلبوا له مُمَرِّضَةً وَعَمَلُوا مَا فِي وَسْعِهِمْ. لا تَنْظُرِي هَذِهِ النُّظْرَةَ  
يا آن. لا يَأْسَ مَعَ الحَيَاةِ.

قال دايفي ثانيةً:

- كان السَّيِّدُ هَارِيسُون إلى جَانِبِهِ اللَّيْلَةَ، وقال إِنَّ حَالَتَهُ مَيُؤُوسٌ  
مِنْهَا.

نهضتْ مَارِيلا، الَّتِي بَدَتْ مُسِنَّةً وَمُنْهَكَةً، واقتادتْ دايفي خَارِجَ  
المَطْبَخِ.

أحاطتِ السَّيِّدَةُ رايثشل الطَّفْلَةَ بذراعيها، وقالت:

- تَخَلِّصِي مِنِ هَذِهِ المَسْحَةِ الحَزِينَةِ يا صَغِيرَتِي! لَمْ أَفْقُدِ الأَمَلَ  
بَعْدُ، لأنَّ بِنِيَّةَ بَلَايِث الجَسَدِيَّةِ تَعْمَلُ لِصَالِحِهِ.

أبعدتْ آن ذِرَاعِي السَّيِّدَةِ برفقٍ، وسارتْ على غَيْرِ هُدًى عبر  
المَطْبَخِ، والرَّدْهَةِ، ثمَّ صَعِدَتْ السَّلَامَ إلى غُرْفَتِهَا القَدِيمَةِ. جثتْ  
قُرْبَ النَّافِذَةِ، وشرَدَ بصرُها بَعِيدًا.

لفَّ الظَّلَامُ المَكَانَ، وهطلَ المَطْرُ بغزارةٍ على الحَقُولِ المُرْتَجِفَةِ.  
فرددتْ الغَابَةُ المَسْحُورَةَ آهَاتِ الأشجارِ العَظِيمَةِ الَّتِي هزَّتْهَا  
العاصِفَةُ، واهتزَّ الهَوَاءُ من أثرِ تَلَاطُمِ الأمْوَاجِ على الشَّاطِئِ. وكان  
جلبرتْ يَحْتَضِرُ!

«في كتابِ كلِّ حياةٍ فصلٌ نهائيٌّ، مثلَ كلِّ الكتبِ السَّماويَّةِ». قرأتُ آنَ فصلَها، تلكَ اللَّيلةَ الحزينةَ، كأنَّها تسهرُ عندَ رأسِ المُحتضِرِ، أثناءَ ساعاتِ العَوَاصِفِ والظُّلُماتِ. فقدَ عَشِقتُ جَلبرتَ، وطالما أَحَبَّته! لقدَ أدركتُ ذلكَ الآنَ، أدركتُ أنَّها لمَ تعدُ قادِرَةً على استبعاده مِن حياتِها دونَ عذابٍ، كما لو أنَّها قطعَتْ يُمنَها وألقتُ بِها بَعيدا، لكنَّها أدركتُ كلَّ ذلكَ مُتأخِّرةً جدًّا، مُتأخِّرةً حتَّى عنُ مواسمِهِ بالسَّهرِ إلى جانبِهِ في لحظَاتِهِ الأَخيرةَ. لو لمَ تكنُ عمياءَ، وحمقاءَ، لكانَ لها الحقُّ في الذَّهابِ إليه الآنَ. لكنَّه لنَ يعرفَ أبداً أنَّها كانتَ تحبُّه، سيغيَّبُ عنَ هذهِ الحَيَاةِ ظَنًّا منه أنَّها لا تهتمُّ لأمرِهِ. يا لَلأيَّامِ السَّوداءِ الخاويَّةِ القادِمةِ! لنَ تطيقَ العيشَ فيها. تفوقعتُ حِذو النافذةِ وتمنَّتُ، لأوَّلِ مرَّةٍ في حياتِها، لو أنَّها تموتُ أيضًا. فإذا فارقتها جَلبرتَ، دونَ أيِّ كلمةٍ أو رسالةٍ، أو علامةٍ، فلنَ تستطيعَ العيشَ بعدها أبداً. لا قيمةَ لأيِّ شيءٍ مِن بَعده. كانتَ تنتمي إليه، وكانَ ملكها. لمَ يعدُ لديها أيُّ شكٍّ. ولمَ يُحِبَّ هو كريستينَ ستيوارتَ. لمَ يُحِبُّها قطَّ. يا لها من بلهاءٍ لأنَّها لمَ تدركُ سرَّ الرِّابطِ الَّذي يجمعُها بجَلبرتَ، ولأنَّها تخيلتُ أنَّ ما شعرتُ بِهِ تُجاهَ روي غاردنر كانَ حبًّا. والآنَ صارَ جنونُها جريمةً وجبَ عليها دفعُ ثمنِها.

أطلَّتُ عليها ماريلا والسَّيدةُ ليندُ قبلَ ذهابِهما إلى النِّومِ، وهزَّتا رأسيهما صامتتينَ، ثمَّ انصرفتا والشَّكُّ يخامرُهما. عرَبَدتِ العاصفةُ كاملَ اللَّيلِ. وحينَ هدأتُ، رأتُ آنَ بصيصًا مِنَ النُّورِ من خلالِ طَيَّاتِ الظُّلامِ. وسرعانَ ما اكتسبتُ الهِضابُ حلَّةَ حمراءَ، وتراكمتِ

الغيومُ مُكوّنةٌ كتلةٌ قُطنيّةٌ كبيرةٌ عبرَ الأفقِ. فالتَمَعَتِ السَّماءُ بألِقِ  
فِضِّي، ولفَّ العالمَ الصّمت.

نَهَضْتُ آن، وهبَطْتُ إلى الدّورِ الأرضيِّ، ثمَّ خرجتُ إلى الباحةِ،  
فاستقبلها هواءُ المطرِ المنعشِ، وبرّدَ عينيها الجافّتينِ، وسمعتُ صفيراً  
يتردّدُ عبرَ الشّارعِ، وبعدَ لحظاتٍ ظهرَ أمامها باسيفيك بووت.

فجأةً، لم تقوَ آن على الوقوفِ على قدميها. ولو لم تتمسكْ بغصنِ  
الصّفصافةِ الطّويلِ، لسقطتُ أرضاً. كان باسيفيك أجيراً لجورج  
فلتشر، وكان جورج فلتشر جاراً لآل بلايث، وكانتِ السيّدةُ فلتشر  
عمّةً جلبرت. سيكون باسيفيك على علمٍ لو... لو. سيكون باسيفيك  
على علمٍ بما يجب معرفته.

سار باسيفيك بثباتٍ وهو يطلق صفيراً. فلم ير آن، مع أنّها  
حاولت أن تكلمه ثلاث مرّات. تجاوزها، تقريباً، حين خرجتُ  
كلمةً (باسيفيك) من بين شفتيها المرْتجفتين.

التفتَ باسيفيك، وألقى تحيةً الصّباحِ بانشراح. فقالتُ آن  
بصوتٍ باهتٍ:

- هل أتيتَ من منزلِ جورج فلتشر، هذا الصّباح؟
- طبعاً. علمتُ البارحة أن أبي مريض. لكنّ العاصفةَ منعتني  
من الذهابِ حينها، لذلك انطلقتُ باكراً، هذا الصّباح.  
سأجتازُ الغابةَ كطريقٍ مُختصرة<sup>(1)</sup>.

(1) في النّصّ الأصليّ، يتكلّم باسيفيك انجليزية غير سليمةٍ بسبب أصوله الفرنسيّة.

- هل علمت شيئاً عن حالِ جلدتِ هذا الصّباح؟

اضطرّها إحباطها إلى السّؤال، فحتّى أسوأ الأخبارِ ستكون أخفّ وطءاً من هذا التّرقّبِ الشّنيع.

قال باسيفيك:

- إنّه أفضلُ حالاً. يقول الطّبيبُ إنّه سيتماثلُ للشّفاءِ في غضونِ أيام. لقد نجا بأعجوبة، ذلك الصّبي. قتل نفسه في الجامعة. حسناً، عليّ أن أسرع. لا بدّ أنّ أبي العجوزَ ينتظرني على أحرّ من الجمر.

واصل باسيفيك سيره وتصفيره. فتأمّلتُه أنّ بعينين طردَ منها الفرحُ قلقَ اللّيلةِ الماضيّة. كان شابّاً نحيلًا جدًّا، أجردًا، وبسيطًا، لكنّه بدا بعينيهما جميلًا جدًّا. ولم تستطع، بقيّة حياتها، أن ترى سحنةَ باسيفيك السّمراءِ المدوّرة، دون أن تُخامرَها الذّكري الدافئةُ لتلك اللّحظة التي داوى فيها جرحها.

بعد بُرهةٍ من خُفوتِ صفّارةِ باسيفيك البهيجة، وركونها إلى الصّمتِ بعيدًا تحتَ أشجارِ جادّةِ العُشّاق، وقفتُ أنّ أسفلَ أشجارِ الصّفصافِ، تتذوّقُ عُذوبةَ الحياةِ اللاذعة، بعد أن انحى منها طعمُ الرّعب. وفي الزاوية، قريبًا منها، تفاجأتُ بتفتّحِ وُروِدِ جَميلة، وبدت زقزقةُ العصافيرِ فوق الأشجارِ في تناغمٍ تامٍّ مع مزاجها. ووجدتُ جُملةً من كتابٍ قديمٍ صادقٍ تتردّد على شفّتيها: «قد نذرفُ الدّمعَ طوال اللّيلِ، ثمّ يباغتُنَا الفرّحُ مع انبلاجِ الصّبح».



(41)

## الحبُّ يتحدّى الزمن

قال جلبرت الذي أتى بَغْتَةً، من خلفِ زاويةِ الشَّرْفَةِ:

- أتيْتُ لآخِذِكِ فِي نُزْهِةٍ عَبرَ غَابَاتِ سَبْتِمَبرِ، هَذَا المَسَاءِ. مَا  
رَأَيْكَ بِزِيَارَةِ حَديقَةِ هِستِرِ غَرايِ؟

قالت آن بتان، وهي تَضَعُ قِماشًا أَخْضَرَ لَمَاعًا فِي حُضْنِهَا:

- أتمنّى لو أستطيعُ. لكنني ذاهبةٌ إلى زِفَافِ أليس بنهاللو، يا  
جلبرت. عليّ إتمامُ هذا الفِستَانِ، وعليّ أن أُجَهِّزَ نَفْسي بَعْدَ  
ذلك. آسَفَةٌ حَقًّا. كم أودُّ الذَّهابَ مَعَكَ!

تساءلَ جلبرت، ولمْ تَبْدُ عليه عَلاماتُ الخِيبَةِ:

- حَسَنًا، لِنَذهبَ غَدًا مَسَاءً إِذْنَ؟

- نَعَم، هَذَا أَفْضَلُ.

- فِي هَذِهِ الحَالَةِ، سَأَعُودُ إِلَى البَيْتِ لِلقِيَامِ بِأَمْرِ ضروريٍّ غدا.  
ستتزوج أليس بنهاللو اللّيلةَ، إِذْنَ. لَقَدْ حَضَرَتِ ثَلاثَ  
حَفَلاتِ زِفَافِ هَذِهِ الصَّائِفَةِ يا آن: فيل، وأليس، وجاين.  
ولنَ أَغْفِرَ لجاينَ تَجاهلَ دَعْوَتِي إلى زِفَافِهَا.

- لَنْ تَلُومَها حينَ تَعَلَّمَ عَدَدَ المَدْعُويينَ مِنْ آلِ أَنْدَرُوزِ. فِبالكَادِ

وسِعَهُم البَيْتُ. وَمِنْ حُسْنِ حَظِّي أَنِّي صَدِيقَةٌ جَايِن. مَعَ أَنِّي  
أَظُنُّ أَنَّ السَّيِّدَةَ هَارْمُونَ دَعَتْنِي لِتُرِينِي فِخَامَةَ جَايِن وَفَتَّتَهَا  
فَحَسَبُ.

- هل غمرتها الجواهرُ من رأسها إلى قدميها حقًا؟  
قهقهتْ آن:

- وضعتِ الكثيرَ منها، فضاعتُ جَايِن الصَّغِيرَةُ وَسَطَ الجواهرِ،  
والحريرِ الأبيضِ، والورودِ. لكنَّها كانتُ سعيدةً جدًّا، وكذلك  
السَّيِّدُ انغليزِ والسَّيِّدَةُ هَارْمُونَ.

- أهذا الفستانُ الَّذي سترتدينه اللَّيْلَةَ؟

- أجل. أليسَ رائِعًا؟ وسأضعُ زُهورًا نَجْمِيَّةً فِي شَعْرِي. إِنِّهَا  
تملأُ الغابةَ المسحورةَ، صيفًا.

بَعْتُهُ، تَحْيَلُ جَلبرتُ أَن ترفلُ فِي فُستانِها الأَخضرِ المُرخرِفِ،  
يطلُّ مِنْه ذراعها المَدُورَانِ العُدْرِيَّانِ، وَجيدُها المَيَّاسُ، وَقَد غزتِ  
النُّجُومُ البِيضَاءُ اللَّامِعَةَ شَعْرَهَا، فَانقَطَعَتِ أَنفَاسُهُ مِنْ فِتْنَةِ المَشْهَدِ،  
لكنَّهُ أشاحَ بِوَجْهِه بِرَفِيقِ:

- حَسَنًا، سأعودُ غدا. أَرَجُو أَن تَسْتَمْتِعِي بِسَهْرَتِكَ اللَّيْلَةَ.  
ظَلَّتْ أَن تَرنو إِلَيْه وَهُوَ يَنصَرِفُ بَعِيدًا، وَتَنهَّدت. كانَ جَلبرتُ  
وَدودًا جِدًّا.

زارَ جَلبرتُ «غرين غايلز» مِرارًا، مُنذُ تَمائِلِه لِلسَّفَاءِ، فَاسْتَعادا  
شَيْئًا مِنْ صَداقَتِهما القَدِيمَةَ، لَكِنَّ الأَمْرَ لَمْ يُرْضِ أَن كَثِيرا. فوردَةُ

الحبّ تجعلُ بُرْعَمِ الصّدَاقَةِ ذابلاً، ودون رَائِحَةٍ تُذَكِّر. وبدأتْ آن ترتابُ فيما إذا كان جَلبرت لا يَكِنّ لها سِوى مِشاعِرِ الصّدَاقَةِ. فسكنها خوفٌ بائسٌ من غلَطِهَا الَّتِي قد لا تُغْتَفِر. كان يبدو أن كريستين هي من أحبّها جَلبرت، وربّما تقدّم لخطبتها أيضاً. حاولتْ أن تُضَع جانباً كلّ ما يشغلّها، وتتصالح مع مُستقبلٍ يَحُلّ فيه العملُ والطّموحُ مكانَ الحُبِّ. ستيلي البلاءَ الحَسَنَ في عملِها كمُدْرَسَةٍ، كما أن كتاباتها أخذت تَحْطَى بِقبُولِ الصّحفِ والمجلّاتِ ممّا عزّز أحلامها الأديبة. لكنّ آن تناولتْ فستانها الأخضرَ، وأطلقتْ تنهيدةً مُجدّداً.

حينَ عادَ جَلبرت في المساءِ المُوالي، وجدَ آن بانتظارِهِ، نِصْرَةً كالفجرِ، وجميلةً مثل نجم، من أثرِ بهجةِ اللّيلةِ الفارِطَةِ. ارتدتْ فستاناً أخضرَ، غير ذلك الَّذِي وضعتُهُ في حفلِ الزّفافِ. وإتّما كان فستانا قديما عبّر جَلبرت عن إعجابِهِ بِهِ ذاتَ حفلٍ في «ريدْموند». فأبرزتْ ظلالُ اللّونِ الأخضرِ لونَ شعرِها، ولونَ عينيها الفِضِّي، ونُعمَةً بَشَرَتِها. استرقّ جَلبرت النّظرَ إليها، وهما يسيّرانِ في دربِ الغابةِ الظّليلِ، وفكّرَ في أنّها لم تكن يوماً أجملَ ممّا هي الآن. ونظرتْ إليه آن بين الفينةِ والأخرى، وفكّرتْ في أنّه صارَ أوفرَ نُضجاً مُنذ مرّضِهِ، وأنّه رمى سنواتِ صباهِ خلفَ ظهْرِهِ إلى الأبد.

كان الطّقسُ جميلاً والطّريقُ رائِقا، فأسِفَتْ آن عند بلوغِها حديقةَ «هستر غراي»، وجلستْ على المقعدِ الخشبيِّ العتيق. لكنّ المكانَ بدا جميلاً أيضاً، مثلما بدا في ذلكَ اليومِ الغابرِ، حين اكتشفته

كُلِّ مِنْ دِيَانَا وَجَايِن وَبَرِيْسِيْلَا. يَوْمِيْذِ، كَان رَائِعًا، وَمَلِيْنَا بَزُهْوِرِ  
النَّرْجِسِ وَالبَّنْفُسَجِ، وَاليَوْمِ، أَنْارَتِ الكُرُوْمُ الذَّهِيْبِيَّةُ كُلَّ زَوَايَاهِ.  
قَالَتْ أَنْ بِنَعُوْمَةٍ:

- أَظَنَّ أَنَّ الأَرْضَ الَّتِي تَتَحَقَّقُ فَوْقَهَا كُلُّ الأَحْلَامِ، هِيَ تِلْكَ  
البَقْعَةُ الضَّبَايِيَّةُ المِطْلَةُ عَلَى الوَادِي، هُنَاكَ.

- هَلْ تَمْلِكِينَ أَحْلَامًا لَمْ تُحَقِّقِيهَا يَا أَنْ؟

ثَمَّةُ شَيْءٍ مَّا فِي نَبْرَتِهِ، أَمْرٌ مَّا لَمْ تَسْمَعِيهِ مِنْذُ تِلْكَ اللَّيْلَةِ البَائِسَةِ،  
فِي حَدِيْقَةِ «بَيْتِ بَاتِي»، جَعَلَ قَلْبَ أَنْ يَضْطَرِبَ. لَكِنَّهَا رَدَّتْ قَائِلَةً:

- طَبْعًا، كَلْنَا نَمْلِكُ أَحْلَامًا لَمْ نُحَقِّقِيهَا. لَنْ يَكُونَ مِنَ الجَيِّدِ لَنَا  
أَنْ تَتَحَقَّقَ كُلُّ أَحْلَامِنَا. سَنَبْدُو كَالْمَوْتَى إِذَا لَمْ يَتَبَقَّ لَدِيْنَا مَا  
نَحْلُمُ بِهِ. مَا أَطِيْبَ هَذِهِ الرَّائِحَةُ الَّتِي تَسْتَخْرِجُهَا الشَّمْسُ  
مِنَ الزَّهْوِرِ النَّجْمِيَّةِ، وَبِنَاتِ السَّرْخَسِ! أَمْنِي لَوْ كُنَّا  
نَسْتَطِيعُ رُؤْيَا العِطُورِ مِثْلَمَا نَشْمُ رَائِحَتَهَا. أَنَا وَاثِقَةٌ مِنْ أَنَّهَا  
سَتَكُونُ جَمِيْلَةً جَدًّا.

لَمْ يَسْمَعْ جَلْبَرْتَ لِلْحَدِيثِ أَنْ يَجِيْدَ عَنْ مَسَارِهِ، فَقَالَ فِي تَأْنٍ:

- لَدِيَّ حُلْمٌ أَوْاطِبُ عَلَيْهِ رَغْمُ أَنَّهُ يَبْدُو لِي غَالِبًا صَعْبَ المَنَالِ.  
أَحْلُمُ بَيْتٍ بِهِ مَدْفَأَةٌ، وَقَطُّ وَكَلْبٌ، وَأَصْدِقَاءٌ... وَأَنْتِ!

أَرَادَتْ أَنْ تُتَكَلَّمَ، لَكِنَّ الكَلِمَاتِ خَانَتْهَا. غَمَرَتْهَا السَّعَادَةُ  
مِثْلَ مَوْجَةٍ، فَأَخَافَتْهَا، تَقْرِيْبًا.

- طَرَحْتُ عَلَيْكَ سَوْأًا مُنْذُ سَنَتَيْنِ يَا أَنْ. لَوْ سَأَلْتُكَ إِيَّاهِ اليَوْمِ،

هل ستمنحيني إجابةً مُختلفة؟

لم تستطع أن الكلام. لكنها رفعت عينيها، وهما تتألمان بفتنة الحب، وتطلعت إلى عيني جلبرت لبرهة. ولم يكن يريد أي جواب آخر.

طال بهما المقام في الحديقة العتيقة، حتى زحف عليها شفق بلون غسق الجنة. فقد كان بينهما حديث طويل، وذكريات كثيرة، ذكريات كل ما قالاه، وقاماه به، وشعرا به، وفكرا فيه، وأدركاه.

قالت أن مُعاتبته، كأنها تريده أن يعرف أنها لم تحب يوماً روي

غاردنر:

# مكتبة

t.me/soramnqraa

- ظننتك تحب كريستين ستوارت.

أطلق جلبرت ضحكة صبيانية:

- كانت كريستين مخطوبة إلى أحدهم، في بلدتها. وكنت أعرف ذلك، وكانت تعلم أنني أعرف. حين تخرج شقيقها، أخبرني أن أخته ستفد إلى «كينغسبورت» الشتاء الموالي، لتدرس الموسيقى، وطلب مني الاعتناء بها، لأنها لا تعرف أحدا هنا. فقمْتُ بذلك. وقد أعجبتني كريستين لأنها إحدى أطف الفتيات اللاتي عرفت. لقد سمعت شائعات حول علاقة حب بيننا، لكنني لم أهتم كثيرا. فلم يعد شيء يعينني بعد أن أخبرتني أنك لا يمكن أن تحبيني يا آن. لم يترعب أحد غيرك على عرش قلبي، ولن يحصل. لقد وقعت في حبك منذ ذلك اليوم الذي هُشمت فيه لوحتك فوق رأسي في المدرسة.

- لا أفهمُ كيف ثبتَ حبُّك لي مع أنّي بلهاء.

قال جلبرت بصراحة:

- حسناً، حاولتُ التوقّف عنه، ليس لأنك كما قلتِ، لكن، لأنّي شعرتُ بانعدامِ فرصتي حين ظهرَ غاردنر على السّاحة. غير أنّي لم أستطعُ، ولا يُمكنني إخبارك ما الذي عانته طيلة سنتين ظننتُ فيهما أنّك ستزوّجينه، وخاصّة حين كنت أسمع من أحدهم أنّكما ستعلنانِ خطوبتكما. لقد صدّقتُ الأمر حتّى حلولِ ذلك اليومِ المباركِ بعد مرضي، أتى توصلتُ برسالةٍ من فيل جوردون، أو بالأحرى فيل بلايك، تخبرني فيها أن لا شيءَ بينك وبين روي، وتنصحني بالمحاولةِ ثانيةً. حسناً، ظلّ الطبيبُ مشدوهاً من سرعة تماثلي للشفاءِ بعد ذلك.

ضحكتُ آن، لكن رجفةً كبيرةً اعترتها.

- لن أنسى ما حييتُ تلكَ الليلةَ التي ظننتُ فيها تُختصرُ يا جلبرت. اوه!، أخبروني بالأمرِ حينها، وظننتُ أنّ الأمرَ تأخر جداً.

- لا يا عزيزتي، لم يتأخّر الوقتُ. سنعوّضُ كلّ شيءٍ يا آن. لنجعلُ هذا اليومَ مقدّساً ما حيننا لما أغدّقه علينا من نعم. قالتُ آن برقة:

- سيكون ذكرى ميلادِ سعادتي. فطالما أحببتُ حديقةً «هستر غراي» القديمة، وستصبح الآن غاليةً على قلبي أكثر.

قال جلبرت بحزن:

- لكنك ستنتظرين مطوّلاً يا آن. سأستغرقُ ثلاثَ سنواتٍ  
لأنهِي دراسةَ الطّب، زيادةً على أنّي لن أستطيعَ توفيرَ  
مجوهراتٍ من الألماسِ ولا قُصوراً من المَرمر، حتّى بعد ذلك.  
ضحكتُ آن، وقالت:

- لا أريدُ مجوهراتٍ ولا قُصوراً من المَرمر. أريدك أنتَ فحسب.  
المجوهراتُ، وقصورُ المَرمرِ جيّدةٌ، لكنّها لا تدعُ مجالاً  
للخيال. أمّا الانتظارُ، فليس مُهمّاً، مادُمنا سعيدين بانتظارِ  
بعضنا بعضاً، ومادُمنا نحلم. ستصبحُ الأحلامُ عذبةً، الآن.

ضمّتها جلبرت إليه، وقبلها. ثمّ سارا معاً في الغسقِ، على  
الدروبِ الملتوية التي حفّت بها أجملُ الزهورِ، وفي المروجِ المسكونةِ  
حيث تصفّرُ رياحُ الأملِ والذكرى. وتوجّجا ملكةً وملكاً في مملكةِ  
الحبّ.

مكتبة | سرّ من قرأ

أكل الحكاية مع آن ..

تأنيكم قريباً في مكتبة

telegram @soramnqraa

صدرت عن دار رشم ودار مسكيليانى  
للمؤلفات نفسها

(1)

آن فى الضيعة الحضراء  
ترجمة: أشرف القرقنى

(2)

آن فى آفونلى  
ترجمة: محمد الحباشة  
مراجعة: نهاد المعلاوى

(3)

آن بنت الجزيرة  
ترجمة: وليد بن أحمد  
مراجعة: نهاد المعلاوى

(4)

آن فى عزبة الصفصاف  
ترجمة: عادل قرامى



## آن بنت الجزيرة

لوم ترصّخ لوسبي مود مونتغومري لمشيئة ناشرها الأوّل ولم تُصدر بعد سبع سنواتٍ «آن بنت الجزيرة»، روايتها الثالثة في سلسلة «آن في الضيعة الخضراء»، حرّمت كلّ شباب العالم لذّة متابعة قصّة البطلة اليتيمة ذات الشعر الأحمر التي سُغفنا بها في الجزأين الأوّل والثاني.

ها هي آن تزداد نضجًا، وتغادر جزيرتها إلى مدينةٍ بعيدة لتدرس بالجامعة وتحقّق حلمًا قديمًا شاركها إياه القراء في كلّ جيل. تترك خلفها دفء العائلة وبيت الطفولة وأصدقاء الصّبا وسنوات الشغف الأولى، وتلهث وراء العلم والتحصيل، وتخطو خطواتها الأولى في عالم التأليف والإبداع دون أن يغفل قلبها لحظةً واحدة عن تقلّبات الحبّ والهوى.

لا تزال الرواية حتى اليوم تعلّم الشباب سبل الاعتماد على الذات، وتغرس فيهم روح الكدّ والمثابرة، وتحثّهم على الإيثار والعواطف النبيلة. واليوم، نقدّم للقارئ العربيّ هذه الرواية التي تحتلّ مكانة خاصّة في سلسلة روايات مونتغومري حتّى إنّ جُلّ الاقتباسات إلى السينما انطلقت منها رأسًا.

وليد بن أحمد

telegram @soramnqraa

